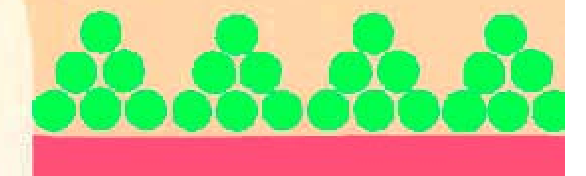


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد

صفحة	الموضوع	الكاتب
1	كلمة العدد : ولكن ... يناله التقوى منكم	
5	خطاب صاحب الجلالة بمناسبة ذكرى حادي عشر يناير 1944	
9	جلالة الملك يخطب في الوفد الرسمي للحجاج	
	دراسات إسلامية :	
10	وكيف أخاف ما أشركتم ...؟	الأستاذ عبد الله كنون
12	تعقيب على بحث المستشرق البروفيسور برنارلويس – (المساواة العنصرية في الإسلام) ترجمه الأستاذ محمد الشوفاني	الأستاذ محمد الطنجي
14	رد لمحمد جميل بيهم على مقال تشويه وجه الإسلام	الأستاذ محمد جميل بيهم
16	القرآن ... والمؤسسات الرأسمالية	الأستاذ عبد الواحد الناصر
21	نظرة الإسلام إلى العمال	الدكتور مصطفى عبد الواحد
25	ظاهرة الضياع في ضوء الإسلام	الأستاذ أنور الجندي
29	الأسرة الإسلامية والتربية	الأستاذ محمد العربي الناصر
34	مرحلة الانطلاق من بدر إلى الزلاقة	الأستاذ محمد علي الكتاني
37	القراءات القرآنية واللهجات العربية	الدكتور الراجي التهامي الهاشمي
42	محاولة خاطئة	الأستاذ محمد الأزهري
44	لمحات في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث	الأستاذ ابراهيم دسوقي اباظة
49	الكعبة المشرفة .. أول بيت وضع للناس	الأستاذ محمد نعيم مكانسة
52	الاستشراق وقضايا الإسلام وثقافته	الأستاذ محمد المنتصر الريسوني
	أبحاث ودراسات :	
56	تقويم اللسانين	الدكتور تقي الدين الهلالي
60	الفصيح المهجور في اللسان المغربي الدارج	الأستاذ محمد الحلوي
64	الأمير شكيب أرسلان والشيخ رشيد رضا .. وثيقة وعبرتها	الأستاذ سعيد الأفغاني
70	أبو الهندي	الأستاذ أحمد الجندي
72	الوزارة العباسية	الدكتور محمد زنيبر
75	شجرة البلاد	الأستاذ محمد الناصر الكتاني
77	المعاني الإنسية والروحية في الشعر العربي	الدكتور جعفر الكتاني
81	مهمة أستاذ اللغة العربية في الطور الأول من التعليم الثانوي	الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
86	التوجيهات	الأستاذ عبد القادر زمامة
	ديوان المجلة :	
90	بطل الاستقلال	للشاعر محمد بن علي العلوي
92	أفراح ذكرى الميمونة	للشاعر عبد الكريم التواتي
97	يا فلسطين	للشاعر محمد الحلوي
99	حديث سلا	للشاعر المدني الحمراوي
103	من وحي أسماء الله الحسنى	للشاعر محمد محمد العلمي
106	أواصر منبوع لبلغ جمهرة	للشاعر الحاج أحمد بن شقرون
107	حديث الفجر	للشاعر عبد الحق حموش
	دراسات مغربية :	
109	حول الأسرة المغربية	الدكتور عبد الله العمراني
115	ابن الخطيب الرحال	الأستاذ الرشلي بناصر
122	دولة الأدارسة وإمارة الرستميين الخروية : العلاقات السياسية الأولى لمملكة فاس	الدكتور عبد الهادي التازي
127	الموحدون سادة البحار	الأستاذ محمد أحمد الفرسي
130	مخطوطة أندلسية : مظهر النور الباصر	الأستاذ عبد القادر زمامة
	معرض الكتب :	
133	من مكتبة الجاحظ	تعليق الأستاذ محمد بن تاويت
140	كتاب عن الأدب العربي	تأليف المستشرق الإسباني الدكتور خوان فرنط، تقديم الأستاذ حسن الوراكلي
143	الأستاذ عبد الله كنون في «العصف والريحان»	الأستاذ أبو طالب زيان
145	حقوق الدفاع	تأليف الأستاذ أحمد محمد بن جلون، عرض وتقديم الأستاذ زين العابدين الكتاني
	قصة العدد :	
149	مختارات من أدب القصص الشعبي الأمريكي الحديث : الوارث	سارول، ترجمة الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي
156	من أنباء العالم الإسلامي	





العدد العاشر – السنة الرابعة عشرة – ذو الحجة 1391 – يناير 1972

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد العاشر
السنة الرابعة عشرة
ذو الحجة 1391
يناير 1972
ثمن العدد: درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



اتجهت وفود الحجيج الى البقاع المقدسة ، ملبية نداء ابراهيم ، وملتمسة من الله القبول ، حثيثة الخطى لتذكر الله وتشهد المنافع .. ولا تلبث ان تعود الى أرض الوطن يملأ حناياها خشوع وخضوع ، ويشغفها حب الخير ، ويعمر قلوبها الايمـــان ...

تعود الى أرض الوطن نقية من الذنوب ، طاهرة كالملائكة ، وفية بما عاهدت اللـه عليـــه ..

لقد شدت الرحال الى اداء النسكين ، وأمت بيت الله العتيق الذى تهـوي اليه أفئدة المسلمين، وترف الى رؤيته والطواف به قلوب المومنين، وتستروح الذكريات التى تحوم عليه نفوس المخلصين .. وزارت بلدا كريما رفع الله مكانته ، وغرس فى القلوب محبته ، والقى فى النفوس مهابته ، فتحركت فى قلوبها للذهـاب اليه عوامل الايمان ، وحوافز الخير ، فاستهانت بالمشاق ، وسهلت لديهـا المصاعب ، ورخصت الأموال ، فاجتازت الفيافي ، واقتحمت الفضاء ، وخاضت لجج البحار، وتجشمت الصعاب .

انها لفرصة كريمة ، ونفحة الاهية تتاح لكل شعوب الامة الاسلامية وحكامها وزعمائها ومفكريها وذوي الامتياز فيها حتى يجددوا العهد ، ويؤكـدوا الميثاق ، ويكشف بعضهم لبعض عن أمورهم الادبية والسياسية والتجاريـة والاقتصاديـة والاجتماعية والعلمية وكل ما يهمهم ، ويتعاونوا فيما بينهم على التفكير فى الحلول السليمة للمشكلات التى تحزبهم ، ويضعوا الخطط التى تكفل لهم متانة البناء ، وقوة المجتمع .

وتلك معنى من معاني ((لبيك .. اللهم لبيك ..))

فاذا اجتمع الخاصة فى ذلك المشهد الحاشد والحفـل الرائـع ، والموقـف المشهود وتدارسو مشكلاتهم ، وأبرموا ما فيه صلاح المسلمين من كل قطر ، ونشروه للناس ، فقد حاز قوة الاجماع ، وسار ملزما للجميع ...

نعم .. لقد بدأت وفود الحجاج تعود الى أرض الوطن قادمة من تلك الديار الطاهرة والبقاع المقدسة التى تقلبوا فى مغانيها ومنازلها ، ووردوا على المعين الصافي ، والمنهل العذب ، وغسلوا خطيئاتهم وأوزارهم ، وتحللوا من الآثام والذنوب ، وأصبحت صحفهم نقية بيضاء من غير سوء ، ونفوسهم طاهرة من كل أذى ..

— ✻ —

فهل استفاد المسلمون والعرب من هذا المؤتمر الالاهي الاكبر فى ضخامته وكثافة عدده ؟ فاغتنموا فرصة اجتماعهم فى اطهر البقاع ، وتشاوروا فيما نزل بهم من جهد وبلاء ، وقوارع وفواجع ، ورواجف وروادف ، وغسلوا ما لحقهم من عار وهزائم ، وجمعوا ما انفرط من العقد ، ووهى من السمط ، وضموا الشتات ، ووحدوا الكلمة ، وحددوا الغاية حتى لا يبقى المسلمون ممزقين قطعانا فى فدافد الارض ، وعباديد لا يجمعهم نظام ، ولا تؤلف بينهم وحدة ... وقد انحلت حباهم ، وتفسخت أخلاقهم فلا تماسك فى قول ولا فعل .. وتقاطعت قلوبهم بعد أن زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ... فلا يتحقق لهم اي نفع ، ولا تتفق كلمتهم على العمل من أجل مصلحتهم ... ثم يعودون الى أوطانهم أشتاتا ، ليبقوا وقلوبهم وأبدانهم وعقولهم شتى ..

ان مناسك الحج ومقاصده ليست أن تتجرد من مخيط ، وتبتعد عن محيط ، وان تطوف وتلبي ، وتستجير وتذرف الدموع فحسب ، بل انها ترمي الى معاني التضحية والفداء ... والتضحية والفداء لله وللوطن أصدق شعائر الايمان ، وأقدس مظاهر الانسان .. وليس عيد الاضحى الا رمزا لهذا المعنى ، وتلميحا لهذا المغزى ، ونفحة من النعيم السماوي تندى له القلوب اليابسة بالوداد المحض ، والبر الخالص سعيا لجمع الكلمة ، وسبيلا الى الوحدة المرجوة .. اذ ليس هناك أجمل وأفضل فى شرعة الله من حمل الروح على الكف ، والاقبال بها فى صدق اليقين ، والاخلاص المتين نحو مواطن التضحية والفداء فى سبيل عقيدة طاهرة ، أو مبدأ صالح ، أو حرمة مهضومة ، أو حق ضائع سليب ، أو كرامة مضاعة ...

وفى التوحيد للهمم اتحاد
ولن تبنوا العلا متفرقينا

— ✻ —

ومناسك الحج التى تحفل بالاسرار السامية ، والمعاني الغزار تجعل من واجباتها التجرد من المخيط والمحيط ، والتفرغ للعبادة الكاملة التى تنتهي فى النهاية الى بذل النفس والتضحية والفداء ، اذ أن هذا الركن — كباقي أركان الاسلام — يؤلف بين القلوب فى ذات الله ، ويؤاخي بين الشعوب فى أصل الحق ، ويستعرض علائق الناس كل عام ، فيوثقها بالتصافي والتضامن ويؤكدها بالتكافل والتعاطف حتى تعود الى السبيل الواضح ، والطريق اللاحب ، بعد ما شردها الضلال ، ووزعتها الفرقة ، وأضناها الكلال ، وأعوزها الهادي الخريت الذى يأخذ بيدها ، ويؤلف نافرها ، ويحكم صلاتها ، ويجمع شتيتها ...

كما لم تكن أتعاب الحج ومشاقه ، وشعث الحاج واغبراره الا مثل خلوف فم الصائم ... انهما نتيجة عنت .. وآية على الطاعة الصادقة ، وهما فى وقتهما

أعظم من نظافة الظاهر ، لانهما أثر من آثار نظافة الباطن ... فتعب الصائم والحاج مقصود منه ان يتعودا الجلد والصبر ، والاستماتة فى تربية الروح ، ويعدا أنفسهما لاحتمال المتاعب والاخطار .. فقد رسم سبحانه وتعالى شعائر هذا الحج ليكون للمسلم منها أعظم درس للنفس ، واسمى تربية للوجدان .. وشاء سبحانه ان يكون للمسلم من وراء قيامه بهذه الشعائر والمناسك الخير لمجتمعه المسلم ، وان يكون هذا المجتمع عند بيته المحرم رمزا لوحدة المسلمين ، وشعارا لتضامنهم وتآلفهم ...

— * —

لقد نبتت من صحراء العرب الجدبة الماحلة ، ورمالها الوعساء القاحلة، جنات الشرق والغرب ، وثمرات العقل والقلب ، وانطلقت ، من معاهد الوحي ، ومنازل التنزيل ، وميادين البطولات ، مواكب المسلمين الذين تدفقت سيولهم من منابعها ، وخرجت سنابلهم من قنابعها ، حتى دخل فى ملكهم العالم ، ونزل على حكمهم الدهر ، كما اشعت تلك الصحراء على العالم انوار الهداية والنور لتبديد غياهب الديجور ، حيث تخرج منها ابطال الكفاح والنضال الذين نصروا العقيدة ، وآزروا الرسول ، واتبعوا النور الذى انزل معه ...

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ... لم يمسسهم سوء ... واتبعوا رضوان الله .

فلا غرو اذا كانت هذه الصحراء منارا للأمة ، ومثارا للهمة ، تنضر بها الآمال الذاوية ، وتذكو العزائم الخابية ، ينسل اليها المومنون من كل حدب وصوب ، وتتوجه اليها جماهير المسلمين ليشهدوا منافع لهم ، ويؤلفوا دعاء واحدا تجأر به النفوس المظلومة جؤارا تردده جنبات البيت ، ويشق نفسه صدر الفضاء ، وترجع صداه الصحراء والسماء .

انما الاسلام فى الصحر امتهد
ليجيء كل مسلم أسد

— * —

ان ضمائرنا وجوارحنا لا يمكن ان تطمئن بالفعل الاطمئنان الكامل ، وتشعر بالسكينة والرضى ، ويهنا لها بال ما دام هذا العالم الاسلامي يمتحن فى كل عام بل فى كل شهر او يوم ببلايا سود ، ومحن تذل لها الأسود ، ويكابد من أسباب التخلف حيث تنزل بالمسلمين الفتن وتتكالب عليهم الخطوب .. وتثخنهم الملمات والمصائب ... وما تزال هذه النكبات تتوالى سواء باحتلال اجنبي دخيل ، أم باقامة حكم يجهر بعدائه للاسلام ، وحربه له ..!!

فما بال المسلمين لاهين سادرين لا يذكرون اخوانهم فى ديار الاسلام فى فلسطين وكشمير وارتريا والصومال والتركستان بقسميها الشرقي والغربي والفلبين وباكستان وزنجبار واخوانهم مسلمي الولايات المتحدة الزنوج ، ومسلمي اروبا البيض ... كما يذكرون الكونغو وجنوبي افريقيا وانغولا وفييتنام ... بل ان اهتمام بعض المسلمين بقضايا البلاد التى لا تربطهم بها رابطة دين أو عقيدة او تاريخ او ثقافة أكثر من اهتمامهم بمآسي المسلمين والمجازر والاضطهادات التي يعيشها المسلمون فى أجوائها فى هذه البلاد التى ذكرناها وغيرها مما لا يزال يجري الى الآن على مسرح الارض الاسلامية ...

— * —

ان على المسلمين أن يغيروا ما بانفسهم قبل أن يطمس الله على أموالهم ، ويشد على قلوبهم ، وان يتجاوبوا مع معطيات التقدم العلمي ، والتطور التكنولوجي، وما تستلزمه الحياة الحاضرة ، ويتطلبه المستقبل الواعد ، ويستوجبه واجب القوة والاعداد .

وان عليهم — أيضا — أن يغيروا مفاهيمهم للحياة ، ويكيفوا نفوسهم بمتطلباتها فى حدود الشريعة والاسلام ، ويستعلوا على كل ما يجعل الانسان يخلد الى الارض ، ويلتصق بالتراب ، ويتجافوا عن الوقوف بين الدمن والاطلال ، ويربأوا بنفوسهم عن الاستمرار فى ((قفا نبك)) التى لم يجن منها المسلمون والعرب الا الاوهام والخيال ...!

فالاسلام دين العمل والتجديد ، لا دين الجمود والجحود والتقليد ، فهو يهيب بنا ان نكون أقوياء فى عقائدنا .. أوفياء فى ذممنا .. أصفياء فى قلوبنا .. حماة لذمارنا وحياضنا .. أشداء على الكفار رحماء بيننا ..

— * —

ان الحقيقة التى يجسدها لقاء المسلمين الحاشد ، وعلى صعيد واحد حول البيت الحرام الذى جعله الله للناس ، مثابة وأمنا ، سواء العاكف فيه والباد ، هو وحدة المسلمين بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، وبكل ما تحمله من واقع ، وبكل ما تؤديه من معطيات الخير لهذه الامة وتقدمها وازدهارها ...

فلا غرو اذا كان حجاج بيت الحرام وفود الله الى مهابط الوحي ، واشراق النبوة ، ومطالع الرسالة يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله ... وقد جاء عن الرسول عليه السلام انه قال : الحجاج والعمار وفد الله ، أن دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم)) .

وما من شك فى أن أعضاء الوفود يجعلون امام مهامهم رفع كلمة الله وحماية شريعته ، والذياذ عن حدوده وأركانه بغية اقامة مجتمع اسلامي صحيح ، قوي متماسك ، مسدد الخطى ، محفوظ القوى لا يوجهه الا الحق ، ولا يهديه الا الخالق، ولا يحكمه الا الله الذى له الدين الخالص ...

فليس الغرض من الحج الى الديار الطاهرة هو تقديم القربان والذبائح ، واظهار ضخامة المادة ، وفخامة المظهر ، واقتناء الدخائر والاعلاق ، والتحف والنفائس ، فذلك كله لا يصل الى الله ... وانما غرضه الوحيد ، وهدفه الاوحد يتجلى فى توثيق عرى الاخوة والتضامن بين أبناء الامة الاسلامية ، وانعاش العواطف الصالحة التى طغت عليها المنافع ، وصلة القرابة الواشجة التى قطعت بينها المطامع ، وربط الصلات الشابكة التى أوهنتها الجفوة وأمضها الاعراض ...

وصدق الله العظيم فى كتابه :

((لن ينال الله لحومها .. ولا دماؤها .. ولكن يناله التقوى منكم ..)) .

. . .



القى جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله ، خطابا موجها الى الامة المغربية بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لتقديم عريضة الاستقلال .

وتحدث جلالة القائد الرائد عن معنى هذه الذكرى ، وعن مغزاها فى مضمار التاريخ الوطني كله ، وفى مسيرة النضال الذي التحم فيه العرش والشعب قبل 11 يناير ، وبعده

تحدث جلالة الحسن ، عن المعركة ، بالامس واليوم ، وغدا ، معركة المغرب عرشا وشعبا

وقال جلالة الحسن الثاني : « ان 11 يناير 1944 ، لم يكن صدفة من صدف التاريخ بل كان وليد معركة التحم فيها ملك وشعب ، والتقيا ، وانصهرا معا فعبرا بالفكر والعمل عن وحدة الهدف والمستقبل .

وقال قائد مسيرة شعبنا المظفرة : ان 11 يناير 1944 كان ملتقى القوات الحية فى البلاد مع ملكها ، وليس بعزيز أن لا يتكرر هذا اللقاء وليس بالمستحيل ان لا تلتف الكلمة من أجل نفس المعركة ونفس الهدف .

واعلن جلالة الملك انه قد شرع فى اجراء مقابلات ، وسيجري المزيد منها مع جميع الذين يمتون الى مصالح الامة بقرابة من أجل ان ينصهر الجميع ، بلا انانية ولا حساسيات فى معترك المغرب ضد التخلف والجوع والفقر .

وأعلن القائد العظيم انه سيعرض فى الاسابيع المقبلة برنامجا من شانه ان يروق الشعب المغربي ، وأن يعطي المدلول لخطاب رابع غشت .

وهذا هو النص الكامل للخطاب الذي وجهه قائدنا العظيم جلالة الحسن الثاني الى الامة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز :

نحتفل اليوم بذكرى حافلة بالمفاخر زاخرة بالذكريات ، ذكرى ستبقى من اجل معالم تاريخنا ، تلك المعالم التى تنير الطريق والتي تربي الاجيال ، والتي على سننها يجب أن يسير كل مواطن مخلص لبلده ولمقدساته .

لماذا نحتفل بهذه الذكرى ؟ والحالة هذه أن تاريخ المغرب منذ أن انقض عليه المستعمر وهو مليء بمعارك خلدت اسمه واسم الابطال الذين خاضوا تلك المعارك ؟ ذلك لان ذكرى 11 يناير 1944 تكتسي صبغة خاصة تعرفها واعرفها ولكن سأحاول أن أعطيك نظري فى تحليلها وتفسيرها .



اننا نقرأ فى تاريخ المقاومة المغربية أن معركة « لهري » بناحية خنيفرة وقعت سنة 1914 .

وبعد ذلك نرى فى التاريخ أن معركة « أنوال » بالريف وقعت فى يوليوز 1921 .

ونستغرب ونتعجب حينما نقرأ كذلك فى التاريخ أن المقاومة المغربية لا زالت قائمة الذات الى سنة 1933 حيث وقعت بناحية تينغير معركة « بودافر » .

هذه المعارك ان دلت على شيء فانما دلت على أن من شمال المغرب الى جنوبه وفى وسطه لم يخضع ابدا المغاربة أمام قوة المستعمر وأمام سلطانه فكانت مثل هذه المعارك تقض مضجع المستعمر وتهدد أمنه ، ولكن معركة يناير 1944 أظهرت له ان هذه المعركة تهدد وجوده وكيانه ، ذلك انها اولا لم تكتس صبغة حربية ، فلا يمكن اذ ذاك ان يقول اي قائل ان الغلبة ستبقى للقوي او ستبقى للضعيف ولكن خاضها المغرب بالسلاح الفكري والافكار والعواطف والمبادىء لا تكيف ولا تقيم الا بضوابطها والا بمشروعيتها .

وهل هناك مشروعية اكبر من مشروعيـة ان يطالب شعب باكمله بالتمتع بالاستقلال والحرية فى ظل نظام ملكية دستورية ؟

اية قوة من القوات يمكنها أن ترد شعبا التقى هو وملكه وطلب من ملكه أن يعبر عن رغبته وصار الملك مقابلا شعبه طاويا نصف المرحلة حتى وقع الالتقاء ، بعدما وقع الالتقاء وقع التعبير بالكيفية المشروعة عن مطالب المغرب وعن مطامحه فى أن يعيش فى نظام مستقل كريم .

اننا ، شعبي العزيز ، علينا أن نستخلص العبر من هذه الذكرى ، ذلك انها ذكرى عبرت ولا زالت تعبر عن واقعية الملكية المغربية ، تلك الملكية التى لم تفرض ولن تفرض نفسها بالضغط على شعبها ، تلك الملكية التى لم تكن قط فى يوم من الايام هي فى واد وشعبها فى واد ، تلك الملكيـة التى انعكس فيها شعبها وذلك الشعب انعكس فيه ثبات وايمان ملكيته .

فاذن يمكننا أن نقول ان 11 يناير 1944 كان ملتقى بين القوات الحية لهذه البلاد وبين ملكها ، وليس بعزيز شعبي العزيز ان لا تتكرر مثل هذه اللقـاءات ، وليس من المستحيل ان نطمح ونامل جميعا فى ان تلتف الكلمة ويجتمع الشمل بل أرى من أوجب واجباتي ان أكون دائما سائرا فى طريق واحد ، الا وهو توحيد الكلمة وارضاء الرغبات ، واعطاء الفرص لكل رجل ولكل امرأة أراد أن يعملا بحسن نية وأن يعملا فى صالح بلدهما .

ان الاحداث التى عاشها المغرب فى السنة المنصرمة ، ان أظهرت شيئا فانها أظهرت على ان الجسد المغربي ولله الحمد طاهر فى جميع انحاء المغرب وفى جميع مستويات الشعب ، سنرى أن فى ذلك اليوم المشؤوم والذى نحمد الله عليه وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، نـرى ان وحدات جيشنـا ووحداتنا المسلحـة لم تتحرك ولم تقم بأي عمل من شانه ان يكون عمـلا يشيـن الى سمعتهـا ويضـر بسمعتها ، بل بقيت صامدة ، نرى ان شعبنا لزم الهدوء والاطمئنان ، رأينـا ان المنظمات النقابية والسياسية لزمت كذلك الرصانة والحكمة ، واستنتجنا من هذا كله ان الامة المغربية بجميع عناصرها لا زالت أمة نقية طاهرة قابلة لكل ثقة وجديرة بكل معـــروف .

لذا قررنا أن نجري مقابلات ونحن نجري الآن مقابلات وسنجري مقابـلات فى الايام المقبلة مع جميع الذين يمتون الى مصالح الامة وتمثيلها بقرابة سواء مـن الناحية السياسيـة او الاقتصاديـة أو الفلاحيـة أو التجاريـة أو الصناعيـة أو الاجتماعية حتى يمكننا ان نعرض عليك شعبي العزيز فى الاسابيع المقبلة برنامجـا

من شانه أن يروقك ، من شانه أن يعطي المدلول لخطابنا ، خطاب رابع غشت الذى قلنا فيه أن ركب الدولة يسير ولكن قاطرة الدولة مستعدة لان تحمل معها وفيها كل من أراد أن يعمل لصالحهـا وأن يعمل لصالـح هـذا الشعب الذى يستحق كـل خيـر .

وها نحن نكرر ارادتنا لتجنيد جميع القوات حولنا وحول برامجنا حتى يمكن أن نثب بشعبنا وبأمتنا تلك الوثبة التى نرضاها له فى خضم المشاكل التى يعيشها فى النصف الثاني من القرن العشرين .

وأملي أن يسفر هذا العمل لا على تجنيد ، لان التجنيد فيه نوع من الاكراه ، ولكن على هبة ، أريد أن يهب كل واحد منا نفسه وقلبه وحياته ونشاطه وافكـاره وطاقاته وكفاءاته ، أن يهبها لهذا البلد الامين .

أريد ان يذيب كل واحد منا وان تذيب جميع المنظمات السياسية والنقابية وجميع المؤسسات أنانيتها وتذيب حساسياتها الخاصـه فى معتـرك المغـرب ، ألا وهو معترك التغلب على التخلف والجهل والجوع والفقر .

أريد شعبي العزيز أن لا يقال فينا وعنا فى السنـوات المقبلـة ان لقاء 11 يناير 1944 كان صدفة من صدف التاريخ ولكنني أريد أن يقال عن هذه الذكرى أنها ذكرى لها حلقات وان تلك الحلقات هي التى تكـون السلسلة التى نرسي بها سفينة المغرب ، تلك السفينـة التى تبقـى وستبقى رغم ما يكيده الكائدون ورغم طمع الطامعين ، نريد أن تبقى سفينتنا راسية فى ميناء الخير وفى ميناء البركة .

املي ان يوفقني الله سبحانه وتعالى لما فيه خير هذه البلاد .

أملي ان يملأ قلوبنا جميعا بذلك التسامح الفكري الذى ليس هو ضعف ولكن هو قوة فى الحقيقة .

أملي أن تذوب فى معترك المغرب كما قلت لكم جميع النزوات والنزعات والخصومـــات .

أملي أن يوفقني الله فى القيام بهذه المامورية ، ألا وهي أجل مامورية فى مهامي ، بحيث أنها ترمي الى جمع الشمل وجمع الكلمة .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

جلالة الملك يخطب في الوفد الرسمي للحجاج

استقبل جلالة الملك الحسن الثاني بالديوان الملكي عشية يوم 13 – 1 – 1972 أعضاء الوفد الرسمي المغربي الذي سيتوجه هذه السنة الى البقاع المقدسة لاداء فريضة الحج ، والقى فيهم جلالته الكلمة التالية :

حضرات السادة أعضاء الوفد :

اننا نرجو لكم الحج المبرور والسعي المشكور والجاه المنظور والصيت المشكور ونرجو لكم أن تكونوا في البقاع المقدسة أحسن سفراء لاوطد بلد في الاسلام حتى تبرهنوا للجميع على عمق عقيدتنا وعلى أصالة تفسيرنا لسنة كتاب الله وحتى تبرهنوا للجميع على تعلقنا بلغة الضاد وكتاب الله وسنة رسوله نرجوكم أن تكونوا هناك ترجمان شعبكم نرجوكم هناك وفي تلك المواقف المقدسة أن ترفعوا أنتم ومن معكم أكفكم بالضراعة الى الله العلي القدير بان يهدينا جميعا سواء السبيل وان يوحد بين صفوفنا وبأن يطهر قلوبنا وبأن يخطط لنا محجة الله تلك المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك .

عليكم أن تاخذوا بيد حجاجنا الميامين وبيد كل حاج كيفما كانت جنسيته وكيفما كان لونه وبالاخص من الناحية الاسعافية ومن الناحية الطبية .

نرجوكم أن تبلغوا جلالة الملك فيصل أخينا عواطفنا الاخوية وما نكنه لجلالته من تقدير واكبار وما له من رصيد في قلبنا في عاطفة كل مغربي من شعبنا .

نرجوكم أن تبلغوه كذلك دعواتنا له ولشعبه بدوام الرفعة واطراد العزة والاطمئنان والاستقرار .

واخيرا أوصيكم بتطبيق أوامر النبي صلى الله عليه وسلم التي جاءت في حديثه حينما قال : من كانت له دعوة صالحة فليدع بها للامير .

فادعوا لنا وادعوا لنا وادعوا لنا كثيرا حتى يهدينا الله كثيرا فنسبحه كثيرا ونشكره كثيرا ونسير على الطريق التي رسمها لنا أجدادنا وأسلافنا الا وهي طريقة الاستماتة في سبيل هذا البلد والاستقامة وحتى الله : « ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا » .

أعانكم الله في سفركم وأرجعكم لنا في صحة وعافية وسلامة .



جاءني ، وهو رجل مومن حافظ لكتاب الله ، يشتغل بالتجارة ، فقال : يا فلان ! وقعت في ورطة شغلت بالي .. وذلك ان طائفة من هؤلاء المتفقرين المنتسبين للشيخ فلان ، وذكر اسما كبيرا من أسماء المشائخ المشهورين ، مرت بي ، وهي تتسول بقلم الشيخ المذكور ، والمقدم يتوسطها ، والطبال والزمار يكتنفانها ، وعدد كبير من النساء والاطفال يتبعها ، فاعترضت سبيلي وطلبت مني هدية للشيخ ، وجعل المقدم يدعو ، والجماعة يؤمنون . فقلت ما عندي شيء . فألح علي المقدم ، فدفعته وكان قد امسك بي ، وقلت : والله لا اعطيكم شيئا !... فاغتاظ ، وجعل يدعو علي ، ويستنجد بالشيخ للانتقام مني ، كما اهنته بزعمه ، واهنت علمه وطائفته .

وسكت ، فقلت : وماذا بعد ذلك ؟

فقال : لقد ذهبت لحال سبيلي ، وانا منفعل شديد الانفعال من هذا الموقف الذى اضطررت اليه ، ثم فكرت فيما عسى أن يصيبني من أذى بسبب دعاء الرجل علي ، وتوسله بالشيخ في ذلك ، فجئت اليك ابثك امري .

فقلت له : هون عليك ، ولا تخف من شيء ، فانك لم تفعل الا ما هو واجب عليك ومطلوب منك . وعمل هذه الطائفة انما هو شعوذة ودجل لا يقرهما الشرع وليسا من الدين في شيء . ولو قدر للشيخ الذى تنتسب اليه ان يبعث ويرى عملها لتبرأ منها وطردها أعنف الطرد . فانه ما كان يرضى بالسؤال له ولاولاده في حياته ، فكيف بعد موته ؟ ولم يكن له علم ولا شارة ولا طبل ولا مزمار ، لانه رحمه الله كان من العارفين بالله ، المجتهدين في عبادته وطاعته .. والاعلام والابواق شعار البطالين ، وشان المهرجين !..

ثم قلت له : وما اهتمامك بدعاء الرجل عليك . وتوسله بالشيخ ، وانت تعلم انه لا ضار ولا نافع الا الله عز وجل ؟

الست تقرا القرآن ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : من قرا القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير انه لا يوحى اليه ، لا ينبغي لقاريء القرآن ان يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله ؟!..

ثم استقراته آية محاججة ابراهيم عليه السلام لقومه ، فقراها ، وهي قوله تعالى :

(وحاجه قومه ، قال اتحاجوني في الله وقد هدان ، ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء علما ، افلا تتذكرون ؟ وكيف اخاف ما اشركتم ؟ ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) .

وقلت له : ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما قال لقومه : (اني بريء مما تشركون) جعل قومه يحاجونه فى الايمان بالله عز وجل وفى توحيده ، فقال لهم : كيف تحاجونني وقد هداني الله عز وجل الى الحق والى الطريق المستقيم ؟ فجعلوا يخوفونه ان تصيبه اصنامهم التى يعبدونها من دون الله ، بضر او اذى ، فقال لهم : اني لا اخاف ما تشركون به ، ولن يصيبني الا ما كتب الله علي اوكيف اخاف ما اشركتم ؟ ، ولا تخافون انكم اشركتم بالله) ؟

وهذه حجة قاطعة ، مزيلة لكل شبهة ، اذ كيف يصح ان يخاف الانسان من اذى الاصنام والاوثان التى لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، ولا يخاف من الله عز وجل ان يشرك معه غيره ، وهو الواحد الاحد ، الذى لا شبيه له ولا نظير ، ولا شريك ولا ظهير ، وقد توعد على الشرك به أشد الوعيد ، واخبر انه لا يغفر لمن تلبس به ، ويغفر ما دونه لمن يشاء ؟..

فاي الفريقين اذن ، احق بالامن من العذاب ، وارجى لرحمة الله ، هل هو فريق المشركين او فريق الموحدين ؟..

لا شك ان الفريق الآمن المطمئن المستحق للثواب والجزاء ، هو فريق المومنين ، كما قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) اي شرك كما جاء فى الآية الاخرى « ان الشرك لظلم عظيم » (اولئك لهم الامن وهم مهتدون) .

وقلت له : ان كل من ينسب لغير الله ، ما هو من صفات الله الخاصة به كالضر والنفع والعطاء والمنع وما اشبه ذلك ، فانه يجعل لله شريكا ونظيرا ، سواء كان من الانس او الجن او الملائكة أو الحيوانات ، أو الاحجار أو الاشجار او الكواكب أو غيرها من سائر المخلوقات ، ناطقة كانت او صامتة ، حية او جامدة ، منظورة او خفية ، وكذا من يتعلق بشيء من ذلك او يخافه او يرجوه ، فكيف يتشوش بالك من الموقف الذى قلت انك اضطررت اليه ، وما هو الا منكر غيرته ، وباطل انكرته ، وسعي ضال فضحته ؟ . .

اما دعاء من دعا عليك ، واستنجاده بالشيخ ، فانك تقرا فى القرآن الكريم ، قول الله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) وهذا ليس منهم قطعا للمنكر الذى كان متلبسا به ساعة الدعاء ، بله استنجاده بالشيخ الذى هو ضرب من الشرك ، فانت حقيق بقول ابراهيم عليه السلام (وكيف اخاف ما اشركتم ، ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) اي ما ليس لكم عليه حجة ولا دليل ، فانه ليس فى الكتاب ولا فى السنة ما يدل على استعداء الاموات ، كيفما كانوا ، على احد . ومن فعل ذلك واعتقد انهم يؤثرون فيمن استعدوا عليه بوجه من الوجوه ، فهو مشرك بدون شك ولا ريب .

فانت احق بالسلامة والامن والطمانينة مصداقا للآية الكريمة التى تسأل : (فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون) ؟ ثم تجيب : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، اولئك لهم الامن وهم مهتدون)

فاقرا ـ يا أخي ـ القرآن متدبرا ، واتله معتبرا ، ولا تكن ممن حملوه وضيعوه ، وحفظوه ولم يعوه .

كالعير فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

طنجة ـ عبد الله كنون



ان كتابات المستشرقين وابحاثهم عن الاسلام لاتخلو من مغامز عن قصد فى الغالب ويمكن ان تكون احيانا عن جهل بمعاني التعابير العربية التى اقحموا انفسهم فى الاستنباط من دقائق مراميها وكثيرا ما يكون ذلك موجها لقواعد ثابتة يريد المستشرقون تشكيك الجيل الصاعد فى قيمتها رغم بلوغها مبلغ الشهرة او التواتر القطعي حتى يريدوا قطع النظر عن أحاديث الرسول الصحيحة واتباع أحاديث مكذوبة ارضاء لشهواتهم ، فقد تعرض البروفسور برنارد لويس فى بحثه « المساواة العنصرية فى الاسلام » المنشور فى العدد التاسع من مجلة « دعوة الحق » لشهر شوال 1391 هـ ـ نوفمبر 1971 م ، الى مصدر آخر (كما يقول) للمواقف العنصرية هو الادب الديني وخاصة ما يدين منه التحيز والتمييز العنصريين بواسطة استشهادات مناسبة قال : فلقد جمع ثقاة المسلمين عددا لا حصر له من الاحاديث بعد موت الرسول والنسبة الكبيرة من هذه الاحاديث جاءت عفو الخاطر ، **ورغم ان ذلك قد يبطل قيمتها كبرهان على آراء الرسول الخاصة** فانها مع ذلك تبقى حجة على تطور المواقف التى انشئت فيها ؟ ثم زاد هذا المستشرق فقال : يهتم عدد كبير من هذه الاحاديث بقضايا العنصر او ذاك وهكذا أثر عن الرسول قوله عن الحبشي « انه اذا جاع سرق وان شبع زنى » (الاغاني ص 270)

ثم تفطن الى ان هذا القول المأثور فى حق الحبشي من الرسول قد يقال له فيه الم تقل ان الاحاديث التى جاءت عفو الخاطر تبطل قيمتها كبرهان على آراء الرسول الخاصة فهذا منها فاستدرك على احتمال ورود هذا السؤال الذى يعود على قوله السابق بالابطال فقال : ولا شك أن هذا القول جاء عفو الخاطر ولكنه معروف فى التاريخ القديم والحديث كمثل عربي سائر عن الزنج الخ . .

نقول من المعلوم ان الرسول عليه السلام فى مقام التشريع لا ينطق عن الهوى وكثير من احاديثه الشريفة الصحيحة قد يكون لها اسباب يقولها فى تلك المناسبات جوابا عن سؤال او بيان حكم فى نازلة او بيان لآية كريمة من كتاب الله امتثالا لقول الله تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » واذا نظرنا الى قول الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ونظرنا الى قول الرسول : (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على اسود الا بتقوى الله) نجد التطابق فى المعنى بين الآية والحديث تاما وقد كان لبلال الحبشي وسلمان الفارسي مقام كريم بين جميع الصحابة من المهاجرين والانصار على السواء فكيف يتجرأ البروفسور برنارد لويس على الطعن فى الاحاديث التى جمعها ثقاة المسلمين بأن النسبة الكبيرة منها جاءت عفو الخاطر ثم يقول ورغم ان

ذلك قد يبطل قيمتها كبرهان على آراء الرسول الخاصة فانها تبقى حجة على تطور المواقف الخ .. فالاحاديث الثابتة عن الرسول سواء كانت تتعلق بالاحكام او بالعبادات او بالاحوال الخاصة او العامة لا يقال : فيها ما يبطل قيمتها في أي حالة من الحالات والعجب ان هذا المستشرق برنارد لويس يبطل قيمة الاحاديث الصحيحة التي جمعها ثقاة المسلمين ثم يلجأ للاستدلال على نظرياته بالاحاديث المكذوبة عن الرسول في الميز العنصري وبان بعضها معروف في التاريخ القديم والحديث كمثل عربي سائر ان هذا الترجيح يمكن قبوله لو كان جعل بحثه في الشعوبية التي استجدت بعد عصر الصحابة أو في الميز العنصري في التاريخ ولكنه جعل عنوان بحثه المساواة العنصرية في الاسلام .

ولنقل كلمة عن نظرة الايمة في الحديث الذي قال عنه انه مأثور عن الرسول ففي كتاب اللآلىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة (اي المكذوبة على الرسول عليه السلام) ابن عدي : حدثنا جعفر ابن احمد بن مروان حدثنا عبد الله بن الوليد حدثنا حبيب بن أبي حبيب حدثنا عبد الله بن عامر عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا ان الحبشة نجداء اسخياء وان فيهم ليمنا فاتخذوهم وامتهنوهم فانهم اقوى شيء » حبيب كاتب مالك يكذب قال: ابن عدي احاديثه كلها موضوعة انتهى (موضوعة اي مكذوبة على الرسول) ، كما ذكر السيوطي ما رواه الطبراني عن عوسجة عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في الحبش اذا جاعوا سرقوا واذا شبعوا زنوا وان فيهم لخلتين حسنتين اطعام الطعام وبأس عند البأس ثم نقل السيوطي قول الحافظ الذهبي عن وضع وكذب هذا الحديث في كتابه المغني : عوسجة عن ابن عباس روى له ابو داود مجهول ، وهناك أحاديث في هذا المعنى ذكرها السيوطي صرح في بعضها بالترك والانكار وسكت عن بعضها ولكنها لا تخلو من مغامز ويكفي انها مخالفة للاحاديث الصحيحة التي تثبت الاخوة والمساواة في الاسلام باجلى معانيها وان مناط التفاضل هو تقوى الله كما قال بعض الصحابة في حق ابي بكر الصديق وبلال الحبشي معتق ابي بكر هو سيدنا واعتق سيدنا ولكن المستشرقين ينكرون التطبيق العملي لتعاليم الشرع الاسلامي في شتى النواحي لا خصوصية للميز العنصري ويتعلقون بما لا يثبت حتى يشككوا المسلمين والشباب المثقف منهم في تعاليم دينهم الخالدة ولكن الحمد لله حيث تنبه كثير من مفكري الاسلام الى مراميهم فصاروا ينبهون عنهم من يغتر بها وتوجد في بحث هذا المستشرق مغامز مبنية على ما اسسه من الاسس الواهية يعرفها من تشبع بروح الاسلام .

على اننا لا ننكر ان الواقع التاريخي فيه شعوبية في ظل حياة المسلمين ونظرات الى السلالات في حالات لا يرتضيها الاسلام .

وعليه رد الرسول الاعظم عليه السلام بقوله : (ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بالاباء.

وقال عندما سمع بعض الصحابة ينادي بالعصبية القبلية (ليس منا من دعى بدعوى الجاهلية) وكل هذا هو المعروف الثابت الصحيح من اقوال الرسول اما غير هذا فانما يتعلق به اصحاب الاغراض للحط من المساواة التامة التي جاء بها الاسلام فالناس من آدم وآدم من تراب والله ولي التوفيق.

الرباط ـ محمد الطنجي



نشرت الكاتبة الامريكية لوسي كوميسار مقالا بعنوان : (مركز امراة) نشرته مجلة (ريدرزدايجست) الواسعة الانتشار في الجهات الاربع من العالم ، والتي يوزع فيها شهريا تسعة وعشرون مليونا من النسخ المحررة بثلاث عشرة لغة ، ليست بينها العربية طبعا.في عدد سبتمبر الماضي سنة 1971 وقدوردفي المقال العبارة التالية : مساجد المسلمين ترفع لافتات كتب عليها : (النساء والكلاب والحيوانات النجسة الاخرى محظور عليها الدخول) .

وكان الدكتور زكي النقاش أول من تنبه لهذا المقال وتبين له ان الكاتبة المذكورة اما من اليهود الصهاينة او من عملائهم لا فرق ..

وما من شك في ان التبعة فيما ورد في العبارة المشار اليها انما تقع على الكاتبة والناشر معا ..

ومما يؤكد مسؤولية هيئة تحرير المجلة المذكورة اعلاه انه سبق لها ان نشرت على صفحتين اثنتين من عدد غشت 1971 للمجلة نفسها اعلانا في موضوع : (الخطر المحدق بالشرق الاوسط وتنبؤت الكتاب المقدس) .

وازاء ما حمله العددان من مجلة (ريدرزدايجست) من تجن على الاسلام والمسلمين والعرب لم ير بعض الاساتذة بدا من القيام بكل ما يرونه دحضا لتلك المزاعم وهم الدكتور مصطفى خالدي والدكتور زكي النقاش والدكتور عمر فروخ والدكتور احسان حقي والاستاذ المؤرخ المدقق الصديق محمد جميل بيهم الذي وجه الكتاب التالي الى السيد جون . ش. ذافنفورت رئيس ومدير مجلة (ريدرزدايجست) بلندن ، وفيما يلي نص المقال :

السيد جون دافاتبور مدير مجلة زي رايدر دايجست ــ لندن

قرات مقال السيدة لوسي كوميسار المنشور في مجلتكم عدد ايلول 1971 الذي جاء فيه :

« ان مساجد المسلمين تضع لافتة تقول : النساء والكلاب والحيوانات النجسة الاخرى لا يسمح لها بالدخول » .

بما ان تلك العبارة غير موجودة البتة في معبد من اي معابد المسلمين فانــي ارى من واجبــي لفت انتباهكم الى هذا الامــر راجيــا ان تتكرموا بنشــر التصحيح الآتي وساكون شاكرا لكم اذا تكرمتم ايضا بارسال عــدد من المجلــة الـذي ستنشــرون فيــه التصحيح .

لقد قال لي الصديق الذي استرعى نظري الى المقال : « انه لا يستبعد ان تكون الكاتبة قد ارادت تلك العبارة بالذات بنشرها ذلك المقال لتشويه وجه الاسلام ، والحط من شان المسلمين . »

ولكن ذلك الافتراض من صديقــي سواء اكــان صحيحا ، ام غير صحيح فهو امر لا ينفي التعرض من صاحبة المقال الى كرامة المسلمين .

ولما كنت من المعنيين بشؤون المراة الشرقية ، ومن الداعين الى تطورها وتحررها ومساواتها بالرجل ، وبوصفي مؤلفا لاربعة كتب تناولت فيها موضوع المراة من حيث نواحيه التاريخية ، والاجتماعية والسياسية فاني اجدني مؤهلا بصورة كافية لاعمد الى تصحيح ما جاء في مقال السيدة كوميسار من خطأ سواء اكان مقصودا ام غير مقصود .

والحقيقة انه ليس من مسجد واحد شيد في الماضي او الحاضر فيه مثل تلك اللافتة المزعومة ، بل ان المساجد والجوامع كانت منذ ايام الرسول محمد، ولا تزال مشرعة الابواب للرجال والنساء على حد سواء ، كبيرها وصغيرها .

واني لاذكر على سبيل المثال لا الحصر جامع قرطبة في اسبانيا ، وجامع القيروان في تونس ، وجامع عقبة بن نافع في ليبيا ، وجوامع بغداد وطهران ودمشق ومراكش والقدس واستانبول والقاهرة . ولا يستثنى من ذلك مساجد الاتحاد السوفياتي نفسه اذ شاهدت في موسكو جامعا خصص الطابق الاول منه للنساء ، والطابق الثاني للرجال ، وبينهما كوة ترسل صوت الخطيب الى الجامع السفلي . وكذلك فقد رايت في باكو عاصمة اذربيجان الجامع وقد قسم الحرم فيه الى قسمين بستار . فالقسم الامامي للرجال ، والقسم الخلفي للنساء. هذا وبالرغم من ان الاسلام قدمنح الرجال بعض الامتيازات كغيره من الاديان الا انه قد سوى بين الرجال والنساء على الصعيد الانساني ، وفي الحقوق الاجتماعية . فاعطى المراة حق التملك المستقل وممارسة التجارة وتوقيع العقود والعمل الحر كما منحها حق كل من القضاء والحكم، وغيرها من الحقوق التي اخشى ان لا تكون المراة الاوروبية واختها الاميركية نالتاها الا من وقت غير بعيد .

واخيرا اسمح لنفسي بالتوجه الى السيدة لوسي كوميسار بان تعمد ، بعد التاكد من صحة اقوالي ، الى نشر تصحيح لهذه التهمة التي صدمت بها مشاعر اكثر من 700 مليون مسلم منتشرين في العالم .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي .

بيروت ـ محمد جميل بيهم

— * —

وقد علمنا ان السيد م . جميل بيهم قد تلقى الرد من مجلة رايدرز دايجست وهو كما يلي :

الى السيد م. ج. بيهم ـ بيروت ، لبنان .

عزيزي السيد بيهم ..

شكرا لك على تجشمك عناء الكتابة الينا بشان ملاحظة عن « مساجد المسلمين » وردت في مقال بعنوان « مركز امراة » نشر في عدد ايلول عام 1971 من مجلة رايدرز دايجست ..

لقد سررنا ان نسمع منك ، غير ان المقال كان تلخيصا لخطاب القته السيدة لوسي كوميسار في امريكا ، ونحن نشرناه بنية حسنة ، ولم يكن لنا من سبب يجعلنا نتساءل عن دقته .

مع ذلك سنتذكر بالتاكيد ملاحظاتك . مع اخلص التمنيات .

اليزابيث سقوط

عن المحرر



للاستاذ عبد الواحد الناصر

اذا كان من العبث الاستناد الى القرآن فى البحث عن تاييد للرأسمالية ، فانه من الخطأ عدم الالتجاء اليه فى ادانتها .

هناك فكرة خاطئة سائدة عبر عنها الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو بقوله : ان القرآن اشبه بالسوق يمكن ان يزود الانسان بكل شيء . فالبعض يبحث فيه عن تاييد لاستمرار مؤسسات الاقتصاد الراسمالي والبعض الآخر يبحث فيه عن ادانة لهذا الاقتصاد وتاييد للاقتصاد الاشتراكي .

وبتصاعد المد الاسلامي المعاصر ، وما يصحبه من تحديد لنوعية المسلمين العقائدية ، برز اتجاه مقابل لهذين الاتجاهين ينادي باسلامية الاقتصاد واستبدال المذاهب الراسمالية والاشتراكية والاجتماعية بالمذهب الاسلامي . وفى موازاة الاتجاهات الثلاث ، ظهر اتجاه رابع ، أساسه تجريد الاسلام من كل علاقة بالحياة العملية ، ونفي كل صلة للقرآن بالاقتصاد والحياة الاقتصادية .

ولعل مكسيم رودنسون ، العالم الاجتماعي اليهودي الفرنسي ، خير من قدم هذا الاتجاه ، وحاول أن يقيمه على مرتكزات واسس فكرية متينة فى كتابه « الاسلام والرأسمالية » (1) .

ان الجديد فى الرودنسونية يمكن ان نلمسه بوضوح فى هذه الفقرة : (القرآن بالطبع ليس كتابا فى الاقتصاد السياسي . ومن العبث ان نبحث فيه عن تايد للراسمالية او ادانة لها بوصفها نظاما للاقتصاد) . هذا الموقف ، جعل من الضروري ان يجرد الاستاذ رودنسون القرآن من كل علاقة مع الاقتصاد ، وينفي كل ما ورد فيه من أحكام تنتظم المؤسسات الاقتصادية كما يجب أن تكون فى ظل الاسلام ! على انه يعود ليخفف من وطأة هذا الالغاء بتساؤله : (فهل نحن واجدون فيه على الاقل احكاما تتصل بالمؤسسات الاقتصادية التى تعتبر ذات طبيعة راسمالية او تؤلف أسس الوضع الراسمالي او عناصره ؟) .

ويجيب على هذا السؤال بأن القرآن :

1 — ليس عدوا للملكية الخاصة ما دام ينظم احكام المواريث

2 — ينهي عن الاعتراض على ما قد يكون هناك من تفاوت .

3 — يكتفي بتوعد المترفين الذين اعتادوا الكفر بالنعمة

4 — يقر الاجارة كمؤسسة طبيعية

5 — يحث على النشاط التجاري على عكس الاديان الاخرى .

(1) هذا المقال جزء من دراسة نقدية نشرت مقدمتها فى هذه المجلة الغراء (عدد نونبر 1969) تحت عنوان : نظرات فى كتاب الاسلام والرأسمالية.

ومن هنا تتجلى « الخدمة » التي يسديها رودنسون لرجال الفكر في العالم الاسلامي ، فهو يستهدف بالدرجة الاولى أن يبين لنا معشر المسلمين المتخلفين ، أن « مرجعنا » الرئيسي ليس كتابا في الاقتصاد السياسي ! وان « العدالة الاجتماعية » التي نزعمها لاسلامنا لا تختلف عن عدالة الاديان الاخرى (ص 56) .

فرودنسون على عكس آراء ونظريات شائعة ذائعة ، يرمي الى تقرير امرين :

الاول : عبثية البحث في القرآن عن تأييد للراسمالية او ادانة لها .

والثاني : انعدام العلاقة بين القرآن والاقتصاد.

وبعبارة مختصرة ، ينصرف قصد الاستاذ رودنسن من وراء « خدمته الجليلة » الى نفي صلة القرآن بالراسمالية ليبعده في النهاية عن الاقتصاد والفاعلية الاقتصادية ! .

فما هو موقف القرآن من المؤسسات الراسمالية ؟ وهل النصوص القرآنية حيادية تجاه العقلية الراسمالية ؟ ثم ان كانت هناك مواقف قرآنية عدائية للراسمالية ، فما هو الاطار الصحيح الذي يجب ان توضع فيه هذه المواقف ؟

— ✻ —

من المتفق عليه لدى الجميع ان الوضع الاجتماعي الاقتصادي الراسمالي لم يكن قبل الوقت الراهن نظاما لاي من البلدان الاسلامية .. على أن الاستاذ رودنسون يستتبع هذا الاقرار بنفي شامل وكامل لاية علاقة بين الاسلام والحياة الاقتصادية للمسلمين تنتظمها المثل والقواعد الاسلامية . وهذا النفي ، ليس الا تحصيل حاصل ، اذ هو ينطلق مبدئيا من مسلمات الفكر الماركسي ، ويرتكز على الولاء العقائدي المسبق ، كما يبين جهل صاحبه بالاسلام وبحقائق التاريخ الاسلامي والمسلمات الاسلامية ، واعتماده في استنتاجاته وتدليلاته على نتائج وابحاث المستشرقين، الذين لم يستطيعوا رغم منهجيتهم اعطاء صورة حقيقية وواضحة وواقعية عن الاسلام والمسلمين .

واذا كان الاستاذ رودنسون يؤكد بالحاح على ان القرآن حيادي بالنسبة للاقتصاد ، فان الاستاذ جاك اوستروي يؤكد من جهته في كتابه « الاسلام في مواجهة النمو الاقتصادي » ، على ان عداء القرآن للفكرة الراسمالية : ليس عداء اخلاقيا فحسب بل هو عداء عقائدي تشريعي قانوني) . (2) .

وخلاصة راي الاستاذ اوستروي ان هناك حواجز نفسية وعوائق اجتماعية وموضوعية تعارض الاخذ بالنظرية الراسمالية (وهذه العوائق تجعل الاسلام غير مناسب للفردية ، ويعادي بوضوح الفكرة الراسمالية المركبة من حب المخاطرة والرغبة في الربح وارادة القوة والسيطرة . وهي كلها أساس الثروة الاقتصادية في الغرب) . وفي رايه ان العوائق التطبيقية تتجلى على وجه الخصوص في تحريم الربا وفي التحريمات الغذائية والصفة الجماعية لبعض المؤسسات .

ان موقف القرآن من المؤسسات الراسمالية ، يثور بجدية ، حين يتعلق الامر بمسالة الملكية . فهذا الموضوع هو اساس اختلاف الناس في التاريخ الحديث ، وانقسامهم الى فئتين ، ترى احداهما ان يتملك الانسان ما شاء من عناصر الانتاج ، وتنادي الثانية بتملك الدولة لهذه العناصر بوصفها الممثلة الحقيقية للمجتمع ، والقادرة على اعادة توزيع الثروة المكدسة نتيجة انتهاج الاسلوب الراسمالي .

ومن المحزن حقا كما يقول الاستاذ ابو السعود(3) ان نجد كثيرا من المنتسبين الى الاسلام ينقلون هذا الاختلاف الى الرقعة الاسلامية ، وكان القرآن لم يحدد لمن الاحقية في تملك عناصر الانتاج ، ولم يقدم الاطار الذي ينتظم هذا التملك . لقد كان من نتيجة هذا الاستيراد البغيض ، ظهور الجدال حول الملكية ، واتخاذ مواقف مطابقة للمواقف القائمة في المجتمعات الاوربية . فالبعض ينادي بالملكية الفردية دون حدود ولا شروط ، والبعض الآخر ينادي بالملكية الجماعية اتباعا لمذهب ماركس او بملكية الدولة لبعض وسائل الانتاج تحت شعار الاشتراكية . ومن العجب ان يسجل المرء أن كثيرا من العلماء والفقهاء في شتى البقاع الاسلامية انساقوا مع هذا التيار ، وراح

---

(2) نقل هذا الكتاب الى العربية الدكتور نبيل صبحي الطويل تحت اسم (الاسلام والتنمية الاقتصادية) وقدم له الاستاذ الكبير محمد المبارك ونشرته دار الفكر بدمشق .

(3) خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي .

الكثير منهم ينادي بمذهب نقيض ، يطلقون عليه « اشتراكية الاسلام » ولم تبق الا القلة التى تنادي « بالملكية الاسلامية » .

— * —

ان النصوص القرآنية تقدم نوعا متميزا من الملكية ، لا يصح تسميتها الا « بالملكية الاسلامية ». بمعنى ان كل نوع آخر من التملك ، لا تنطبق عليه الاوصاف والشروط القرآنية ، هو خروج عن نطاق الاسلام ، واخذ بمذاهب اقتصادية قامت نتيجة الظروف الخاصة بالمجتمع الاوربي المسيحي ، وهي ظروف لم يعرفها العالم الاسلامي ولا تنسجم مع مقوماته العقائدية والموضوعية والتاريخية .

واساس النظرية التى يقدمها القرآن ، لا تمس الملكية فى حد ذاتها ، وانما تنصب على استعمال الملكية ، فهو يقرر التملك الشخصي فى اطار القواعد التشريعية الاسلامية (وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)

للمسلم أن يتملك ما شاء من الثروات والطيبات الا ما حرم الله . وبتعبير آخر ، يجب ان يكون موضوع التملك حلالا ، ودون غصب ولا غش ولا تزوير ولا فائدة ، تؤدى عنه فريضة الزكاة ، وينفق منه فى سبيل الله ، لذا كانت النظرية الاسلامية نظرية واقعية وعملية ، حين اقرت بأن الملكية الشخصية في حد ذاتها ، ليست ضارة ولا نافعة ، وانما استعمالها هو الذى ينتج الضرر والنفع .

ان القرآن حين اقر التملك الشخصي لوسائل الانتاج، لم يكتف ـ كما يزعم رودنسون ـ بالنهي عن الاعتراض على ما قد يكون هناك من تفاوت.. ولكنه وضع بمقابله قيودا اخلاقية من الداخل ، وقواعد قانونية من الظاهر، تحول دون تجمع موارد الثروة فى موضع من المواضع بصورة هائلة ، وتجعلها بالتالي متداولة ومتبادلة بين مختلف الافراد ، ينال كل منهم نصيبه المشروع المتناسب منها .

لا شك فى ان هذه النظرة ستزعج كثيرا الاستاذ رودنسون وتوابعه ، لانها تناقض ما يدعيه من ان (مثل هذه القيود دعا اليه الفقهاء المسيحيون واخذت به شرائع عديدة دينية وعلمانية)

ويهمنا بصفة خاصة من هذه الفقرة اعتراف رودنسون بوجود قيود على التملك الخاص فى الاسلام ، اما تقليله من قيمة **هذه القيود** ، **ومساواتها** مع ما عرفه الفقهاء المسيحيون **وغيرهم** ، فانه جهل او تجاهل بما هو منصوص عليه **فى القرآن** الكريم . وفى امكاننا فى مواضع أخرى **عديدة ان** نثبت تميز القيود الاسلامية عما يعرفه **الفقهاء المسيحيون** وتعرفه الشرائع الاخرى ! .

وكثير من الكتاب **استندوا الى** حق التوريث لابراز العلاقة بين الاسلام **والرأسمالية** ، **باعتبار** ان حق الملكية يتضمن معنى الارث ، **مستدلين** فى ذلك بأن حق توريث المالك لملكيته **عمل على** تعميق جذور الراسمالية وتقوية شوكتها **وبقائها** .

على ان هذه النظرة ، **وهي مما** يستدل به العقائديون الماركسيون ، تحمل **فى طياتها** الكثير من الجهل والتجاهل ، لان نظام **الاسلام** يحول دون بقاء الثروة وتكديسها واحتكارها **على الطريقة الراسمالية**، ولان احكام المواريث الاسلامية ، **بتنظيماتها** الدقيقة المحكمة، ليست عاملا للتجميع **كما يحدث فى** المجتمعات المسيحية بصفة خاصة ، ولكنها **طريقة** للتوزيع ..

ان الفرد فى النظام **الراسمالي له** الحق دون حدود فى انشاء الصناعات **وانتاج السلع** التى تدر عليه الارباح دون اعتبار لصالح **المجتمع** الاخلاقي . وهذه النزعة الفردية المتوقعة للربح **فقط** ، ليس لها وجود فى المجتمع الاسلامي ، **وتؤدي فى** ختامها الى الاحتكارية والانتهازية **والمنافسة** الحادة بين الرأسماليين وزيادة استغلال **العمال** ، **وهي** كلها امور جاء الاسلام ليحرر البشرية **منها ويقيم** نظاما اقتصاديا بدونها .

— * —

ويمكن ان نلمس تفصيلا **وتوضيحا** لهذه النظرة فى موقف القرآن من النشاط **التجاري** . فبالاستناد الى النصوص القرآنية ، **يجب ان يخضع** هذا النشاط لقواعد وتوجيهات صارمة معادية **للعقلية الراسمالية**.

على ان الاستاذ **رودنسون** ، **وان** اعترف للقرآن بايجابيته تجاه النشاط **التجاري** ، **الا انه لا** يرى فى هذه الايجابية **اي توافق او تعارض** مع الوضعية الراسمالية ، **لان القرآن حسب** زعمه يكتفي باستنكار الغش والخداع : (**ومن الاديان** ما تزهد نصوصه المقدسة بالنشاط **التجاري على اطلاقه** . على أن من المؤكد ان هذا ليس **موقف القرآن** الذي ينظر بعين الرضا الى الفاعلية **التجارية** مكتفيا

باستنكار أساليب الغش والخداع وترك المبايعات اذا حان بعض أوقات العبادة) .

ان القرآن على عكس أوهام رودنسون ، لا يكتفي باستنكار أساليب الغش والخداع ، بل يأمر المسلمين بمزاولة النشاط التجاري في اطار تتحكم فيه قواعد الحلال والحرام ، ويرتب على مخالفة القواعد الاسلامية ، جزاء القاعدة القانونية وجزاء الآخرة ، فالمسلم على سبيل المثال ، لا يجوز له ان يجعل من الخمرة مادة لنشاطه التجاري ، لان التجارة في الخمر حرام ، ولان القانون الاسلامي لا يسمح بمزاولة هذا النشاط ، الذي يستتبعه جزاء في الدنيا وآخر في الآخرة .

والحصول على الربح الحلال ، يلزم المسلم بعدم استخدام الاساليب الاحتكارية والانتهازية ، كما يحدث في النظام الراسمالي ، الذي يستطيع الفرد في ظله ان يرفع من السعر ويزيد وينقص فيه حسب أهوائه وفي حدود مصالحه ورغبته وجشعه في الربح .

ان عداء القرآن للعقلية الراسمالية ، وطبيعتها المتعفنة ، عداء عقائدي تشريعي قانوني . والاستاذ رودنسون لا يعتقد بوجود هذا العداء ، تبعا للسياق العام لافكاره واهدافه ومقاصده . فقد كان لزاما عليه — تبعا لاختياره العقائدي — ان يقلل من اهمية ما قد يعتبر عداء للراسمالية او مظهرا من مظاهره ، حتى يظل ذهن القارىء منصرفا الى ان القرآن لا يقدم مذهبا اقتصاديا، وأن كل ما يقدمه هو قواعد عارضة، دعت اليها ظروف مؤقتة . وفي سبيل اثبات هذه الغاية ، ورط رودنسون نفسه في اثبات ما يؤيد فكرته ونفي ما يعارضها!. ولعل اوضح تورط وقع فيه هو خوضه في موضوع الربا ، الذي يبين امرين لا ثالث لهما : الجهل بتعاليم الاسلام او تجاهل الحقائق الاسلامية . وكلا الافتراضين يؤديان بنا الى حقيقة لا نأسف لها ، هي خروج الاستاذ رودنسون عن القواعد التي تنتظم البحث العلمي السليم !

ويكفي لاثبات ذلك فقرة قصيرة يستهل بها كلامه في موضوع الربا : (القرآن على وجه الخصوص يحوي بضع آيات كثيرا ما استخدمت في تحريم ممارسة الربا . أما ما هو بالضبط معنى « الربا » فلا نعرف على وجه اليقين) .

فهو من جهة يرى ان آيات القرآن «استخدمت» في تحريم الربا ، وهذا يقتضي مبدئيا معرفته بالربا على انه يناقض نفسه ويقرر بأنه لا يعرف معنى الربا على وجه اليقين ! .

ورغم اعتراف رودنسون بجهله لمعنى الربا ، يسترسل في «خدمته» لرجال الفكر المسلمين ، بتعريفهم على نظرية الربا :

1) — الربا لغة يعني الزيادة . ولكن لا يبدو ان القصد منه هو الفائدة البسيطة في المعنى الذي نعرفها به اليوم) !!

2) — تحريم الربا كأكثر نواهي القرآن قاعدة عارضة دعت اليها ظروف مؤقتة . على انهم فيما بعد جعلوا لها قيمة شاملة) !!

3) — (آيات القرآن التي تتناول الربا فيما يبدو تتوجه تارة الى المسلمين وتارة الى الجاهليين كما تشير تارة الى النصارى وتارة الى اليهود) !!

4) — (الداعي الى التحريم هو تقريع اولئك الذين كانوا يرفضون القناعة بشروط معقولة في اقراض جماعة المسلمين التي كانت في ذلك الوقت ما تزال صغيرة فقيرة) !

5) — (المقصود من التحريم ايضا كان حض المسلمين على الزكاة كمعونة للمعوزين عن طريق بيت المال الذي كان يديره الرسول) !

ان نظرة شاملة للفقرات السابقة ، تبين لنا أن:

1) الاستاذ رودنسون يجهل او يتجاهل ابسط الحقائق الاسلامية فمن وصف التحريم بأنه كان عارضا ومؤقتا .. الى التشكيك فيه لتوجهه تارة الى المسلمين وتارة الى غيرهم .. الى تعليل سطحي عقيم لسبب التحريم هو حاجة المسلمين الى الاقتراض بشروط معقولة .. الى ربط التحريم باعانة المعوزين !

2) غاية رودنسون ، كما تتجلى من السياق العام لافكاره ، هي ابطال مفعول تحريم الربا والتقليل والتشكيك في قيمته ، لانه عداء للوضع الراسمالي وللعقلية الراسمالية !

ما من شك في ان تحريم الربا والقرض بفائدة يثبت بوضوح ان القرآن ليس حياديا على الصعيد الاقتصادي ، ويعترض على الاسلوب الراسمالي . فتحريم الربا ليس عائقا امام استمرار مؤسسات

الاقتصاد الراسمالي فحسب ، ولكنه اكثر من ذلك ، يمنع وجودها ، ويوقف نمو العقلية الراسمالية ، التى تعيش من جهود غيرها .

والاسلام حين حرم الربا بنصوص القرآن الصريحة ، واشار الى ان الله يمحق ثمراته ، انما قرر مبداين :

الاول : ان لا يعيش الفرد من جهود غيره .

والثاني : ان يعيش الفرد فى مجال الانتاج كعيشه فى مجال الاستهلاك .

وهاتان الخاصيتان لا تتوفران فى النظام الراسمالي ، لان الفرد فيه يعيش من جهود غيره ، ولان الثروة تتكدس فى ظله لدى افراد قلائل نتيجة الاستهلاك غير المتوازن مع الانتاج .

وحكمة القرآن صريحة واضحة ، فهي تنصرف الى أن الربا والقرض بفائدة ، ظلم يصيب الانتاج بالعقم ، واخذ من متاع الدنيا بواسطة استغلال واستعباد الآخرين !

انه من العبث الاستناد الى القرآن فى البحث عن تأييد للراسمالية ، كما انه من الخطأ عدم الالتجاء اليه فى ادانتها !

ولا نملك فى الاخير ، الا أن نؤكد مع الاستاذ ابي الاعلى المودودي ، أكثر المفكرين المسلمين منهجية فى العصر الحاضر : ان نظرية الاسلام الاقتصادية تربط بين مصلحة الفرد الشخصية ومصلحة الافراد الجماعية ، وهي بذلك نظرية الموافقة والمعاونة دون المزاحمة والمصارعة ..

الرباط : عبد الواحد الناصر

رحم الله امرءا ...

بلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنه اشترى خاتما بألف درهم ، فكتب اليه :

بلغني انك اشتريت خاتما بألف درهم ، فبعه بألف درهم ، واطعم به الف جائع ، واشتر خاتما بدرهمين واكتب عليه : رحم الله امرءا عرف قدر نفسه .



كان لابد ان يكون للاسلام موقفه الواضح الفذ من المال قيمة وسلوكا ..

اذ ان المال عنصر ضروري فى الحياة الانسانية او هو قوام الحياة ودعامة التعامل فيها ، كتعبير القرآن حين قال : « ولا توتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيما » (1) .

ونحن هنا لا نحتاج الا الى استقراء موقف القرآن والسنة فى تقدير المال وتنظيم العلاقات حوله ،مما يصح ان يسمى بالتوجيه الاجتماعي للمال فى المجتمع المسلم ونعرض مع ذلك للمواقف التي تعكس نظرة الاسلام الى المال وتوجيهه لاتباعه فى ذلك المجال .

— * —

والانسان لا يملك ان ينطلق فى مثل هذا العرض دون ان ترجمه ذكريات التاريخ وحقائقه ازاء موقف المجتمعات البشرية من « الثروة » وتصرفها فى تقديرها وتنظيمها .

فمنذ قام المجتمع الانساني المستقر ، لم يقر للناس قرار ولم يهتدوا الى حل عادل يحقق كفاية الحاجة وينفي الاستغلال ويسد منافذ الشر . ويقضي على نوازع الاستئثار والشح ، اذ كان هناك الاقوياء الذين يستحوذون على مصادر الكسب ويستأثرون بالخير ، وكان هناك المسخرون الذين يقنعون من الحياة بجلف الخبز ، ويسيل منهم الدم والعرق فى مقابل اجتلاب ضروري القوت ..

واختلفت حظوظ المجتمعات من الاخلاق الاجتماعية ، وتباينت نظراتها الى الرحمة والاحسان ، وكانت رسالات السماء تقوم بدورها جاهدة فى رد الامر الى نصابه وتحقيق التوازن بين الاقوياء والضعفاء ، فتفلح حينا ، واحيانا لا تستطيع مغالبة دوافع السيطرة ونوازع الاثرة والطغيان ..

وحقيقة : لقد كان النزاع حول « الثروة » او الموارد ذا اثر بارز فى الصراع الانساني ، الذى يتمثل فى حروب شاملة وثورات طاحنة ، ودماء مراقة ، واستعمار واستغلال ، أو بعبارة أخرى ، كان ذلك الصراع الدموي تعبيرا عمليا عن الصراع النفسي الذى يشعر به البشر نحو الثروات والموارد.

ولا يقتضي ذلك منا أن نؤمن بالتفسير المادي للتاريخ ، ولكننا فحسب نقدر للمال خطره فى تاريخ البشرية ، ونرى فيه مشكلة كانت تبحث فى كل الاجيال عن حل ، بل ما تزال ..

— * —

(1) سورة النساء : 5 .

فماذا يرى الاسلام فى المال ؟

وما هي الاوضاع التى يرتضيها لمجتمعه فى تقريره وتنظيمه ..؟ وهل تصلح نظرة الاسلام واوضاعه تلك لتحل تلك المشكلة فى عصرنا الذى نحياه ..؟

نظرة الاسلام الى المال :

ولنبدأ بتوضيح « نظرة » الاسلام الى المال وقيمته فى مجتمعه ، فهي الاساس الذى تقوم عليه حلوله ونظمه .

ان الاسلام يرى ان المال ، وهو كل ما ينتفع به من ارض وعقار وثمار ومعادن وحيوان ، انما جعل للانتفاع الانساني ، فى ضوء علاقات ينظمها الاسلام ، نقف عليها بعد . يقول الله سبحانه :

« هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » (2)

ومعنى ذلك ان الارض بكل ما عليها خلقت لانتفاع الانسان ، وجعلت مجال عمله وكسبه ، وكل الثروات المبثوثة فى الارض ظاهرا وباطنا ، نعمة من الخالق سبحانه ، افاضها على الناس جميعا ، فهي الاقوات والارزاق التى تكفل الحق سبحانه بتدبيرها وتقديرها ، بعد ان خلق الارض وقدر عليها وجود الانسان :

« وقدر فيها اقواتها .. »

وكان لابد ان يميل الانسان بفطرته الى الكسب واحتياز الثروة ، اذ يرى ان قوام حياته متعلق بذلك ..

وانتهى الامر بالانسان الى غريزة اصيلة ، تعلق قلبه بالمال وتصرفه اليه ..

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب » (4) .

« وانه لحب الخير لشديد » (5) .

وفى ذلك يصف القرآن كيف انتهى الامر وخاصة بعد نشأة المجتمع الانساني المستقر ، وبعد تزاحم الناس على الموارد وصراعهم من اجل خيرات الارض ، الى أن صار المال حافزا اصيلا لدى الانسان ، او قيمة ذات صدى فى نفسه ..

فهل يلام الانسان على ذلك ..؟

وكيف يقف الاسلام من « حب المال » ؟

اما ان يحب الانسان المال او يسعى لكسبه ، فلا لوم عليه ، ما دام يلتزم جانب العدل والحق فى ذلك ، فلا يغصبه ولا يجتلبه من معصية او ظلم ، ولكن الاسلام لا يريد الا ان يخفف الانسان من غلوائه ويحد من نهمه ، ويصحح نظرته الى المال ، فيراه بمنظار الرشد والصواب ، وعندئذ يطمئن فى سعيه، ويستريح فى كدحه ، ثم لا يحجب المال عن وجوه البذل ومواطن الاحسان ولا يغفل عن الحقوق الاجتماعية المتعلقة به ..

وسبيل الاسلام الى ذلك ان يوضح للانسان حقيقة المال ومآله ، ويكشف له عن المدى الذى يمكن أن يسعده به .. سعيا الى علاج الاثرة ورغبة فى التخفيف من حدة الصراع ، وما يمكن ان يجره على الانسان من شقاء ..

ولهذا تكرر فى القرآن المفاضلة بين المال فى فنائه وزواله عن الانسان او زوال الانسان عنه ، وبين « الباقيات الصالحات » او القيم الثابتة فى حياة الانسان ..

فان ذلك أجدى أن يشفى الانسان من ادواء التكاثر والتفاخر ..

يقول الله سبحانه :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا » (6) .

والحق أن هذه مفاضلة بين الاثرة والايثار ، او بين « الانانية » والروح الاجتماعية ، فان « الباقيات

---

(2) سورة البقرة 2
(3) سورة فصلت 10
(4) سورة آل عمران : 14 .
(5) سورة العاديات : 8
(6) سورة الكهف : 46 .

الصالحات » لا تنال الا ببذل المال فى نواحي الواجب والخير ، والخروج عنه ابتغاء رضوان الله ..

« ان سعيكم لشتى، فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغني عنه ماله اذا تردى » (7) .

ويخطيء من يظن ان القرآن يفاضل بين كسب المال وعدم كسبه ، فان ذلك غل ليد الانسان عن الحياة التى استخلف فيها ، او دعوة الى الخروج منها وهو فيها ، ولكنه يفاضل بين احتياز المال وتقديسه ، حتى يصير عند صاحبه معبودا يسترضى او املا يناجى ، وبين انفاقه فى الحق ووضعه فى موضعه المستقيم ..

وحين نقرأ هذه الآية نجد فيها صدق ذلك :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب ، قل اؤنبئكم بخير من ذلكم؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله، والله بصير بالعباد ، الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » (8) .

فان وصف الانفاق هنا يتجه الى ان هؤلاء المتقين يحوزون المال من حله ، ثم يجودون به فى سماحة فى سبل الخير ويقدمونه فى مواطن الحاجة ..

اما ان يفهم ان الاسلام يدعو الى نبذ الدنيا ورفض العمل والكسب ، نفورا من المال وايثارا لما عند الله ، فذلك فهم سقيم يتناقض مع روح الاسلام ووجهته فى الجمع بين الدنيا والآخرة ..

وفرق بين هذه النظرة العادلة من كسب المال من سبله المستقيمة ، وانفاقه فى سبيل رعاية المباديء الفاضلة وسد مواضع الحاجة والعوز ، وبين الشراهة فى احتياز المال لذاته ، استجابة لشهوة التفاخر والتكاثر ، وتنمية لمشاعر الاثرة والرغبة فى التفوق والاستحواذ ، فان ذلك تجاوز بالمال عن قدره، وفساد فى التقدير يؤدي بصاحبه الى عبادة المال والنظر الى الحياة والاحياء بمنظاره ، مما يفسد الفرد والمجتمع على السواء .

ومن هنا يقف القرآن ذلك الموقف الحاسم من حب المال وتقديسه والتعبد له، والتجاوز به عن قدره .. حتى يحفظ على مجتمعه النظرة المستقيمة ويذود عنه سعار المادية وحدة الصراع ويطهره من دنس التكالب على المال واتخاذه اداة للافساد فى الارض والاخلال بالحقائق والقيم .

ولذلك يتجه الى الجاهليين ينعي عليهم حبهم للمال ذلك الحب الشديد ، الذى ادى بهم جمعه من غير حله والبخل به عن مواطن البؤس والفاقة .. « كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين ، وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما » وهو فى ذلك يصور الداء ويصف اسبابه .. فما يكف الانسان يده عن الاحسان ويجحد حق اليتيم والمسكين ، ولا يشره فى جمع المال من أين تأتى له ، الا حين « يحب المال حبا جما » فيتعلق قلبه بجمعه ويرى فيه غاية حياته ومنتهى آماله ..

وذلك شر يتردى فيه الفرد والمجتمع ، ولابد لطمأنينة الحياة واستقامتها من علاجه والقضاء على اسبابه .

ويقرر القرآن ذلك حين يقول ، وهو فى مكة لا يزال :

« كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » وهي في مناسبتها تمثل طغيان ابي جهل وأمثاله من كفار قريش ، حين وقفوا فى وجه الاسلام وحاولوا اطفاء نوره استنادا الى جاههم وثرائهم ، ورفضوا بحث مضمون الدعوة الجديدة او الاصغاء الى منطق العدل والتأمل ، لاطمئنانهم الى الاوضاع الاجتماعية الجاهلية ورغبتهم فى الا يفقدوا مكانتهم ولا يهبطوا عن جاههم وزعامتهم .

ولذلك نرى آيات الكتاب الكريم تتجه بضربات قوية الى سادة الجاهلية الاثرياء ، وتكشف عن مصيرهم الاليم ، ما داموا يتعبدون للمال ويصمون عن نداء الحق .. حتى تزلزل مكانتهم وتصور باطنهم الكئيب .

---

(7) سورة الليل 4 ــ 11 .
(8) سورة آل عمران 14 ــ 17 .

انظر الى هذه الصورة الدقيقة يرسمها القرآن لبعض هؤلاء ، من عبيد المال :

« ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده، يحسب ان ماله اخلده، كلا، لينبذن فى الحطمة» (9)

انه جمع مالا .. كثيرا .. افنى عمره فى احتيازه ، وصار لديه معبودا يسترضيه بالزيادة والنماء ، ثم انطلق يعبث فى انحاء مجتمعه بالفساد والايذاء ، مطمئنا الى حماية المال مستندا اليه .. حتى ليتوهم الخلود بسببه .. ولكن ذلك الوهم ضائع ، حين يفارق الدنيا وينبذ مهينا فى جهنم .

انها وسيلة للقرآن ، اراد بها ان يحطم طواغيت المادة وان يصحح النظرة الى المال حماية للمجتمع وابتغاء لامنه .

— * —

ويتبع القرآن ذلك بتوضيح انه لا علاقة بين حظوظ الناس من المال واحرازهم للثروة وبين حظهم فى الآخرة او نيلهم لرضوان الله .. فان الثورة ليست فى ذاتها دليلا على مكانة صاحبها عند الله ، وليست برهانا على استحقاقه للتقدير والتكريم .. حتى لا تكون المبالغة فى كسب المال من اي وجه ، مثلا اعلى فى المجتمع ، فيزداد الصراع وتضطرب المقاييس والقيم .

فقد يحرز الانسان المال الوفير ، ولكنه لا يكون فى حساب الحق شيئا مذكورا ، ولا يقع من رضوان الله بمكان .

« ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ، نسارع لهم فى الخيرات ؟ بل لا يشعرون » (10) .

ولا تقف الآيات عند هذا الحد ، بل تعقب ذلك برسم صورة زاهية للذين يسارع لهم ربهم فى «الخيرات» حقا .. حتى تتحطم المثل الزائفة التى كانت تعشى الابصار فى الجاهلية العربية .. وكل جاهلية ..

فيقول سبحانه :

« ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ، اولئك يسارعون فى الخيرات ، وهم لها سابقون » (11) .

ان هؤلاء الذين يبتغون من حياتهم تحقيق مثل اعلى يؤمنون به ويعملون له ، والذين تسقط لديهم كل قيمة زائفة وكل نظرة الى الحياة مختلة ، فلا يرون فى الثروة غاية تبتغى ولا هدفا يذهل الانسان عما وراءه ، هؤلاء ينفقون ويؤتون فى سبيل الخير « ما آتوا » « وقلوبهم وجلة » تخشى سوء الحساب وتشعر بعظم التبعة وتحس بخطر التكليف وثقل الامانة التى حملها الانسان ..

فهما نموذجان يعرضهما القرآن ويفاضل بينهما ..

الذين يركنون الى المال ويتنافسون فى جمعه ، ويعيشون فى حمايته ، يتفاعلون مع الحياة بالشر ومع المجتمع بالايذاء ، فتصبح نعمة المال فى ايديهم نقمة ومفسدة تلحق الشقاء بالمجتمع وتشارك فى اختلال قيمه واضطراب موازينه .

والذين ينظرون الى المال على حقيقته ، وسيلة يشارك بها الانسان فى الخيرات ، وابتلاء ينجح الانسان فيه على قدر احسان التصرف فيما وهب له ، واولئك لا يستذلهم المال ، ولا تخفض هاماتهم اي ثروة مهما جلت ، ولا تحملهم على التخلي عن مبادئهم او الاغضاء عن منكر يرونه او فساد يشعرون به ، واولئك هم المفلحون .

مكة المكرمة ـ مصطفى عبد الواحد

---

(9) سورة الهمزة : 1 ـ 4 .
(10) سورة المومنون 55 ـ 56 .
(11) سورة المؤمنون 57 ، 61 .



من المصطلحات التى طرحت على الفكر الاسلامي مفهوم (الضياع) على نحو العبارات التى يرددها بعض الشباب من عبارات ترجع فى الاصل الى مصادر وافدة ذلك ان الامة العربية الاسلامية اذا ما التمست مناهجها وقيمها فانها لا تخضع لمثل هذه المذاهب والنظرات التى تتعارض مع طابعها وتشكلها الاساسي والجذري وفطرتها الاصيلة . وتراثها الحي الذى اقامه الاسلام على اساس التوحيد والايمان والاخلاق والترابط الواضح بين العقل والقلب وهو ترابط مستمد من تركيب الانسان نفسه فهو موافق له ، يحول دون التمزق او الضياع الذى يكون مصدره فى الواقع ، ذلك الانفصال بينهما واعلاء احدهما ووضع الآخر بعيدا عن الضوء .

ان العامل الاول الذى يحول دون خضوعنا لمثل هذه المذاهب هو تكامل نظرتنا الى الحياة وتلك الوسطية التى تتسم بها طبيعتنا وسطية تحول دون الانحراف او التجمد .

فنحن لا نتحيز لجانب العقل وعالم الشهادة وحدهما ، ولكننا نؤمن بالعقل والقلب اسلوبا للمعرفة ، ونقيم عالم الشهادة والغيب معا متكاملين ونؤمن بالبعث والجزاء .

ولذلك فنحن لا نسرف ولا نغرق فى فلسفات الحسيات والماديات والغرائز ، ولا نسرف كذلك ولا نغرق فى فلسفات الزهد وتعذيب النفس والرهبانية .

ومن هنا فان فكرنا مطبوع دائما بطابع السماحة والتفاؤل والتطلع الى رحمة الله وهو ما يحول دون التمزق والضياع .

بينما يقوم التمزق والضياع فى بيئات قصرت مفهومها على النظرة المادية وحدها ، وانكرت الايمان بالله ، وعزلت المجتمع عن الالتزام الخلقي .

ولقد اقام الفكر الاسلامي مستمدا من القرآن ميزانا ظل حيا على مدى العصور لم يسقط أبدا ، ذلك هو ميزان التكامل والوسطية والحركة ، ذلك القسطاس الذى كان قادرا دائما على تعديل مسار الفكر الاسلامي اذا اتجه نحو التجزئة او الانحراف او التوقف .

وقد كشف التاريخ فى موجاته المتصلة وحركاته المتوالية ان مصدر الخطر على المجتمع الاسلامي انما يجيء من التخلف او الانحراف عن مفهوم الاسلام ، او الانفصال عنه فى نظرته المتكاملة للكون والانسان والمجتمع . وهي نظرة قوامها التوحيد ومنهجها العدل والحق وروحها الايمان وطابعها الاخلاق فى نطاق الوسطية الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والاخرة .

وهذا هو مفتاح حازمة التمزق والضياع التى فرضتها فلسفات الوجودية والفرويدية حين طرحت انفصال الدين عن المجتمع والاخلاق عن الحياة .

ولقد كانت اصالة فكرنا وعمق جذوره وذاتيته الخاصة دائما عامل قوة وايجابية قادرة على شجب تيارات التمزق والضياع .

— * —

ان اخطر ما يلقى الى الاجيال الجديدة من سموم الاقطار التى لا تصمد لحظة واحدة امام ضياء الحق او نور العلم تلك النظرية التى تقول بأن الاخلاق نسبية مع كل عصر او بيئة .

وهي نظرية تهدف الى القول بأن هذا العصر الذى طغت فيه المادية والحضارة التكنولوجية من شأنه ان يفهم « الاخلاق » فهما مغايرا لمفاهيمها التى جاءت بها رسالات السماء .

والحق ان الاخلاق ترتبط بالانسان ذلك الكائن الحي الذى يقوم تركيبه على الروح والجسم والعقل، والذى لم يتغير هذه المواد فى تركيبه منذ استوى على هذه الارض ، فالاخلاق مرتبطة بـه وليست مرتبطة بالصورة المادية للمجتمع .

ومن هنا كانت صياغة الاخلاق التى تحمي وجوده وتضبط مسيرته وتدفع عنه الاخطار وتحققه بناء سليما قادرا على العمل والدفاع عن أرضه وصنع الحياة ، كانت هذه الصياغة ملائمة تماما لتركيبه ونوازعه .

وابرز مفاهيم الاخلاق بالنسبة للانسان «الالتزام الاخلاقي» وقد اخطا بالعمد « دوركايم » حين اشاع نظرية مسمومة تقول : ان الاخلاق خاضعة لظروف الحياة ، وان نظام الاسرة ليس نظاما فطريا .

هذه النظرية الخطيرة التى ارتبطت بالايديولوجية اليهودية لتدمير الانسانية (وجماعها : التغير المادي للتاريخ والتغير الجنسي للمجتمع والوجودية)

هذه المحاولة لتجريد الاخلاق من فكرة الالزام والواجب والضمير الخلقي هي أخطر المحاولات التى صنعت فكرة الضياع والقلق والتمزق . والحق ان الاخلاق لا توجد كقوة فاعلة فى المجتمع دون فكرة الالزام ، ايمانا بان الالزام هو العنصر الاساسي او المحور الذى تدور عليه قضية الاخلاق .

والواضح أن زوال فكرة الالزام يقضي على جوهر الحكمة العملية التى تهدف اليها الاخلاق ، فاذا انعدم الالزام انعدمت المسؤولية ، واذا اعدمت المسؤولية ضاع كل امل في وضع الحق فى نصابه واقامة اسس العدالة .

ومفهوم الالزام يقتضي ان تكون الفضيلة قوة كامنة اذا ملأت نفس المرا حفزته الى العمل النافع . حيث تتحول الفضيلة من قوة معنوية فى النفس الى قوة حسية .

ويكون المميز الاخلاقي بمثابة سلطة ملزمة يتقيد بها الجميع . وقد دعا القرآن الى الالزام الخلقي وكشف عن ان النفس الانسانية عرفت منذ تكوينها الاول معنى الخير والشر .

« ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها »

وقد الهمت النفس الانسانية الحدس الخلقي ، فعرفت طريقي الفضيلة والرذيلة «وهديناه النجدين»

وقد تنحرف الطبيعة الانسانية نحو الشر ولكن الانسان قادر على أن يردها ويستعيد قدرته وسيطرته على قيادها. وفى النفس قوة كامنة مهيئة لتقبل التوجيه والنصح ، وهي تحدد للانسان ما يجب عمله ، وما يجب تحاشيه ، هذه السلطة التى تسيطر على قدراتنا وعلى غرائزنا هي اسمى جزء فى نفوسنا وهي « العقل » وسلطة العقل هي السلطة الشرعية الوحيدة .

— * —

ولا شك ان ازمة الانسان الغربي قد كانت موضع دراسة الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع وهم بين جاد منصف يريد ان يلتمس حلا حقيقيا فى ضوء العلم ، والتجرد الخالص ، ومنهم من يستهدف وضع حلول من شأنها تدمير النفس الانسانية وتمزيقها ، وقد علت هذه الاصوات الاخيرة ، بالرغم منزيف حلولها ومذاهبها لان قوى الايديولوجية الصهيونية كانت من وراء نشرها والالحاح عليها بينما اخفقت سريعا كل المحاولات الجادة .

ويرى هؤلاء المنصفون ان الاعتماد على التفكير العقلي المجرد غير قادر على حل مشكلة الاحساس بالغربة او التمزق والضياع فان هناك امكانيات اخرى فى الانسان لابد من استغلالها والامكانيات تنحصر فى قدرة الانسان على الاستفادة من قوى ثلاث هي قوة الارادة وقوة العقل وقوة العاطفة . وانه لابد من ايجاد الوحدة بينهذه القوى الثلاث باعتباره الوسيلة الوحيدة لتحقيق التوازن النفسي والتكامل النفسي.

وان هذا الاضطراب القائم تحت أسماء الغربة والتمزق والضياع انما نتج اساسا من ضعف العقيدة الدينية التى قلل من اثرها سيطرة التفكير العقلي الصرف ، فنحن بحاجة ماسة الى اشباع هذه العاطفة الدينية اشباعا نجد فيه الملاذ الذى نبحث عنه .

وان غياب العقيدة الدينية والايمان بالله ، الذى لا يغني عنه شيء ، كان عاملا هاما فى هذه الازمة ، ولذلك فان حاجة الانسان الى اشباع عاطفته الدينية أمر لا ينقطع (1)

ويرى كولن ولسن فى كتابه الغريب ان هـذه الازمة هي ازمة الانسان الحساس العاقل الذى فقد ايمانه بالله ولم يجد بعد ما يسد حاجاتـه العاطفيـة التى كان الايمان مركزا اشباعهـا ، وهي ازمة لعب العلم والتفكير العقلي فيها دورا بالغ الاهمية ادى فى نهاية الامر الى ضعف العقيدة الدينية

وعنده ان احد نتائج هذه الازمـة هي اشهـار الافلاس العقلي والتفكير العقلي .

ودعا كولن ولسن الى ضرورة تحقيق اتساق او توازن بين قوى الانسـان الثلاثة : الجسم والعقل والعاطفة وذلك لان الانسان وحدة لا يتجزأ

ويرى كولن ولسن ان على الانسـان ان يتحـرر من معتقدات وهمية كثيرة اهمها فكرة الخطيئة الاولى التى تسيطر على بعض النـاس وتقـف حائـلا دون رؤية الحقيقة .

ويصل كولن ولسن الى اعماق الازمة حين يشير الى الآثار التى أفسدت العقلية الغربية والتى تتمثل فى آثار بعض الكتاب من امثال جوته (الام فارتـر) وشيلر وسارتر وكامو وجيمس جويس .

وكل هذه الآراء تحاول ان تصور الحيـاة وقـد انعدمت معانيها وقيمها وغايتها مما ادخل على حياة الناس السأم والانهاك والاشفاق على النفس بل الى مئات الذوات .

وفى قصة الغريـب لالبيـر كامـو والغثيـان لسارتر تبدو صورة مريـرة ، تقـوم على الرغبة فى انكار قيمة للحياة وفى كـل منهمـا ذلـك الاحساس بالقلق والنفور والتصدع القائم بين الفرد والمجتمـع وفى شعور الانسـان فجاة بانه غريب وبانـه يشرب نفسه دون ان يكون ظمآن ومن هنا يأتيه الاحساس بالغثيان .

ويرى كولن ولسن ارتباط هـذه الفلسفـات بالآثار المسيحية الغربية .

وقد كان بعض اعلام الفكر الديني الاروبي يرى أن الشعور بالألم او الشعور بالخطيئة هو السبيـل الى الايمان والى الوصـول الى ما يسـمى بدوائـر الايمان العليا ، وبمعنى آخر ينبغي للانسان ان يمر بعذاب الضمير فان عذاب الضمير الناجم عن الشعور بالخطيئة هو الذى يحقق ما يسمى بالوجود امام الله

ويرى كولن ولسن ان هذه هي فلسفة كيركجارد او من يطلق عليهم الوجوديون المؤمنون وهي ترتبـط بفكرة الخطيئة

اما نظرية سارتر وكامو فتصورهـا مسرحيـة (الله والشيطان)

وابرز معالمها نبذ العقائد الدينية ومحاولة القول بخطورتها فى تعويق تقدم الانسـان وتكبيل حريته .

واسوا ما تصل اليه هي القول بان « الموجـود الوحيد فى العالم هو الانسـان » مما زلزل ايمان الناس فى الغرب فى اقدس مقدساتهم .

وان الفكر الديني الغربي هو الذي أفسـد فهم الناس لكثير من الحقائق ومن هنا كانت دعوة كولن ولسـن الى نبذ فكرة الخطيئة كاساس للتحـرر من الغربة والغثيان .

ويشير كولن ولسن الى ان اخطر ما أصيب به الفكر الاوربي هو تأليه العلم وتقديسه بل وتسخيره احيانا فى اشعال الحروب وكان طبيعيا ان يؤدي هذا الى خلق الشعور بالقلق المقيم الذى استبد بانسان القرن العشرين حتى أصبح مرضا شائعا وطابعا يميز انسان هذا العصر ، وقد صاحب هذا احساس بعبث الحياة وانعدام الدافع والمسوغ لبذل الجهد والطموح فى عالم قد يباغته الدمار فى كل لحظة .

— * —

وهكذا تقف بعض الاقلام الداعية لتصور ازمة القلق والضياع والغربة فى الفكر الغربـي ، وهـي ازمة لا تستطيع ان تقتحم آفاق الفكر الاسلامـي الا بصعوبة بالغة ، ذلك لان عواملها لا تتوافر هنا الا من باب التقليد المحض ، ومن باب الغزو الثقافي .

---

(1) دكتور مصطفى بدوي ـ مجلة كلية الآداب 1958 .

فالاسلام بسماحته الفائقة وروحه البناءة المليئة بالتفاؤل والايجابية ، والبعيدة عن كل تعقيدات الاضطراب النفسي تحول تماما دون وجود ازمة الغريب فى المجتمع الاسلامي .

وان اخطر ما تقوم عليه هذه الازمة وهو مفهوم التطور فى الاخلاق والغاء الالتزام الاخلاقي ، هو من الامور التى يتمسك بها الفكر الاسلامي ويعتبرها اساسا عميق الجذور فى بناء المجتمع . ولعل هذا هو اعمق الفوارق بين الفكر الاسلامي وبين النظريات الفلسفية المادية الزائفة ، التى تدعو الى التطور المطلق ، والحرية المطلقة ، والتى تفسر العقل والقيم والتقدم على نحو مختلف عن الاصول التى يقوم عليها الفكر الاسلامي

ولعل ابلغ تصوير لهذا المعنى ما يقوله الدكتور اسماعيل الفاروني فى مقارنته بين فكر العنصرية الصهيوني وبين فكر الحنيفية العربي الاسلامي .

« ان القول بوحدانية القيم امر تفرد به العرب دون سواهم فوحدانية القيم هي نفسها وحدانية الله، وهذه الوحدانية ادراك عربي طرأ على الوعي العربي (نتيجه الرسالات السماوية) مصطحبا جانبه الاخلاقي .

على حين ان غير العرب من الشعوب قد لبثت قرونا حتى بعد ان اخذ بالوجه الديني من تلك الوحدانية قبل ان يدرك جانبها الخلقي واعتى بها وحدة المعيار بين مختلف الناس بغض النظر عن اجناسهم والوانهم .

« لب هذه الرسالة هي ان الله موجود وانه واحد

« اما وجوده فمعناه عند العقل العربي **وجود « القيم » وجودا مستقلا عن الانسان ووجوده ، أعني أنها ليست من صنع الانسان كما تقتضي ظروف عيشه .**

«ومعناه كذلك عند العقل العربي ان حياة الانسان على هذه الارض لم تكن عبثا .

« اما كون الله واحد فمعناه عند العقل العربي ان القيم تحمل معيارا واحدا لا يتأثر باختلاف الزمان والمكان .

« فالمعيار واحد بكل انسان أي كان وحيثما كان فليس لكل مجموعة من الناس معيارها الخلقي ومعيارها الذى تقيس به الحق بل الخير خير بالنسبة لكل البشر والحق حق بالنسبة للناس اجمعين

« فالقول بوجود الله وبوحدانية الله اذن هو من صميم الاعتراف بموضوعية القيم وبتخليصها من قيود النسبية التى تقر اختلاف المعايير باختلاف الظروف .

« فالانسان امام الله هو الانسان لا اختلاف بين فرد وفرد اذا ما قيس الافراد بمقياس الاخلاق الذى هو مقياس الحق » (1) .

— * —

وهذا القول بثبات الاخلاق هو حقيقة اعلنتها الاديان المنزلة جميعا واكدها الاسلام فى وضوح، وهي فصل مضاد لكل اخطار المفاهيم المسمومة المنحرفة التى تطرحها ايديولوجية الصهيونية العالمية لافساد النفس الانسانية وتدميرها .

ومن هنا يبدو فساد تلك النظرية التى طالما اثارها كتاب التغريب نقلا عن دوركايم وسارتر وفرويد والتى تربط الاخلاق بالوسط ، بينما ترتبط الاخلاق الانسان نفسه وبتركيبه العقلي والروحي والمادي . وان اقوى العوامل فى تكوين الاخلاق هي العقائد التى تستطيع ان تحول النفس الانسانية من التقبض الى التقبض ، وان القول بأثر البيئة او الوراثة امر يجيء فى الدرجة التالية ولكن العقائد هي اقوى اثرا فى تحويل الطبائع وتحرر النفوس من آثار البيئات والوراثيات وليس الانسان ابن غرائزه كما يدعي اصحاب المذاهب الهدامة ، ولكنه ابن عقيدته ، ابن الايمان . وقد بدل الاسلام الناس ، وطبائعهم ، وغيرهم تغييرا جذريا على نحو يستطيع ان يكشفه كل من يقرأ الدعوة الاسلامية مما يؤكد زيف هذه النظرية ويؤكد قدرة العقيدة الصغيرة على تغيير النفوس .

ولقد آمن المسلمون بأن الالتزام الاخلاقي هو طابع كل القيم وقيمها ، ومن هنا فان المسلمين لم ينظروا الى الاخلاق على انها نشاط عقلي او موضع جدال فكري ، ذلك ان الاسلام جعل من الاخلاق منهجا عمليا لاقرار قيم التوحيد والايمان والحق .

القاهرة ــ انور الجندي

(1) فى مقارنات الأديان ــ للدكتور الفاروني .

الأسرة الإسلامية والتربية

للاستاذ محمد العربي الناصر

- 2 -

تعرضنا فيما سبق لابعاد الاسرة الاسلامية وكان ذلك اقرب الى علم الاجتماع من التربية . اما الآن فسنحاول ان نرى دور تلك الابعاد في تحديد الجو التربوي العام للاسرة الاسلامية . وهي في نظري يمكن ان تقسم قسمين :

1) جانب يمثل الجانب المادي النفسي للاسرة الاسلامية ..

حيث الاسرة الاسلامية تنطلق من نظام فطري كوني يقرره التصور الاسلامي في الخلق (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ويقر به التصور الاسلامي اجتماعيا ونفسيا وعقليا فترك لذلك مغزى تربويا عميقا في الاسرة . فنفسية الابوين (الزوج والزوجة) اللذين يوجهان ويرشدان واعية بالمهمة الطبيعية التي يمارسانها ،مهيأة لتقبل الاطفال في اسرتهما وتحمل مسؤوليتهم . فتتسق نفسيتهما مع القانون الفطري والنظام الاجتماعي فلا يشتكيان من الزوجية او الوالدية ويتم هذا بطبيعة الحال بالتوعية والتربية داخل الاسرة منذ الصفر .

وهذا الجو من الناحية التربوية يهيىء للطفل حاجة من حاجاته النفسية الاكيدة فيشعر بمكانته في المنزل ويشعر بأن والديه يقدمان الكثير من التضحيات في سبيل اسعاده فيكشف الطفل انه مرغوب فيه وانه مقبول في عائلته (1).

وخاصة ان الاسرة الاسلامية في وعيها قائمة على اساس نظام الزوجية الفطري الكوني ليستمر النسل ..

وهكذا نلاحظ انه ليس كافيا ان يكون الزواج لتتم عملية الناموس الكوني الاسلامي ، بل لابد من وعي يجعل من الاسرة ميدانا خصبا لممارسة متطلبات التربية . فاذا ما وجد هذا الجو المتناسق مع الفطرة فان الاطفال الذين يعيشون في احضان الاسرة الاسلامية يجدون الخير العظيم عندما يتطلعون الى العالم من حولهم . فدائرة الاسرة الاسلامية واسعة وقد شملت الاطراف والحواشي وتماسكت بصلة الرحم والتعاون والتعاطف والاطفال يجدون في اتساعها وارتباطها مجالا واسعا لحيويتهم ونشاطهم وقد يجدون فيها الرعاية والعناية على طريقة دور الحضانة من لعب وارشاد وتعلم .. لان اتساع الاسرة الاسلامية تهيىء في هذه الاوكار كثرة الاولاد من جانب وكثرة الامهات من جانب آخر . وهذا يتلاءم مع دور الامهات وتفرغهن للتربية ..

ان التخصص في الاعمال وتقاسم الاعباء والتعاون في تحمل مسؤوليات الاسرة يخلق نوعا من

---

(1) الصحة النفسية ، للدكتور مصطفى فهمي .

الاتحاد والتضامن الكامل داخل الاسرة والاطفال فى حاجة ماسة الى ذلك ليستمدوا حاجاتهم الى الانتماء والتعاون مع الغير وتقاسم الاعباء والتطلع الى المسؤولية لكي يتم نموهم النفسي سليما صحيحا ، ويتم تكيفهم تكيفا يلائم نفسيتهم (2) .

الا ان كل هذا ــ صلة الرحم والتعاون والتكافل .. الخ ــ لا يمكن ان ياتي بثماره كاملة الا اذا اثمرت المودة والمحبة فى الاسرة الاسلامية . فمن هذ الحب ينشأ الود كله فى كل الصدور ومن رحمته تفيض الرحمة كلها على كل القلوب (3) .

هذا الحب العائلي المتبادل له الاثر العظيم على نفسية الطفل . فالطفل يجب ان ينمو ويكبر ويحظى بالحب والطمأنينة من الوالدين والمحيطين به وهذا شيء اساسي للنمو الصحي النفسي السليم. (رسمية علي خليل وكتابها الارشاد النفسي ص 69) .

هذا الجو التربوي العام يلبي الجذور العميقة للحاجة الى الحب التى تمتد فى طبيعة الانسان منذ الطفولة . واما الاسرة الجاهلية اليوم فخالية من هذه الخصائص ، فهي تقوم على استقلال الطرفين وعملهما خارج البيت معا ، فينتفي تعاونهما الاسروي وتكافلهما مما يجعل الاسرة الجاهلة ممزقة ، قلقة ، خالية من مركز الثقل الذى تنجذب اليه ويعيش فى كنفه الاطفال فى طمأنينة وتعاون وتضامن فاغلب الاطفال فى هذه الحالة يعيشون وحدهم او مع اناس لا يشعرون بالاطمئنان معهم . وهذا مناقض للاسرة الاسلامية التى يسودها التفاهم والصراحة والتشاور والصبر والمعاملة بالمعروف والتعاون والتكافل وصلة الرحم والمودة والرحمة .. الخ مما ينتج الاستقرار وسلامة البيت لان الاسلام يريد للضمائر ان تقر وللارواح ان تطمئن وللبيوت ان تهدا ... يريد السلام للعش الذى ليس ملكا للزوج وليس ملكا للزوجة فهما فيه راعيان للفراخ الزغب اميتان على الطفولة النابتة ، حارسان للحياة المتفتحة فى مثابة الامان (4) .

2) جانب يمثل الجانب التصوري الروحي للاسرة الاسلامية ..

وهذا الجانب هو فلسفتها التربوية وروحانيتها، او بمعنى اسلاميتها التى تضفي على الاسرة فلسفة خاصة فى الحياة والوجود وفى تربية الانسان . الا ان هذه الفلسفة التربوية لا تنحصر فى الطفولة او المراهقة كما لا تحد بالمجال التعليمي ، بل تنطلق الى ابعد من ذلك ، تنطلق الى الحياة كلها والى كل اطوار الانسان ومراحله ، والى غاية وهدف الحركة الاسلامية جميعها .

فكلنا نعلم ان غاية الاسلام وهدفه هي عبادة الله وحده وانها غاية الوجود الانساني فى الكون ، عمارة الارض على أساس من القوانين التى حددها الله سبحانه وتعالى . فالشهادة (لا اله الا الله) ، اساس العبادة فى الاسلام ، تعني من الناحية التعبدية الدينية ان العبادة لله وحده بحيث ترفض عبادة أي اله ــ مثاله ــ كيفما كان نوعه . اما من الناحية الانسانية فكلما تحققت الشهادة تحرر الانسان واستقل ذاتيا لعبادة الله وحده . اما من الناحية التربوية فتعني الشهادة تأصيل التحرر الوجداني العملي الواقعي فى نفس الفرد وسلوكه . وهذا التحرر هو الغاية الاولى والاساس الذى لا اساس بعده . وعناية التربية الاسلامية بذلك عناية شاملة كاملة . فهي تعالج الانسان معالجة شاملة لا تغفل عن شيء فى جسمه وعقله وروحه ، تعالج حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الارض ... فغاية التربية فى الاسرة الاسلامية خلق الفرد المتحرر العابد ، خلق الفرد المتحرر من كل الضغوط الجاهلية ، وخلق الفرد العابد لله بتطبيق القوانين الاسلامية فى جميع المجالات وفى جميع الاطوار والمراحل . فكلمة تحمل فى نفسها معاني لاستقلال الذاتي الذى لا يكون الا بالتربية النفسية والعقلية والجسمية والروحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لا يكون الا بتربية كل جوانب الانسان . اما كلمة العابد فتعني تعمير الارض على اساس من قانون الله وهذا يعني فعالية الانسان وكفاحه فى الحياة . وحقيقة الكلمتين (المتحرر العابد) تمتزجان معا فى كيان واحد لا ينفصل ، هو **الانسان المسلم** .

1) التحرر الوجداني العملي الواقعي :

يبدا التحرر الوجداني العملي الواقعي فى حياة المسلم منذ نعومة الاظافر . ويشتمل كل ما يمكن ان

---

(2) الصحة النفسية ــ مصطفى فهمي .
(3) قصة الايمان ــ نديم الجسر .
(4) السلام العالمي ــ سيد قطب .

يمثل ضغطا على فطرة الطفل وانسجامه مع القوانين التي حددها الله له في هذا الكون والتي اذا انحرف عنها انحرف عن طبيعته الفطرية الانسانية .

ومن اهم ما يجب ان يحرر منه الطفل وجدانيا وعمليا وواقعيا : الحرمان ، والخوف ، والجهل . وبتعميم التحرر نقول ان يحرر من كل متالـه .. وهذا معناه تطبيق الشطر الاول من الشهادة (لا اله) بطريقة غير مباشرة لان الطفل لا يقوى على هذا التحرر من تلقاء نفسه . فهو في حاجة الى المساعدة والارشاد والرعاية .. وذلك تمهيد للنتيجة الكاملة الا وهي عبادة الله (لا اله الا الله) .

التحرر من الحرمان ..

يبدو التحرر من الحرمان لدى الطفل منذ ان يكون جنينا في بطن امه حيث يستمد كل ما يحتاج اليه من حاجيات اتمام نموه ، وهو في ذلك يحرر من الحرمان تلقائيا متغذيا من غذاء الام بغذائها ، فهي مرحلة ممتزجة بالام امتزاجا كاملا . واذا ما وضعت الام تغيرت بيئته وتغير معها مصدر الحرمان وطرق التحرر منه في ظروف مغايرة .

معنى الحرمان ..

الحرمان معناه عدم تلبية رغبة وحاجة من حاجات الطفل . وتبدا رغبات الطفل وحاجاته ببداية الحياة الجديدة في البيئة الجديدة بعد الولادة . وتتمثل في :

1) حاجات اولية ضرورية طبيعية

2) حاجات اجتماعية نفسية ثانوية

3) حاجات روحية .

والاسرة تعمل على تحرير الطفل من الحرمان باشباع هذه الحاجات فلا يحرم من القوانين التي وضعها الله في الكون والحياة . أن لا يحرم من القانون الالهي الذي حدده الله للبشر في الحياة الدنيا . فكل فعل او شعور او حركة خارجة عن القانون الاسلامي تمثل الحرمان الذي لا يظل في الدنيا فحسب بل يمتد الى الآخرة ممثلا في الحرمان من الجنة والنعيم ورحمة الله . فالحرمان طريق الانحراف الى الجاهلية ، وهو موجود في الواقع الانساني ، وعلى الانسان أن يتحرر منه ليعبد ربه بربط رغباته مع القانون الالهي للحياة في الحلال والحرام ، ليتحقق الاستقرار النفسي والتوازن الكامل في النفس والعقل والجسم والروح ..

التحرر من الخوف

يبدا الخوف بولادة الانسان . والجاهلية تعمل على تعميقه في حياة الانسان وتجعله شاملا وعاما ، تجعله خوفا مما يحيط بالانسان ؛ سواء كان ماديا أو معنويا ، فيعشعش في نفسه فلا ينظر الى الحياة الا نظرة خوف ، خوف من المصير والموت ، وخوف من المجهول ، وخوف من الجوع والفقر ، خوف من المسؤولية والوجود والحياة .

وعلى الانسان المسلم ان يتحرر من الخوف . فيحد من حدة ودرجة الخوف العادي (الذي يثار بمثيرات معينة محددة) ويزيل الخوف المرضي (الذي يرتبط بمواضيع غير معينة ولا يعرف لها سبب) . فالخوف الذي يسيطر على الانسان يعتبر بالمفهوم الاسلامي الها . ولذلك يجب التمرد عليه في الحين ، بمعنى ان يتحرر منه ليخاف الله وحده . (لا اله الا الله) . فلا يخاف الانسان من مصيره ولا من فقره وعوزه ، ولا يخاف المرض ولا الموت ، بل يرتفع الخوف ليجتمع في تقوى الله والخوف من الله وحده .

ويبدا تحرر الطفل من الخوف باشعاره بالامن الذي هو ضد الخوف . والعمل على تنمية تقوى الله (الخوف من الله) في نفسه مع الارتباط بالحياة التي تدور حوله ويشاهدها عن كثب . مع الابتعاد عن تخويفه او ايقافه مواقف تزلزل نفسيته ، وتجعلها ممتلئة خوفا وفزعا . ويكون التحرر من الخوف عن طريق التدريج والتشجيع من حيث لا يشعر الطفل . ومن المعلوم أن كثيرا من المخاويف العادية تزول من تلقاء نفسها اذا جاوزت زمنها ولم تجد من يعمقها ويزرعها في نفس الطفل لتصبح عقدة تطارده .

التحرر من الجهل ..

التحرر من الجهل يتعلق بحياة الانسان في كل اطوارها . ويبدا بعقلية الطفل ، لانها رخوة

تتقبل الخرافات والاعتقادات الفاسدة التى تبعده عن الرؤية الحقيقية للكون والحياة كلما نما وكبر ، فتحرر عقليته عمليا وواقعيا بتعليمه ما يجب ان يتعلمه حسب طاقته ونموه . وذلك هو تكوينه على اساس عقلية علمية اسلامية . ولكن اطار التحرر من الجهل ليس فى تكوين عقلية علمية فحسب ، بل وفى تكوين التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان . وذلك هو التحرر من الجهل والجاهلية معا (5) .

2) العبادة والطفولة ..

العبادة هي الوجه الثاني والاصيل فى تكوين الانسان المسلم وتربيته تربية اسلامية . والعنوان يضعنا امام حقيقة واضحة فى تساؤل واضح : هل غاية الطفولة هي نفسها غاية الانسان وغاية الكون .؟هل الطفولة تنطلق من عبادة الله .. ام ان الطفل بنزقه ، ولعبه ، ونشاطه وحركاته ، والتفاتاته ولا مبالاته ، وعقليته ونفسيته ، وحبه ونفوره وضحكه وبكائه ، وجده وروحه بعيد عن غاية الانسان العاقل المكلف ؟ وبعيد عن غاية الكون الذى يسبح بحمد ربه .؟

ان القريب الى الفهم ان الطفل من حيث التكليف بعيد عن العبادة . ومن حيث اندماجه فى الكون ، وعده جزء من اجزائه الساجدة المسبحة فهو يعيش صميم العبادة لانه يعيش الفطرة ، وفطرته هي عبادته . فالطفل ينسجم معها اتم الانسجام وابواه يحرفانه عنها ، او يقومانه عليها كلما نما وكبر .

فتقويم الطفل على الفطرة معناه تحرير نفسيته من الرواسب الدنيوية لينشا وينمو قوي النفس ، مستعلي الهمة ، خاليا من العقد ، موجها توجيها يهيئه لخلافة الله فى الارض .. وعبادة الطفل ان يعيش ظروفه وطبيعته ونشاطه ، وامكانياته على ضوء الفطرة وتقويمها ليكون حرا عابدا فى مستقبله. والحكمة فى كل هذا هو نمو الطفل سليما صحيحا فى مجموع كيانه الانساني ، وفى كل المناحي التى تحيط بالفطرة فينمو نموا موحدا فى كتلة وكيان واحد هو الانسان **المسلم** .

النمو التعبدي

النمو فى معناه الضيق هو التغييرات الجسمية والبدنية من حيث الطول والوزن والحجم وفى معناه العام الشامل هو بالاضافة الى ما سبق التغيير فى السلوك والمهارات نتيجة نشاط الانتاج والخبرات التى يكتسبها عند استعماله عضلاته واعصابه وحواسه وباقي اجزاء الجسم . وهذه التغيرات العقلية والانفعالية والحسية والحركية والاجتماعية لا تكون اسلامية الا اذا تم كيان الانسان بجزئه الاصيل فيه وهو نفخة الله (الروح) فى الانسان . فالتعريف الاسلامي لكيان الانسان اوسع من التعريف الجاهلي مما يجعل تعريف النمو عند الانسان اوسع واعم من التعريف الجاهلي . فالروح ليست هي العقل ولا هي النفس انها ابعد منهما معا . فلا تظهر ولا يقوى اثرها الا باتصالها بخالقها وبارئها . وبقدر اتصالها بالله تتضح معالمها ، وتتم هيمنتها على الانسان ككل بما فيه النفس والعقل والجسم ، وتسيره نحو طريق الله .

اذن فهناك النمو الروحي (الاتصال بالله على اساس التقوى) بجانب النمو الجسمي ، والنمو النفسي والنمو العقلي والنمو الاجتماعي .. وهذا الجانب الروحي معطل فى الجاهلية . والمقصود بهذا النمو ليس نمو الروح بذاتيتها . وانما نمو اتصالها بالله عندما تقوم بمهمتها وتحتك بالواقع وتمارس نشاطها كما تمارسه كل جوانب الانسان ومكوناته .

وقد يتعجب الكثيرون من هذا الجانب فهو غير مذكور من جانب العلوم الجاهلية ، وقد تاتي الى اذهانهم الكثير من الصور التى خطتها الجاهلية للجانب الروحي حيث يحرز الانسان على قوة روحية بعينها ، وغاية قصده منها ان يكون مثل جهاز لا سلكي او تلسكوب قوي او ميكروسكوب حساس !! وان يصبح فى بصره وكلامه ما يقوم مقام السحر !!!

الا ان معارج النمو الروحي فى الاسلام ليس فى ذلك من شيء وانما هو مرادف للقرب من الله . وعلى النقيض من ذلك فان الانحطاط الروحي هو

(5) الجهل ضد العلم . والجاهلية معناها كل ما هو غير اسلامي .. فى الفكر والعمل والحضارة ... الخ .

البعد عن الله . والقرب من الله والبعد عن الله لا يكون الا فى تطبيق احكامه او اهمالها (6) .

والمحور الذى تدور عليه التربية فى النمو الروحي هو التقوى (أي الاتصال بالله فى الرجاء والخوف) وكلما نما هذا المحور وترعرع فى نفس العابد كلما ارتقى روحيا من الاسلام والاستسلام لله والطاعة له الى الايمان به ربا وملكا ومعبودا الى الاحسان فى هذه العبادة حتى كأنك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك وتكون التقوى قد بلغت أقصى كمالها ، واعلى درجاتها. حيث يصل ذروة القربى من الله وهي غاية الرقي الروحي فى الانسان ولا يطلب ابعد منها .

اما طريق هذا الرقي الروحي فهو فى البيت الاسلامي اولا حيث الجو التربوي الاسلامي مما يجعل الطفل يتشرب كل اتجاهاته العملية والاخلاقية والفكرية على السواء ، ويتكيف مع منهج الله فى المجتمع الذي يطبق احكام الله . فينمي جميع جوانبه النفسية الانسانية بما يجد من تربية وسلوك مستقيم فى اطار الحب والامن والتضامن فلا يجد نفسه محروما من حاجاته الاولية والثانوية ، وحيث لا يجد نفسه منبوذا غير مرغوب فيه ويجد الرعاية والتسامح والتساهل والصفح فينمو نموا سليما خاليا من الاضطرابات النفسية والعقد العصابية ، وينمو نموا صحيحا كاملا يستطيع به ان يتحرر اولا ثم يعبد الله على الوجه الاكمل فى تصاعد يتلاءم مع نموه الروحي اي اتصاله بالله على اساس من التقوى فيبدأ بالصلاة ثم بالصوم فالزكاة فالحج .. وهكذا .. ففى الطفولة وخاصة فى السابعة تبدأ الصلاة عملية جدية فى توجهها الى الله وفى العاشرة يجب ان تكون قد اخذت اطارها الحقيقي فى الاتصال بالله . اما فى بداية المراهقة فتكون الصلاة والصوم كتجربة جديدة للاتصال وفى ذلك يكون المراهق قد استوى اجتماعيا فى جميع المجالات الحياتية . اما فى مرحلة الرجولة ويكون الانسان قد اتزن اقتصاديا تأتي الزكاة مطهرة لنفسه زيادة على الصلاة والصوم ، وما نكاد أن نقول أن الرجل قد تمكنت قدماه من الارض حتى يدعى الى الحج تاركة كل شيء وراءها .

الا اننا اذا تمعنا فى حكم الاسلام نجد ان هذه العبادات ليست الا طريقا لرقي ونمو روح الانسان من اسلام الى ايمان الى احسان على اساس من التقوى التي تمارس فى جميع مجالات الحياة وتكون العبادة مقويا لها ودافعا ومحركا ..

وفى الختام نعود لنقول ان ابعاد الاسرة الاسلامية (7) تحدد الجو التربوي العام فى جوانبه المادية النفسية وجوانبه التصورية الروحية لتربي **الانسان المسلم** مما يجعلها تختلف عن التربية الجاهلية التى تربي الانسان **المواطن** .

الرباط ــ محمد العربي الناصر

---

(6) يراجع الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية أبو الاعلى المودودي ..
(7) راجع موضوع : الاسرة الاسلامية وابعادها .

ورد فى الحديث الشريف :

ان الله يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله وعمره فيقول : جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما او قمعت به ظالما أو أعنت به مكروبا.

مرحلة الإنطلاق

من بدر الى الزلاقة

للأستاذ محمد بن علي الكتاني

فى تاريخ الدعوة الاسلامية والدفاع عن العقيدة، مواقف بطولية خالدة ، تتطلب من الباحثين والمومنين بأفكار هذه الدعوة السامية ، دراستها ، واستخلاص العبرة منها ، والاستفادة من نتائجها حاضرا ومستقبلا ، حتى نبقى على صلة بماضينا المجيد ، ونظل على ارتباط بمفاخرنا التى ان غفلنا عنها ، فقدنا الكثير من الطاقات التى تدفعنا الى الامام !

يرتبط شهر رمضان المعظم – شهر الصيام والمغفرة ، وشهر التضحية النفسية ومقاومة الغرور الانساني – بكثير من الاحداث المهمة ، التى اثرت فى سير الدعوة الاسلامية، واغنتها بكثير من المفاخر ، بل غيرت الاتجاه العام للتاريخ ، وافسدت الكثير من الخطط والنظريات التى كانت تعتبر ضرورية للسير العام للحياة ... وأوثر الاشارة هنا الى حدثين خلف كل واحد منهما – فى نطاقه الخاص – نتائج باهرة ، ترتب عنها تغيير فى الوضعية العامة للدعوة الى الله ، وتقييم للاوضاع قلب الحياة راسا على عقب !!

ولست اريد الاندفاع فى تيار الاحداث والوقائع ، والتيه فى دنيا القصص وسرد الحوادث، وتضخيم الحواشي بالتعليقات والنصوص ، وانما احب ان اشير الى بعض هذه النتائج التى كيفت الدعوة المحمدية فى قلب الجزيرة العربية ، اثر معركة بدر الشهيرة ، والتى تزعمها المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وخطط لها بعزيمة القائد الملهم ، ويقين الرجل الواثق بنصر ربه ، المومن بنجاح دعوته .. كما أعرج فى لمحات خاطفة الى معركة اخرى وقعت فى الغرب الاسلامي ، بعد ذلك بقرون ، وفى قلب الاندلس المريض ، قادها رجل المرابطين الفذ يوسف ابن تاشفين، واستطاع بواسطتها تثبيت قدم الدين الاسلامي ، والحكم العربي فى هاته البقعة التى اوشكت الصليبية المقيتة ان تحطمها ، وكادت النصرانية المتعصبة ان تجهز عليها ، مستغلة ضعف الامراء وتخاذل الحكام !

ويجب أن نلاحظ باديء ذي بدء ، ان الاسلام لم يكن دين قتال وحرب ، كما لم يكن الرسول عليه السلام رجلا مقاتلا ، يطلب الحرب حبا فى الحرب ، لكنه كان اذا دعت الضرورة ، نعم القائد البصير والخبير ، يعلم بالالهام ما يتعلمه غيره بالدرس والمران والاحتكاك والاتصال . وكانت غزوة بدر الكبرى هذه هي اللبنة الاولى فى صرح هذا العمل العسكري – ان صح التعبير – الذى ابان عن نجاح التجربة المحمدية فى ادارة المعارك الكبرى ... فلم يبدأ عليه السلام عدوه بالعدوان ، لكنه اذا علم عزمه على المبادرة الى القتال ، فاجأهم ولم يمهلهم، كما انه اعتمد على القوة المعنوية او ما نسميه بقوة الايمان ، وهذه القوة تعادل اضعاف اضعاف القوة العددية ، حتى فى عصر الصواريخ والنفاثات ... كما انه لم يكتف بالقضاء على القوة البشرية ، بل حطم القوة المالية والتجارية التى كانت تملكها

قريش ، اعتمادا منه عليه السلام ان ذلك يؤثر فى عدوه اكثر من غيره !

خرج عليه الصلاة والسلام فى 8 من رمضان من السنة 2 للهجرة لملاقاة العير الراجعة من الشام، وقصد ان يعطي لقريش الدرس النافع ، بعد ان لجـوا فى الطغيان ، والجأوا المسلمين الى ما لجاوهـم اليه ، وغمر الايمان صفوف المهاجرين والانصار ، فلم يتأخر احد ، بل عبر زعيم الانصار سعد بن معاذ عن شعور اخوانه الانصار بقوله : « سر بنا على بركة الله ، فاننا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به العين » . . كما عبر المقداد عن المهاجرين بقوله : « والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل : اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون »

ورغم ان العير استطاعت الافلات ، الا ان الغرور ركب ابا جهل فساق قومه نحو بدر للمتعة واظهار النشاط والتحدي ! فلم يجد الرسول بدا من قبول هذا التحدي واللقاء مع رؤوس الشر والعدوان . وكانت النتيجة الحتمية التى ابانت عن صلابة الايمان، وقوة العزيمة ، ونبل الاهداف ، ونزلت الآية الكريمة : يا ايها النبيء حرض المومنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين .. الآيات . وفاز الرسول فى المعركة على الصورة المعروفة فى كتب السيرة والتاريخ ، وفرت قريش لا تلوي على شيء . واعطى الرسول الدرس الممتاز للامة العربية ، فقد استقر الامر ، ووضحت السبل ، وزال كل غيم وانقشعت السحب عن الاباطيل .. وبدأت حقا الارهاصات للامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف تظهر للعيان بوضوح ، فلا ضعف اليوم ولا تخاذل غدا ، ولا غطرسة ولا تجبر بعد اليوم ، فقد دق الاسلام اسفين الامان فى شبه الجزيرة ، وبدأت الانطلاقة الحقيقية التى لا مرد لها للدعوة الى الله ، والايمان بوحدانيته وربوبيته ..

وهكذا كان للمعركة ما بعدها ، بل ان أبعادها ارتسمت الآن بصورة واضحة ، واعتبرت اهم خطوة خطتها الدعوة فى سبيل النجاح ، مما جعل احد كبار احبار اليهود فى المدينة يقول : « بطن الارض اليوم خير من ظهرها ! » وهذا صحيح جدا فان بدرا كانت ضدا على الوثنية ، وحربا ضد المفاسد ، وليس من المعقول ان تظل الدعوة سلبية ازاء هذا الشرور المستحكم !!

اما ثانية المعارك الزلاقة فتختلف عن بدر كثيرا، وان جمعت بينهما بعض الاهداف والغايات ، فبلاد الاندلس كانت تعاني ضعفا واضطرابا وفوضى بسبب تخاذل المسلمين وتناحرهم ، واتحاد الاسبان وتكتلهم .. ولم يكن بالامكان ترك الحبل على الغارب والعدو يرقب ويترصد ، وفى بلاد العدوة رجل لا كالرجال ، رجل قد من حديد ، وصيغ من فولاذ ، لم تلهه مغريات الحضارة ولم تفسده موائد الترف، ولم تؤثر فيه الشهوات ، فحين وصلته صيحات الاستنجاد لم يتوان او يتكاسل ، خصوصا وقد تكالبت قوى الشر ، واعصوصبت ثعابين الطغيان ، فاسرع ليضع الامور فى مكانها الطبيعي ، ونجح حيث اخفق الكثير ، وحقق للامة امنيتها ، ورد الامور الى نصابها والفم المعتدي فاوقفه عند حده ، وكانت ساحة الزلاقة مسرحا لاكبر نصر حققه الاسلام ، يرتبط فى حلقات منذ بدر الى ما يشاء الله ..!

لكن رجل الصحراء ما لبث أن وزن الاشياء بميزانها الحقيقي ، وفكر بعقليته الخالية من الرواسب ، فتيقن بالبداهة ، أن حماية المريض لا تكفي ، وأن البرء لا يتحقق الا بقطع الداء من أصوله، وتصفية الجسم وكل العوائق التى تعوقه عن السير الطبيعي ، حتى لا تضيع الجهود ، ويذهب النجاح الذى حصل عليه هباء . هذا النجاح الذى وصفه صاحب كتاب الحال الموشية بقوله : « كان يوما لم يسمع بمثله منذ اليرموك والقادسية ، فياله من فتح ما كان اعظمه ، ويوم كبير ما كان أكرمه » وصحيح انه فتح اكبر مما قدر صاحب الكتاب ، فقد مد القدر بهذه المعركة حبل الاسلام فى هذه الديار اكثر من قرنين ، وجعل اسم الله يتردد فى ثبات بعد المحن والصعوبات التى عانى منها السكان الكثير ، وهد من صرح الصليبية القشتالية ــ الى حين ــ وحطم فى الاخير حركة ملوك الطوائف الذين أفسدوا البلاد بخلافاتهم ، وازعجوا الامة بترهاتهم ... وتحمل المرابطون المسؤولية فى هذه المنطقة ، لا حبا فى الرياسة ــ كما يدعي بعض الكتاب ــ ولا طمعا فى الحكم كما يتراءى فى أول وهلة ، وانما كما قال يوسف ابن تاشفين نفسه حسب رواية صاحب المعجب : « انما كان غرضنا فى ملك هذه الجزيرة ان نستنقذها من ايدي الروم ، لما راينا استيلاءهم على اكثرها ، وغفلة ملوكهم ، واهمالهم للغزو ، وتواكلهم وتخاذلهم وايثارهم الراحة ، وانما همة أحدهم كاس يشربها ، وقينة تسمعه ، ولهو يقطع به ايامه ، ولئن عشت لاعيدن جميع البلاد التى ملكها الروم فى طول هذه

الفتنة الى المسلمين، ولأملأنها عليهم خيلا ورجالا لا عهد لهم بالدعة ، ولا علم عندهم برخاء العيش ».
ويزيد البطل يوسف بن تاشفين فيقول : « وانما هم احدهم فرس يروضه ويستفرهه ، او سلاح يستجيده ، او صريخ يلبي دعوته ! »

هكذا كان عمل يوسف في هذه البلاد التي تعاورت عليها النكبات ، وادلهمت فيها الخطوب ، وكثر الناعق وقل الحازم ، فوجب ان يوضع حد لهذا الفساد، وان تعالج الاوضاع لمصلحة الدين والدين فقط بقطع النظر عن كل اعتبار آخر .

وهكذا يتجلى من شريط هاتين المعركتين ، اي حد من الايمان يستطيع ان يدفع ، الى النجاح ، ويسوق صاحبه الى الفوز والكمال ــ كما يتضح ان عزائم القادة ــ وفى القمة الانبياء المطهرون الملهمون ــ تفعل المعجزات وتأتي بالمدهشات ، وتعطي للاجيال اللاحقة الدروس النافعة ، في صدق الدعوة ، ويقين الفكرة ، وسلامة النظرة، ودقة التخطيط ، ونبل الهدف .. وتلك هي العبقريات التى ما احوجنا واحوج شبابنا بالخصوص ــ وقد اغوته الماديات ــ الى الاطلاع عليها ، والاستفادة منها والاقتباس من هديها ومحاولة السير على هديها . بل ما احوجنا الى مراحل انطلاق جديدة مستمدة من تعاليم ديننا الحنيف ، ومستوحاة من سير واخلاق ومثل قادتنا العظام الذين اخلصوا لله فمهدت لهم السبل ، ووضحت امامهم الطريق ، وكانوا خير نبراس لمن يريد ان ينجح ، ويتمنى ان يتوفق . فلنستفد من التجربة ، ولنحاول ان نحقق المثالية التى امرنا بها ، والاستقامة التى هي هدف كل عمل ناجح ومثمر .

فاس ــ محمد بن علي الكتاني

تصويب ... واعتذار

فى العدد الثامن من مجلتنا « دعوة الحق » وقع خلط مطبعي فى مقال « **الفصيح المهجور فى اللسان المغربي الدارج** » للاستاذ الكبير السيد محمد الحلوي .

ولتلافي هذه الاخطاء التى وقعت فى البحث المذكور لاسباب قاهرة كادت تشوه جمال النص ، وتشوش على القاريء فاننا نأتي على اصلاحها فيما يأتي :

فقد تزحلق السطر الاول من المقال الذي يبتديء هكذا « وقد يقول البعض .. » الى السطر الاخير فى الصفحة ، ومكانها الطبيعي كما لا يخفى على القاريء اللبيب فى بداية المقال، وفى كلمة «**بابته أن ..**» كتب المصفف هذه الجملة هكذا : تأبى المرأة بطبيعة الحال مناقشتها للرجل الآن تمتاز .. » وكلمة الحال « زائدة » ومناقشتها صوابه منافستها .. وفى كلمة الخوصة ورد فى الحديث « اوصدوا كل الابواب فقلبت الى « أوجدوا » .

وردت هذه الجملة هكذا : لم اعرف له ماخذ ، فسقطت الالف ...

واننا نعتذر للقراء وللاخ الاستاذ صاحب المقال عن هذه الاخطاء التى كثيرا ما تحدث لاسباب لا تخفى على من يمارس مثل هذه الاعمال ... وشكرا .

القراآت القرآنية واللهجات العربية

بحث

للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي

— 2 —

14 — يحذف التميميون نون « منذ » فيقولون « مذ اليوم » (بضم ميم اليوم او كسرها) و « مذ يومين » و « مذ يومان » (1) .

15 — تهوى تميم الادغام وتؤثره ؛ فهي تقول « غض (2) » بينما يقول الحجازيون « واغضض من صوتك (3) » .

بل انهم ذهبوا ابعد من ذلك ، فاوقعوا هذا الادغام في غير المثالين ، خلافا للقاعدة العامة في اللغة العربيــة .

وبما انها تعرف انه لا يمكن ادغام حرف في حرف الا اذا كانا مثالين ، فهي تعمد الى تحويل الحرف القريب الحيز من الحرف الثاني الى مثال لهذا الاخير، فيجتمع لها مثالان يقع الادغام بينهما تبعا لذلك ، وتطبيقا لمقتضى القاعدة العامة .

هكذا فعلوا في « وتد » وهو أمر يؤكده لنا ابو الفتح عثمان بن جني (4) الذي يعتقد انهم في المرحلة الاولى افقدوا التاء كسرتها ؛ ولما صارت ساكنة سهل عليهم قلبها دالا ، فصارت « ودد » فاجتمع مثالان ووجب حينئذ الادغام ؛ فكان عندهم « ود » .

وهكذا ايضا فعلوا في « معهم » ولنترك السيوطي يقول في مزهره نقلا عن ابن جني في سر الصناعة : « لما أرادت بنو تميم اسكان عين « معهم » كرهوا ذلك؛ فأبدلوا الحرفين حائين وقالوا « محم » فراوا ذلك اسهل من الحرفين المتقاربين (5) » .

وعن هذا الادغام في القراءات القرآنية قال الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي نقلا عن الشيخ جمال الدين بن مالك (6) : « انزل القرآن بلغة الحجازيين الا قليلا ؛ فانه نزل بلغة التميميين ؛ فمن القليل ادغام : « ومن يشاق الله (7) » و « ومن يرتد منكم عن دينه (8) » في غير قراءة نافع (9) ، وابن عامر (10) ؛ فان الادغام في المجزوم والاسم

---

(1) سيبويه ، الكتاب ، الجزء الاول ، صفحة 295 ، السطر 19 .
(2) المزهر ، الجزء الثاني ، صفحة 276 ، السطر العاشر .
(3) لقمان الآية 19 .
(4) سر صناعة الاعراب لابن جني — طبعة القاهرة 1954 ، الجزء الاول ، صفحة 34 من السطر الثالث الى السطر السادس .
(5) المزهر — الجزء الاول ، صفحة 194 .
(6) توفي سنة 672 هـ . انظر ترجمته في طبقات الشافعية ، الجزء الخامس ، صفحة 28 .
(7) سورة الحشر الآية 4 ؛ وسنتحدث عن من يقراها بالادغام ومن يقراها بالفك .
(8) سورة البقرة 217 .
(9) توفي سنة 169 هـ . انظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري، الجزء الثاني، ابتداء من صفحة 333
(10) توفي بدمشق سنة 118 — انظر طبقات القراء لابن الجزري ، الجزء الاول صفحة 323 .

المضاعف لغة تميم ، ولهذا قل ، والفك لغـة اهـل الحجاز ، ولهذا كثر (11)

16 ـ تعامل العرب ، او بالأحرى أهل الحجاز اسم الجمع (اسم الجنس) معاملة المؤنث ؛ فتقـول « هي البقر ، هي التفاح ، هي التمر ، ولكـن اهـل تميم (12) يذكرونه ، ويقولون : « نخل كريم » (13) .

17 ـ يعامل التميميون اسم الفعل « فعال » حينما يدل على علم معاملة المعرب الممنوع من الصرف الا ما كان آخره راء كقولهم « حضار » لاحد المحلقين و « جعار » فانهم يوافقون فيه الحجازيين الا القليل منهم (14) . فيقولون مثلا حذام ، قطام بضم الميم (15)

18 ـ يعتقد اللغويون القدماء ، وعلى راسهم سيبويه أن الجمع « فعل » (بضم الفاء وتسكين العين) هو خاص بلهجة تميم (16) ، واعتقد ان اهل الحجـاز يقولون فى هذا الجمع « فعل » (بضمتين) . وفعلا فان حمار تجمع على حمر (بضمتين) وحمر (بضـم فسكون) الاولى حجازية ، والثانية تميمية ، وهكـذا الامر فى أزر وأزر وفى فرش وفرش .

19 ـ لهجة تميم ميالة الى تذكير الالفاظ لا الى تانيثها ، قال السيوطي نقلا عن ابي محمد يحيـى بن المبارك اليزيدي : « أهل الحجاز هي التمر ، وهـي البر ، وهي الشعير ، وهي الذهب ، وهي البسـر ، وتميم تذكر هذا كله » (17) .

— × —

— 3 —

يحسن بعد هذا ان اعرض بكل ايجاز الألفـاظ التميمية المستعملة فى اللغة العربية عمومـا ، لا فى القرآن وحده على أن اتعرض لأوجـه قراءات ما ورد منها فى كتاب الله الكريم .

واعتقد انه لأول مرة تنشر لائحة تامة ـ او قريبة من الكمال ـ لألفاظ لهجة عربية معينة . وكان بحثـا طويلا وشاقا ؛ وجدت فى العذاب الحلو الذي لاقيته بسبب الكبابي عليه طيلة هذه الشهور الاخيرة الملجأ العذب ؛ والله ولي المؤمنين .

حـرف الألـف

1 ـ **آسـن** فى الآية الكريمة : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهـار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربيـن وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمـرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا مـاء حميما فقطع أمعاءهم (18) ، وهي بمعنى « منتـن » بلغة تميـم (19) .

2 ـ **أساطـم** : لغة فى اساطم أي فى اهلـه وحقه . قال الجوهري : « والجمع أساطم ؛ وتميـم تقول « أساتم » تعاقب بين التاء والطاء فيه (20) » .

3 ـ **أسـوة** بضم أوله : قال السيوطي : « اهل الحجاز تركته بتلك المدوة واوطانه عشوة ولي بسـك اسوة وقدوة ، وتميم تضم اوائل الاربعة (21) .

4 ـ **أشـاءه** : لغة فى اجاءه اي الجاه . يقول الجوهري : « واشاءه لغة فى اجاءه ، اي الجـاه .

(11) البرهان فى علوم القرآن للزركشي ، الجزء الاول ، صفحة 285 ، الطبعـة الاولى سنة 1376 هـ ـ 1957 م .
(12) وكذلـك اهـل نجـد .
(13) انظر مادة « نخل » فى « المصباح » وكذا عند الشرتوني .
(14) كتاب المفصل فى علم العربية ، طبعة مصر سنة 1323 هـ صفحة 159 و 160 .
(15) الكتاب لسيبويه ، الجزء الاول ، صفحة 37 .
(16) الكتاب ، الجزء الثاني ، صفحة 198 ابتداء من السطـر العاشـر .
(17) المزهر ، الجزء الثاني ، صفحة 277 ، ابتداء من السطـر 11 .
(18) سورة محمد صلى الله عليه وسلم الآية 15 .
(19) ابو القاسم بن سلام، حاشية الجلالين، صفحة 194 من الجزء الثاني ، السطر الاخير .
(20) الصحاح ، الجزء الخامس ، صفح 1949 ، السطر التاسع من العمود الثاني .
(21) المزهر ، الجزء الثاني ، صفحة 277 ، السطران الرابع والخامس .

وتميم تقول : « سر ما يسيئك الى محة عرقوب » بمعنى يجيبك (22) » .

5 ــ **آصدت** : يقول السيوطي : « اهل الحجاز أوصدت الباب اذا اطبقت شيئا عليه ، وتميم آصدت (23) » .

6 ــ **اضحيانة** : قال صاحب المزهر : « أهل الحجاز ليلة ضحياتة وتميم ليلة اضحيانة (24) ، ومعناها ليلة مضيئة لا غيم فيها .

7 ــ **اكدت** : يقول السيوطي : اهل الحجاز وكدت توكيدا ، وتميم اكدت تأكيدا (25) .

8 ــ **الألفت** : بمعنى الأعسر : قال ابو زيد فى الغريب المصنف : « الألفت فى كلام قيس : الأحمق ، والألفت فى كلام تميم الأعسر (26) » .

9 ــ **الأعفت** : كلمة مستعملة فى سائر لهجات القبائل العربية . لكنها تطلق عندها على الأحمق ، الا فى تميم ، فانها تدل على الاعسر . قال الجوهري : « والأعفت فى لغة تميم الأعسر ، وفى لغة غيرهم الأحمق (27) » .

ويسهل مقارنتها باللفظة السابقة التي أثبتها تحت رقم 8 ، وسيلاحظ بسهولة انهم ، ما زادوا على ان قلبوا اللام عينا . وهو امد سأحلله فى فرصة أخرى .

10 ــ **الاكاف** : لو كنا بصدد الحديث على لغة الحجاز لادمجنا هذه المفردة فى حرف الواو ، ولكننا بصدد الحديث عن الفاظ لهجة تميم ، وهي لا تستعمل هذه المفردة الا مهموزة الاول . جاء فى المزهر : « اهل الحجاز الوكاف ، وتميم الاكاف (28) »

11 ــ **أكد** : يمكن ان نبدي هنا ايضا نفس الملاحظة التى ابديناها اعلاه(29)، بحيث ننبه الى ان فاء المفردة عند الحجازيين واو ولكن همزة عند تميم . قال السيوطي : « اهل الحجاز وكدت توكيدا ، وتميم اكدت تأكيدا (30) » .

12 ــ **أمس** : هي مضمومة ابدا عند تميم فى قولهم : « ما رايته امس (31) » بينما ينطق بها الحجازيون بالبناء على الكسر .

13 ــ **أمة** فى قوله تعالى : « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امةانا انبئكم بتاويله فارسلون(32) » وهي تدل هنا ، عند تميم « نسيان (33) » . وبهذا يكون معنى الآية الكريمة ، « ان الذي نجا من السجن نسي ان يذكر يوسف عند ربه (اي العزيز) الا بعد مدة كان نسي اثناءها وصية يوسف الذي كان اول من بشره بقرب خروجه من السجن تاويلا للرؤيا التي رآها .

حرف الباء

14 ــ **برئت** (34) : موجودة فى القرآن الكريم ، بمصدريها الحجازي « براء » والتميمي «بريء» (35) الذي تشترك معها فيه سائر قبائل العرب تقريبا .

---

(22) الصحاح ، الجزء الاول ، صفحة 59 ، السطر الرابع من العمود الاول .
(23) المزهر ، الجزء الثاني ، صفحة 277 ، السطر العاشر .
(24) المصدر السابق ، صفحة 276 ، السطر الثامن .
(25) المصدر السابق ، صفحة 277 ، السطر الحادي عشر .
(26) المزهر ، الجزء الاول ، صفحة 381 ، السطر الخامس عشر .
(27) الصحاح ، الجزء الاول ، صفحة 258 ، بداية العمود الثاني .
(28) المزهر السيوطي ، الجزء الثاني ، صفحة 277 ، السطر 9 .
(29) لم ترد هذه المفردة الا مرة واحدة فى القرآن الكريم فى سورة النحل الآية 16 ، وقرئت على الطريقة الحجازية اي بالواو ، هكذا « توكيدها»
(30) المزهر للسيوطي ، الجزء الثاني ، صفحة 277 ، السطر 9 .
(31) انظر شرح شذور الذهب لابن هشام ، صفحة 113 وما بعدها ، القاهرة 1305 هـ .
(32) سورة يوسف ، الآية 45 .
(33) ابو القاسم بن سلام ، الجزء الاول ، صفحة 206 ، حاشية تفسير الجلالين .
(34) انظر لسان العرب ، الجزء الاول ، صفحة 32 .
(35) انظر الأنعام فى الآيتين 19 و 78 ، وفى الانفال الآية 48 ، وفى التوبة الآية 3 . وفى يونس الآية 41 ، وفى هود 35 و 54 ، وفى الشعراء 216 ، وفى الحشر 16 .

وفيها أوجه للقراءات اعتقد انها لا تهمنا كثيرا هنا ، لانها لا تعتمد أساسا على خصائص اللهجات ، وانما هي روايات ناتجة عن الرسم او عن قاعدة اصلية للبدر (36) الذي يروي القراءة، قاعدة لابد من تطبيقها حين تجتمع شروط التطبيق .

وعلى هذا يقف حمزة على بريء الاولى الموجودة فى الانعام « وهشام يخلف عنده بالابدال مع الادغام لان الياء زائدة . ويجوز فيها السكون المحض والروم والاشمام (37) . بينما يقرا ابو جعفر « بريء » الموجودة فى الانفال بابدال الهمزة فاء وادغام الياء التى قبلها ، وصلا ووقفا .. (38) » .

وهكذا باقي أوجه القراءات ؛ وهي كما ترى لا تهم موضوعنا الذي نعالجه .

15 — **يبشرهم** : فى الآية الكريمة : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم (39) » .

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المفردة قراءتان رئيسيتان :

الاولى بفتح الياء واسكان الباء وضم الشين مع تخفيفها لانها مضارع ، ابشر يبشر . وهي قراءة حمزة (40) .

وعلى هذا الشكل كان يقرا بها افراد قبيلة كنانة (41) .

الثانية بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين (42) . وعلى هذا الشكل كانت تنطق بها تميم (43) . وهي مشتقة كما بين ذلك ابن الجزري حين صرح : « من البشر وهو البشرى والبشارة (44) » .

ولقد اشفى الفليل الامام ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني لما جمع جميع مواد هذه الكلمة وهو بصدد الحديث عن الآية 39 من آل عمران التي تحتوي هي والآية 45 من نفس السورة على « يبشرك » فقال : « ان الله يبشرك بيحي » بكسر الهمزة والباقون بفتحها حمزة والكساءي « يبشرك » فى الموضعين ، هنا وفى سبحان والكهف ، و « يبشر » بفتح الياء واسكان الباء ، وضم الشين مخففا فى الاربعة . وحمزة فى التوبة « يبشرهم » ، وفى الحجر « انا نبشرك » وفى مريم « انا نبشرك » و « لتبشر به » بتلك الترجمة في الاربعة ايضا ، والباقون بضم الاول وكسر الشين مشددا فى الجميع (45) .

16 — « **بغيا** » (46) فى الآية الكريمة : بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين (47) » . ومعناها بلغة تميم « حسدا (48) » .

17 — **يبطش** : قال السيوطي : « اهل الحجاز يبطش (بكسر عين الفعل) وتميم يبطش (بضمها) (49)

(36) البدر هو الامام صاحب القراءة والراوي الذي روى عن البدر، وعن الراوي يأخذ صاحب الطريق.
(37) المهذب فى القراءات العشر لسالم محيسن ، طبعة القاهرة 1389 هـ — 1969 م . الجزء الاول صفحة 203 .
(38) نفس المصدر اعلاه ، صفحة 203 .
(39) التوبة ، الآية 21 .
(40) المهذب فى القراءات العشر لسالم محيسن ، الجزء الاول ، صفحة 274 .
(41) ابو القاسم بن سلام ، الجزء الاول ، صفحة 167 .
(42) المهذب فى القراءات العشر ، الجزء الاول ، صفحة 271 .
(43) ابو القاسم بن سلام ، الجزء الاول ، صفحة 167 .
(44) النشر ، الجزء الثاني ، صفحة 229 ، السطر 21 .
(45) التيسير فى القراءات السبع ، صفحة 87 ابتداء من السطر 14 ، وبداية صفحة 88 .
(46) ابو القاسم بن سلام ، الجزء الاول ، صفحة 14
(47) البقرة الآية 90 .
(48) ابن سلام نفس المكان المشار اليه اعلاه .
(49) المزهر ، الجزء الثاني ، صفحة 275 ، السطر الثامن عشر .

حـــــرف الثـــــاء

1 ـ **ثمــر** : في قوله تعالى : « وهو الــذي انزل من السماء ماء (50) » . وفي قولــه تعالــى : « وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشـــات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين (51) ». وفي قوله تعالى : « لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم ، افلا يشكرون (52) » . هي من لهجة تميم حين تقــرأ بضمتين (53) ، وبهذا قرا حمزة (54) والكسائي (55) وخلف (56) العاشر (57) (بضم الثـــاء والميــم في الثلاثة (58) .

والى هذا اشار الامام الشاطبي (59) بقوله (60):

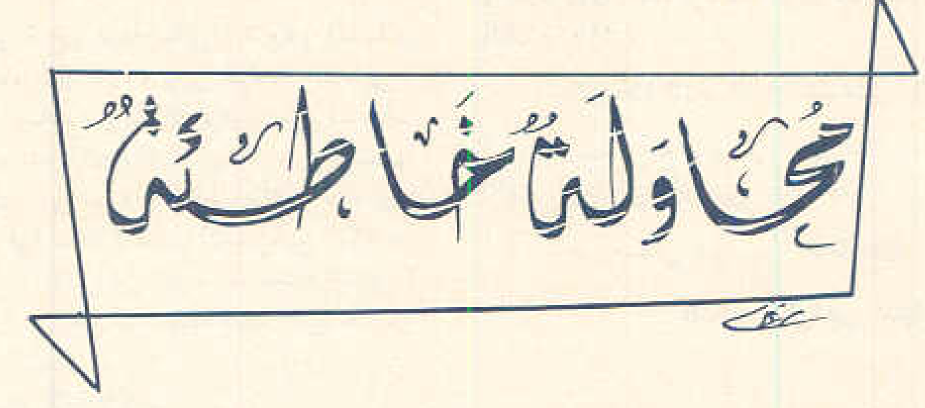
وضمان مع يس في ثمر (شـ) فا (61) ، كمـــا اشار اليه ابن الجزري (62) بقوله (63) :

وفي ضمتي ثمر ... شفا (64) .

الدكتور الراجي التهامي الهاشمي

---

(50) سورة الانعام الآية 99 .
(51) سورة الانعام الآية 141 .
(52) سورة يس الآية 35 .
(53) ابو القاسم بن سلام ، الجزء الاول ، صفحة 128 .
(54) ولد سنة 80 للهجرة / 700 م وتوفي سنة 158 هـ / 773 م .
(55) توفي سنة 189 هـ / 805 م .
(56) ازداد سنة 150 هـ / 700 م . وتوفي في 229 هـ / 844 م . انظر غاية النهاية الجزء الاول ، صفحة 273 .
(57) المهذب في القراءات العشر لمحمد محمد محمد سالم محيسن ، صفحة 219 ، السطر 20 من الجزء الاول ، طبعة القاهرة ، سنة 1389 هـ / 1969 م .
(58) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، الجزء الثاني ، صفحة 260 من طبعة القاهرة .
(59) توفي سنة 590 هجرية .
(60) البيت 646 من حرز الاماني ووجه التهاني .
(61) وتمام هذا البيت ، وان كان يتحدث عن شيء آخر هو :
ودارست (حق) مده ولقد حلا .
(62) توفي سنة 833 هجرية .
(63) طيبة النشر في القراءات العشر .
(64) البيت 622 من طيبة النشر وتمامه ، وان كان يتحدث عن شيء آخر ، هو :
والليل نصـف الكـوف قـاف مستقـر فاكسر (شـ) ذا (حبر) وفي ضمي ثمــر .



للأستاذ محمد الأزهري

في مجلة الشهاب ، العدد الثالث عشر 11 شعبان 1391 هـ قرأت محاولة شعرية في السيرة النبوية ..

ولكنني شعرت بنفور من شعر يجريه مؤلفه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ..!

انني اقول الشعر احيانا .. ولكني بايماني انكر اي شعر ينسب للرسول صلى الله عليه وسلم في رواية شعرية .. مهما كان مؤلفه مخلصا .. واراد أن يسهم بمقدرته الشعرية في عمل اسلامي ..!

ان نسبة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم نثرا او شعرا لا يصح ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقله .. واذا لم يحفظ المسلم الحديث واراد ذكره فعليه ان يقول : ما معناه : .. وهذا في النثر ، لان النثر هو اسلوب الارشاد .. اما الشعر فله آفاق يمكن بها نصرة الاسلام والحق ..!

وان الفقه الاسلامي ينكر الاسلوب الشعري يجريه شاعر على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .!

ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل شعرا مطلقا .. بل نشأ يبغض الشعر كما كان يبغض الأوثان ..، وذلك لحكمة الهية بالنسبة للرسالة والرسول .. اما الشعر فكلام منه الطيب ومنه الخبيث .. وهو سلاح يمكن استعماله في دعم الحق ..، كما كان يستعمله حسان بن ثابت رضي الله عنه بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ..!

ولكن ليس لشاعر – كما اعتقد – ان يجري شعره على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ..!

قال الله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » يس 69

وقال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » النجم 3 ، 4

وقد اوجب الله على المسلمين آدابا نحو الرسول صلى الله عليه وسلم .. فكان الصحابة رضي الله عنهم يحبونه كل الحب ، ويحترمونه كل الاحترام ، ويطيعونه كل الطاعة .. لانهم تأدبوا بأدب الله ، وتخلقوا بأخلاق القرآن ، وتأثروا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى في سورة الحجرات : « بسم الله الرحمن الرحيم : يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله ان الله سميع عليم ، يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبيء ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ، ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة واجر عظيم ، ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ، ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ، والله غفور رحيم » 1 – 5

انني حينما ذهبت للمدينة المنورة اول مرة .. خشيت ــ قبل دخولها ــ الا اوفق في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واداء التحية له والسلام والدعاء .. لانني شعرت بأنني مقصر كثيرا في تأدية رسالتي الاسلامية في الحدود الخاصة والعامة ..، فكيف يكون موقفي امام الرسول صلى الله عليه وسلم ..؟ وتصورت صحابته رضي الله عنهم ، وعظمتهم ، وسموهم ...، وكيف كانوا يهابونه ويتأدبون معه ..، ويستمعون له كان على رؤوسهم الطير ..، ودعوت الله ان يغفر لي ..، وان يجعلني جديرا موقفا امام الرسول صلى الله عليه وسلم ..!

فكيف يتجرأ مسلم ..، ويبيح لنفسه ، ولشيطان شعره انطاق الرسول صلى الله عليه وسلم في شعر تمثيلي ..!

ان الصحابة رضي الله عنهم يعملون للرسول صلى الله عليه وسلم الف حساب حبا وهيبة واحتراما وتقديرا للرسالة والرسول ..، ثم يأتي شاعر في محاولة شعرية ويكتب : محمد (شعر ..)

ان الشعر ليس من حقه ان ينطق الرسول صلى الله عليه وسلم بكلامه ..، وليس للشعراء هذا الحق مطلقا ..، لانه لو ابيح لهم هذا .. تجرا المسرح والمسرحيون على تمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانطاقها ..!

ان هذا الشعر التمثيلي المنسوب للرسول صلى الله عليه وسلم اسلوب مخطيء او خاطيء .. ويجب رفضه ، وعدم نشره ..!

وقد يحسب الشاعر في هذه المحاولة أنه احسن صنعا ...، ولكنه في الحقيقة قد اساء صنعا ..!

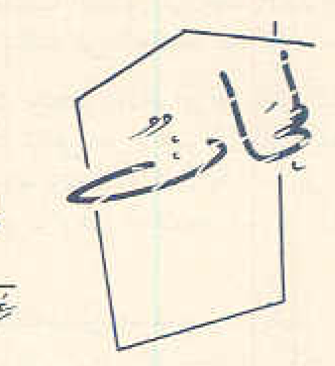
انني ما تحملت اتمام قراءة هذا الشعر ...، فقد نفرت منه وانكرته...، فمن ذا الذي ينطق الرسول شعرا في رواية وتمثيلية شعرية ..؟ بل انني عجبت لمجلة الشهاب ــ وهي اسلامية .. ــ ان تنشر هذا الشعر ..!

ان الاسلاميين ينبغي أن يكونوا واعين كل الوعي ...، ومن الوعي الا ينشروا كلاما خبيثا أو خاطئا أو محرما ...، مهما كان هذا الكلام معسولا أو مروجا للكتب والجرائد والمجلات ...، لان الاسلاميين لا يستعملون الوسيلة المحرمة في سبيل غايتهم السامية ..!

واني ما قصدت بكلمتي هذه التهجم على الشاعر ...، فقد يكون مجتهدا واخطأ في اجتهاده ولم يوفق فيه .. ولكنها دفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ...، وسد لباب ان فتح ولجه كل من هب ودب من الخياليين والممثلين ...، فيتجرأ ممثل داعر ويعلن بانه مستعد لتمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ...، ويتجرأ الاوغاد على الامام والزعيم والمصطفى .. كما تجرا الاعداء على مقدساتنا ، واستهانوا بالاسلام والمسلمين ...، وتقع الاحداث الخطيرة على المسلمين وكأنهم ــ والسفاه ــ مشاولون او اموات !

ان المسلمين في حاجة لشعور اسلامي ، ووعي اسلامي ، وعمل اسلامي ، ليصلحوا داخلهم ...، ويخرجوا الاعداء من مقدساتهم واوطانهم ..!

الرباط ــ محمد الازهري



في تاريخ الفكر الاسلامي الحديث

للأستاذ ابراهيم دسوقي أباظة

لم يشهد الفكر الاسلامي تجديدا يذكر منذ عصر ابن خلدون الى عصرنا الحديث (1) ، فقد توالت على الدولة الاسلامية بعد عصور الازدهار والرفعة نكبات وأهوال ومحن مزقت من اصولها واوهنت من قواها (2) . وقد تابع الفكر الاسلامي هذا التطور وارتبط به اثر فيه وتأثر به فقد نشطت الحركة الفكرية وتشعبت وأينعت في المراحل التي كان فيها لدولة الاسلام شأن وسلطان حيث توافر للفكر تربته ورجاله غير ان هذه الحركة لم تلبث ان هدأت ثم خمدت عندما دخلت الدولة الاسلامية مراحل الافول والضياع .

وكان لازدهار الحضارة الغربية واستبداد ساعدها ما مكن من هذا الاندثار والتخلف فقد انطلق الفكر الغربي يهاجم اول ما يهاجم ما بقي عند المسلمين من تمسك بالتراث الاسلامي . وكان في حركات الاستعمار الكبرى ما مكن الغرب من بلوغ مأربه . اذ سرت حملات التشكيك فيما أتى به الاسلام من قيم واستشرت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون مسايرة الرقي العالمي ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التى قبلها الغرب وان تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من ورطة الانحلال الاسلامي . (3)

وكان لكل ذلك أثره في اتجاه الكثيرين من ابناء الدول الاسلامية الى الثقافة الغربية يأخذون بنتاجها ما وسعهم الاخذ وينقلون عنها ما وسعهم النقل . فصار ذلك المسخ المشوه من الافكار والآراء التى توقفت عند الغث من قيم الحضارة الغربية وعجزت عن ادراك الثمين منها (4) .

ومن هنا انتشرت النزاعات الفكرية المعادية للاسلام والموالية للمدنية الغربية بينما ضعفت الاجتهادات الفكرية الاسلامية واكتفى القائمون على شؤونه باجترار الماضي وترديد آراء الاولين (5) .

جمال الدين الافغاني :

ودار الزمن ، وانطلقت صيحات ثائرة من هنا وهناك تدعو الى الاجتهاد والتجديد ليسترد الاسلام مكانته وكان من أعمقها وأشدها أثرا تلك الصيحة التى

---

(1) اقرا في هذا المعنى مؤلف محمد اسد

(2) راجع فيما يتعلق بتفكك العالم الاسلامي مؤلف الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري : المجتمع الاسلامي والتيارات المعاصرة ص 16 الى ص 17 .

(3) راجع مؤلف محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق من ص 77 ص 78 .

(4) راجع مؤلف الدكتور محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي حيث يستعرض المؤلف صورا من هذا الفكر ص 27 وما بعدها .

(5) راجع في هذا الشان مؤلف الاستاذ علال الفاسي : دفاع عن الشريعة حيث يكشف عن الدور الذي لعبه الاستعمار الغربي في محاولة القضاء على الاسلام .

اطلقها جمال الدين الافغاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (6).

والدعوة التى اطلقها الافغاني وتفانى من اجلها دعوة سياسية اسلامية تدور حول توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم فى اطار تعاليم الاسلام ومبادئه الكبرى. وكان يستهدف الوصول بالمسلمين الى نموذج معين من الحياة ياخذ بما عند الغرب من حضارة ومدنية وعلم على أن يكون فى هذا الاخذ تلاؤما مع الاسلام. ولم يال الداعية الاسلامي جهدا فى محاربة الاستعمار الغربي والتحذير من خطره والمناداة باطلاق الحريات للشعوب الاسلامية واحترام سيادتها وجاهد فى دعوة المسلمين وغير المسلمين فى الاوطان الاسلامية الى الترابط الوثيق ونبذ الخصومة التى تمزق صفوفهم بين شيعة وسنة (7) وعمد الى محاربة البدع والخرافات التى اقحمت على الدين وحث على فتح باب الاجتهاد والبحث.

ولم يترك جمال الدين الافغاني من تراث فكري سوى كتابه فى الرد على الدهريين الذى استهدف محاربة المذهب الطبيعي (الدهري) الذى انتشر فى الهند عام 1879 م (8) ومجموعة مقالات بمجلة العروة الوثقى التى كان يصدرها بباريس.

واذا كان الافغاني لم يأتنا بمنهاج مفصل للنهوض بالامة الاسلامية ورفعة شأنها فقد ترك آثارا لا تمحى فى الفكر الاسلامي الحديث وخلف جيلا من الرو عملوا على اقامة هذا المنهاج ولعل ابرزهم محمد اقبال فى الهند (9) ومحمد عبده فى مصر (10).

الامـــام محمـــد عبـــده :

ويحدد الشيخ محمد عبده دعوته بقوله :

... وارتفع صوتي بالدعوة الى أمرين عظيمين :

الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفها الى ينابيعها الاولى، واعتباره — اي الدين — ضمن موازين العقل البشري التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه ... وقد خالفت فى الدعوة اليه راي الفئتين العظيمتين، اللتين يتركب منها جسم الامة : طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو فى ناحيتهم.

الثاني : فهو اصلاح اللغة العربية ... (11)

ولم يخرج الشيخ محمد عبده فى حركته الفكرية على الطريق الذى اختطه من قبل سلفه جمال الدين الافغاني ولم يحد عن الغاية التى استهدفها بل واستند الى ذات الاسس التى استند عليها استاذه قبل.

وما من شك أن الشيخ محمد عبده واحد من اولئكم الرواد المجددين والزعماء الوطنيين الذين قاوموا الاستعمار الغربي وعارضوا النفوذ الاجنبي فى محيط العالم الاسلامي (العربي) (12). وقد عرفت له مدرسة فكرية وعرف له أتباع وتلاميذ (13).

وقد تناول الشيخ عبده فى تفكيره عدة قضايا رئيسية :

---

(6) ولا يفوتنا ان نذكر رائدين آخرين سابقين على جمال الدين الافغاني غيرا وجه التاريخ فى المنطقة العربية وهما محمد بن عبد الوهاب فى القرن الثامن عشر ومحمد بن علي السنوسي الكبير فى النصف الاول من القرن التاسع عشر. راجع فى المقارنة بين آرائهما الاسلامية وآراء جمال الدين الافغاني مؤلف الدكتور محمد البهي السابق الاشارة اليه ص 61 وما بعدها.

(7) راجع فى كل ما يتعلق بآراء جمال الدين الافغاني مؤلف الدكتور محمد البهي السابق الاشارة اليه ص 61 وما بعدها.

(8) راجع فى مقومات هذا المذهب مؤلف الدكتور محمد البهي السابق الاشارة اليه ص 61 وما بعدها.

(9) راجع فى فكر محمد اقبال المؤلف السابق ذكره ص 400 وما بعدها.

(10) راجع فى تاريخ الامام محمد عبده المرجع السابق الاشارة اليه ص 103 وما بعدها.

(11) تاريخ الامام محمد عبده ج 1 ص 11 — 12 نقلا عن مؤلف الدكتور محمد البهي السابق الاشارة اليه ص 103.

(12) راجع المؤلف السابق الاشارة اليه ص 104.

(13) راجع المؤلف السابق الاشارة اليه ص 105 وما بعدها.

1 ـ **الجانب القومي والوطني** : حيث بحث حدود الوطن وضرورة شعور المواطن بوطنه وما بينهما من صلة وثيقة (14) .

2 ـ **الجانب الاجتماعي** : اذا استلزم محمد عبده وجوب تقوية الروح الجماعية في الامة مع اضعاف الاتجاهات الفردية او الانفصالية ووسيلة ذلك في رأيه هي التربية الحقة اي تلك التي تقوم على رعاية التعاليم الاسلامية وتنقد المجتمع المصري الذي لا يعتبر سوى صورة للمجتمع الشرقي . فيصف احاديث هذا المجتمع بانها دليل على سوء الفهم للحياة وعلى عدم الجد فيها وسوء التربية وعدم التهذيب ويتناول الزواج فيعتبره عاملا من عوامل السعي الجدي في الحياة وضربا من ضروب التنظيم لحياة الزوجين . اذ يكمل كل منهما الآخر وذلك لمصلحتهما المشتركة ومصلحة اولادهما واخيرا مصلحة الجماعة.

ويتصدى الشيخ محمد عبده الى مشكلة تعدد الزوجات فيعتبرها مضرة اجتماعية ويدعو الى توخي القصد الحقيقي من الزواج والاقتصار على زوجة واحدة الا في الحالات التي يتحقق فيها شرط الشارع في الجمع بين اكثر من زوجة .

وقد حارب الشيخ محمد عبده ايضا البدع والرشوة وعدم المبالاة بالمصلحة العامة التي استشرت في المجتمع المصري وتطرق الى المشكلات الاقتصادية فانتقد السفه والاسراف وعرف السلوك الاقتصادي بانه الحد الوسط وامتدحه ونصح باتباعه . ثم حدد موقفه من الراسمالية وبين معانيها وحض على ضرورة توزيع الثروة في الامة (15) .

3 ـ **الجانب العقائدي** : وقد تعرض اخيرا الشيخ محمد عبده لهذا الجانب الخطير وتناول بدعوته امرين اساسيين :

أ ـ تحرير المسلم من عقيدة الجبر والخنوع مع الحفاظ على عقيدة القدر

ب ـ اقناع المسلم بأن العقل الانساني نعمة من عند الله ويجب لذلك ان يتلاءم ويسير جنبا الى جنب مع دين الله وتعاليمه وان اغفال العقل معناه اغفال لهذه النعمة (16)

وقد سجلت المرحلة اللاحقة على وفاة الشيخ محمد عبده وعلى وجه التحديد مطلع القرن العشرين بداية غزو فكري جديد شمل الاوطان الاسلامية كلها وقد تمثل في المد الماركسي الذي اعقب الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 . فقد وجد هذا الفكر سندا في الدولة السوفييتية التي عملت على اذكائه ونشره مستعملة في ذلك ما وسعها من الوسائل المادية والمعنوية .

ولما كانت الاوطان الاسلامية تقع في غالبيتها ضمن دائرة العالم الثالث المستعمر وكانت شعوبها ـ كغيرها من الشعوب المغلوبة على امرها ـ قد بدأت في الانتفاض والتحرك للخلاص من قبضة الاستعمار فقد وجد ارباب الدعاية الماركسية في هذه الاوطان تربة خصبة لبث افكارها . اذ قدمت الماركسية في تلك اللحظات الحاسمة وكأنها العلاج الناجع الوحيد في القضاء على الاستعمار وتحرير البلاد المتخلفة ومنها الاوطان الاسلامية ـ من سطوته .

بل وقدمت وكأنها العلاج الناجع الاوحد لمشاكل التخلف والفاقة التي تعاني منها هذه الدول .

ولم يكن من اليسير مقاومة هذا الزحف المتسلل عبر الاماني الوطنية فوجدت هذه الافكار صدى في كل البلاد الاسلامية اذ تلقفتها كثير من النفوس التي اعياها البحث عن طريق .. وحاولت ان تجد فيها معبرا لآمالها في مستقبل افضل (17) ؛ وعلى الرغم من كل ذلك فقد اتصل المد الاسلامي بعد الامام محمد عبده واستمر في التدفق ليرسم الطريق لبعث جديد فكان السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الذي اكمل قسما كبيرا من تفسير الامام محمد عبده (18) .

---

(14) راجع المؤلف السابق الاشارة اليه ص 111 وما بعدها .
(15) راجع المؤلف السابق الاشارة اليه ص 128 وما بعدها .
(16) راجع في ذلك المؤلف السابق الاشارة اليه ص 130 وما بعدها .
(17) راجع في هذا الصدد مؤلف الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري (المجتمع الاسلامي والتيارات المعاصرة السابق الاشارة اليه من ص 19 الى ص 20 ومن ص 56 الى ص 58
(18) السيد محمد رشيد رضا من مدينة قلمون طرابلس لبنان ونزح الى مصر والتحق بالامام محمد عبده وشاركه في العمل بدعوته الاصلاحية وعمل على اتمام رسالته عن طريق مطبعة المنار .

ثم برز من بعده السيد ابو الاعلى المودودي فى الهند والباكستان داعية اسلامية ومصلحا مبدعا فى تاريخ الفكر السياسي الاسلامي (19) وقد تناول السيد ابو الاعلى المودودي نظرية الاسلام فى الدولة والحكم بالشرح والتفسير، فتصدى لبحث نظرية الاسلام السياسية (20) . ومنهاج للانقلاب الاسلامي (21) والقانون الاسلامي وطريق تنفيذه (22) .

ثم تناول موضوع تدوين الدستور الاسلامي (23) وحقوق اهل الذمة فى الدولة الاسلامية (24) ، واخيرا اشترك مع غيره من علماء المسلمين فى وضع المبادىء الاساسية للدولة الاسلامية (25) .

هذا وقد صاحب هذه الحركة الفكرية التى بدات فيما بين الحربين العالميتين وازدهرت بعدها جهود علمية وعملية فى مصر تستهدف الدعوة الى تطبيق نظرية الاسلام السياسية والاجتماعية . وتصدر هذه الدعوة الشيخ حسن البنا منذ عام 1928 وسلك بها طريقا شعبيا . وكانت فى بدايتها دعوة دينية اصلاحية الا انها اخذت تتجه رويدا رويدا الى ميدان العمل السياسي وخاصة بعد عام 1936 ، اذ كان لها دور فعال فى تجنيد القوى وحشد الطاقات لمواجهة الاستعمار الجاثم على أرض مصر فى ذلك الحين .

وعندما بلغت هذه الحركة أوجها من القوة والنفوذ تعثرت ثم انتكست وخاصة بعد مقتل رئيس الوزراء فى ذلك الحين دولة محمود فهمي النقراشي (28 ديسمبر 1948) وما اعقبه من اغتيال الاستاذ حسن البنا (12 فبراير عام 1949)

وللاستاذ البنا مؤلفات عديدة لعل أهمها دعوتنا، ونحو النور والرسائل الثلاث ، وقد كتب مذكراته التى ضمنها افكاره وآراءه الاساسية فى الاصلاح ومنهاج الحكم الاسلامي .

وللاستاذ البنا انصار واتباع من المجددين فى الفكر الاسلامي حملوا الرسالة وساروا بها من بعده الى نهاية حياتهم . ولعل من ابرز هؤلاء الاستاذين عبد القادر عوده وسيد قطب .

وقد اتجه الاستاذ عوده اكثر ما اتجه الى دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، ولعل اهم مؤلفاته « التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي » و « الاسلام واوضاعنا القانونية » و « المال والحكم فى الاسلام » و « الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه » (26) .

اما السيد قطب فقد واصل الدعوة الفكرية بعد الشيخ حسن البنا الى ان قضى نحبه يوم 29 اغسطس عام 1966 .

وقد امتاز الاستاذ السيد قطب بأسلوبه الفريد فى معالجة مشكلات الحضارة الاسلامية والدعوة الى تطبيق منهاج الاسلام فى الدولة والحكم وكان من اكثر مفكري الاسلام فى هذا العصر نشاطا ومن اكثرهم نتاجا .

وقد أضاف الى تراث الفكر الاسلامي مؤلفات عديدة لعل اهمها : « السلام العالمي فى الاسلام » و « الاسلام ومشكلات الحضارة » و « فى ظلال القرآن » و « التصوير الفني فى القرآن » و «خصائص التصور الاسلامي ومقوماته » و « معركة الاسلام

(19) ويجب ان لا نغفل بروز مفكرين آخرين نابهين فى تلك الفترة مثال السيد ابو الحسن علي الحسن الندوي فى الهند ويقوم باصدار مجلتي البعث الاسلامي والرائد .
(20) محاضرة القاها السيد ابو الاعلى المودودي بمدينة لاهور عام 1939 .
(21) محاضرة القاها السيد ابو الاعلى المودودي بمدينة عليكرة فى 12 سبتمبر 1940 .
(22) محاضرة القاها السيد ابو الاعلى المودودي بمدينة لاهور فى 6 / 1 / 48 و 19 / 2 / 48 .
(23) محاضرة القاها السيد ابو الاعلى المودودي بمدينة مراكش فى 24 نوفمبر 1952
(24) رسالة كتبها السيد ابو الاعلى المودودي ونشرها فى مجلته (ترجمان القرآن) فى شهر اغسطس عام 1948 .
(25) تم وضع هذه المبادىء واقرارها فى مؤتمر العلماء المسلمين الذى انعقد لهذا الغرض فى كراتشي فى المدة من 21 الى 24 يناير عام 1951 .
(26) انظر فى عرض ومناقشة بعض آراء الاستاذ عبد القادر عوده مؤلف الدكتور عبد الحميد متولي

والراسمالية » و « هذا الدين » و « المستقبل لهذا الدين » واخيرا « معالم فى الطريق » (27) .

وقد ضمن الاستاذ سيد قطب هذا المؤلف الاخير ـ معالم فى الطريق نظريته فى التغيير من المجتمع الراهن الى المجتمع المسلم وخط المنهاج والاسلوب الكفيلين باحداث هذا التغيير (28) .

ويعتقد الاستاذ سيد قطب ان العالم الغربي لم يعد لديه ما يعطيه للبشرية من قيم ومباديء بعد ان انتهت الديمقراطية فيه الى ما يشبه الافلاس (29) .

كذلك يعتبر الماركسية وما طبق منها فى المعسكر الشرقي فى حالة تراجع واضمحلال بسبب مناهضتها للطبيعة البشرية والفطرة الانسانية اذ هي لا تثبت وفقا لرايه الا فى بيئة محطمة .

ويرى ان النهضة العلمية ادت دورها ووصلت الى قمتها خلال القرنين الماضيين ولم تعد تملك رصيدا جديدا ، ويعتبر ان العالم كله يعيش اليوم فى جاهلية تقوم على الاعتداء على اخص خصائص الالوهية وهي الحاكمية . فلابد اذن من اعادة وجود الامة الاسلامية باعتبار ان «التصوير الاسلامي» ينيط بالانسان خلافة الارض . وينتهي الاستاذ سيد قطب الى القول بوجوب قيادة جديدة للبشرية تملك الحفاظ على الحضارة المادية وانمائها . تلك الحضارة التى وصلت اليها البشرية عن طريق « العبقرية الاوروبية فى الابداع المادي » .

وفى هذا السبيل لابد أن يتمثل التصور الاعتقادي من فورة فى مجتمع حركي اي لا بد من نشوء تجمع عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي، وان يكون منفصلا ومستقلا عن التجمع العضوي الحركي الجاهلي الذى يستهدف الاسلام الغاءه وان يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة فى رسول الله صلوات الله عليه وفى كل قيادة اسلامية تستهدف رد البشرية الى الوهية الله وحده عز وجل وحاكميته وسلطانه وشريعته .

ويؤكد الاستاذ سيد قطب ان المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على امور تتعلق بارادتهم الحرة الواعية واختيارهم الذاتي هو المجتمع المتحضر اما المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على امور خارجية عن ارادتهم الانسانية فهو المجتمع المتخلف او بالتقييم الاسلامي هو المجتمع الجاهلي .

ويخلص الاستاذ قطب من كل ذلك الى ان الانسان « حين ينهض بالخلافة فى الارض على عهد الله وشرطه ويصبح وهو يفجر ينابيع الرزق ويصنع المادة الخامة ويقيم الصناعات المتنوعة ويستخدم ما تتيحه له كل الخبرات الفنية التى حصل عليها فى تاريخه كله حين يصبح وهو يضع هذا كله ربانيا يقوم بالخلافة عن الله على هذا النحو عبادة الله ، يومئذ يكون هذا الانسان كامل الحضارة ويكون هذا المجتمع قد بلغ قمة الحضارة . فأما الابداع المادي ـ وحده ـ فلا يسمى فى الاسلام حضارة فقد يكون وتكون معه جاهلية » (30) .

وهكذا ننتهي الى ان الاسلام لا يحتقر المادة ولا يحتقر الابداع المادي « فأما اولئك الذين يضعون المنهج الالهي فى كفة والابداع الانساني فى عالم المادة فى كفة اخرى .. فهم سيئوا النية شريرون يطاردون البشرية المتعبة الحائرة » (31) .

تلك لمحات خاطفة عن اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر وهي وان دلت على شيء فانما تدل على مدى ما وصلت اليه المعركة الفكرية من احتدام وضراوة بين طلائع المد الاسلامي والتيارات الفكرية المعاصرة . ولعل المستقبل وحده كفيل بابراز ما فى معين الامة الاسلامية من طاقات فكرية كامنة .

ابراهيم دسوقي أباظة

---

(27) كتاب معالم فى الطريق ـ هو آخر مؤلفات الاستاذ سيد قطب .
(28) راجع فى التعليق على كتاب « معالم فى الطريق » مقال الاستاذ علال الفاسي بمجلة الايمان ـ العدد السابع ـ اكتوبر / نوفمبر 1966 .
(29) راجع فى هذا الشأن مؤلف الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري السابق الاشارة اليه ص 46 .
(30) راجع فى هذا الشأن مؤلف الاستاذ سيد قطب «معالم فى الطريق» من ص 153 الى ص 154 .
(31) المرجع السابق ص 7

الكعبة المشرفة

أول بيت وضع للناس

للأستاذ محمد نعيم عكاشة

يقول تبارك وتعالى : «ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات، مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين » ..

و « بكة » هي مكة ، وتسمى ايضا ام القرى وتقع فى بطن واد يحيط به سور من الجبال الشامخة وتفرها على البحر الاحمر جدة .. ويبلغ ارتفاع مكة عن سطح البحر نحو 280 مترا .

وفى وسط مكة المسجد الحرام ويتاليف الآن من طابقين وقد تم توسيعه من جهاته الاربع ، وتبلغ مساحته بعد الاضافات الاخيرة 160،168 مترا مربعا، واستخدمت فى كسوة جميع جدرانه 99 الف متر مربع من اثمن أنواع الرخام ، وهو يتسع الآن لاكثر من 300 الف حاج فى وقت واحد ..

وقد ادخلت الصفا والمروة (المسعى) فى الحرم، ويجري حاليا بناء اربع منائر جديدة ارتفاع كل منها 90 مترا عوضا عن المنائر القديمة التى ازيلت بفعل التوسيعات وبذلك يصل عدد منائر الحرم سبعا كما كان فى الماضي .

قبلة المسلمين :

وفى وسط المسجد الحرام حجرة كبيرة مربعة الشكل تقريبا ومرتفعة البناء تبلغ مساحتها نحو 120 مترا مربعا ، ويبلغ ارتفاعها 15 مترا .. وهي مسقوفة بسقف منقوش بنقوش جميلة ، مقامة على ثلاثة اعمدة من خشب العود الوردي ، قطر العمود منها نصف متر وهي مبنية بالحجارة الصماء ذات اللون الازرق .. هذه هي الكعبة المشرفة ، وكما تسمى الكعبة تسمى البيت .. قال تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا » ، وتسمى ايضا البيت الحرام قال تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » .. وتسمى كذلك البيت العتيق .. قال تعالى : « وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » ..

وهي قبلة المسلمين فى الصلاة ولكونها فى وسط المسجد الحرام فكل من ولى وجهه شطر المسجد الحرام فقد ولى وجهه شطرها ، وقد اضافها الله سبحانه وتعالى الى نفسه فى قوله لرسوله ابراهيم عليه السلام : « وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود » ..

والمراد بقوله تعالى : « ان اول بيت وضع للناس » انه اول بيت جعله سبحانه فى الارض متعبدا للناس ، ففرض حجه على الناس عبادة وطوافهم حوله عبادة .. قال تعالى لرسوله ابراهيم : « وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود » ، ولا يوجد بيت غير الكعبة تعظيمه عبادة لله .. والطواف حوله عبادة لله .. وحجه فريضة من فرائض الله ..

وقد ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة » .. ويدل الحديث على قدم حرمته من يوم خلق السماوات والارض .. ولا يدل على ان البيت خلق قبل خلق السماوات والارض كما ذكرت بعض الروايات .. وقوله تعالى : « اول بيت » فى الآية، يدل على ان المراد به الكعبة وقوله تعالى: «ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين» — يدل على ان الكعبة هي اول بيت بني لعبادة الله تعالى ، وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين ، وانما اختلفت الروايات في اول من بنى الكعبة .. وكم مرة بنيت ..

قال النووي فى شرح مسلم .. قال العلماء بني البيت خمس مرات : بنته الملائكة ، ثم ابراهيم عليه السلام ، ثم قريش فى الجاهلية ، وحضر النبي عليه الصلاة والسلام هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس وعشرون ، ثم بناه ابن الزبير ، ثم الحجاج بن يوسف .. وقيل بني مرتين اخريين او ثلاثا ..

وقد رتبت بعض الروايات بناء الكعبة على هذا النحو :

* بناء الملائكة
* بناء آدم
* بناء شيث ابن آدم
* بناء ابراهيم
* بناء العمالقة
* بناء جرهم
* بناء قصي
* بناء عبد المطلب
* بناء قريش
* بناء عبد الله بن الزبير
* بناء الحجاج بن يوسف
* بناء السلطان مراد خان العثماني .

غير ان ما ذكر فيها من بناء الملائكة وآدم وابنه للكعبة ضعيف لا دليل ولا سند له لان الحق الثابت بالقرآن والسنة الصحيحة ان اول من بنى الكعبة ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل ، قال تعالى : « واذ بوانا لابراهيم مكان البيت » ، والمراد ان الله سبحانه هيا لابراهيم المكان الذى يبنى فيه البيت بان دله عليه ..

وقد ارجعه البعض الى الغلو فى تعظيم الكعبة ولكنه ما شرف الكعبة ولا عظم قدرها بمن بناها وانما شرفت وعظمت بان الله جعلها فى الارض اول متعبد للناس كافة وفرض حجها والطواف حولها ووضعها مكانا مباركا وهدى للعالمين .

الحجر الاسود

والحجر الاسود هو مبدأ الطواف حول الكعبة ، ويقع فى الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج، ويرتفع عن الارض بمقدار متر ونصف ، وهو اسود اللون ، ذو تجويف اشبه بكاس الشرب .. وقد ورد في الصحيحين وفى معظم كتب السنة ان سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال حين استلم الحجر :

« اللهم انك حجر لا تنفع و لاتضر ، ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .. ويستدل من قولة عمر هذه انه كان يدفع توهم بعض حديثي الاسلام من اعتقادهم فى حجارة اصنام الجاهلية من الضر والنفع وحتى لا يشاع بان فى الاسلام بقية من الوثنية ، وكأنه رضي الله عنه ينظر بعين الغيب الى ان هناك خصوما للاسلام قد يتهمونه بهذه الفرية وهو ما حدث فعلا .. وفى الوقت نفسه بين ان الاقتداء بالرسول واجب حتى فيما لم تظهر لنا حكمته ويبين لنا سره ..

وقد داب اصحاب المذاهب المادية على التشكيك فى جدوى تقبيل الحجر الاسود ، والطواف بالكعبة .. ولعل ابلغ رد على هؤلاء ما كتبه بالانجليزية العالم الهندي مولاي محمد علي فى كتابه « الدين الاسلامي » اذ يقول فى بعض فقراته : « الحجر الاسود ابتداء الطواف بالكعبة ولا توجد اقل اشارة تبين لنا من أين جاء هذا الحجر ومتى وضع هناك ؟ الا ان من المحقق انه كان هناك قبل ظهور الاسلام ، وكان وجوده على الاقل منذ زمن ابراهيم ، حيث الشعائر الدينية فى الحج يمكن ارجاعها الى عهده ..

« ولكن مما هو جدير بالاعتبار ، انه على الرغم من ان الكعبة كانت وكرا للاصنام قبل مجيء الاسلام، فقد كان فيها 360 صنما ، فان الحجر الاسود لم ينظر اليه قط من عرب الجاهلية على انه صنم من الاصنام التى بين جدران الكعبة .

« ولما كانت سنة تقبيله اثناء الطواف ظلت باقية وهي اثر من عهد ابراهيم الخليل فقد استغل ذلك النقاد الاوربيون فى اتهاماتهم للاسلام بانه قد احتفظ ببقايا من الوثنية الجاهلية ، بل هناك نقاد آخرون كان من رأيهم ان الطواف بالكعبة ايضا عادة وثنية .

« وان لمحة سريعة الى الحقائق كافية من ان ترينا سخافة هذا الرأي ، فان المعروف الثابت ان عرب الجاهلية قد اتخذوا آلهتهم من اشياء لا تحصى ، ومع ذلك فان الكعبة والحجر الاسود هما الشيئان الوحيدان اللذان استمرا بعيدين عن اتخاذهما ضمن تلك الآلهة ، مع ما لهما من التمجيد الذى كان يكنه العرب لها قبل الاسلام .

« هذا وان الكعبة كانت تعرف ببيت الله ، وكان الاعتقاد السائد بينهم انه لا يستطيع احد هدمها مهما أوتي من قوة ، ويرجع هذا الاعتقاد الى ما حدث عندما هاجم ابرهة مكة حيث اعتصم اهلها بالجبال المحيطة بها ، ولم يبدو ادنى مقاومة لهذا المهاجم ، وعندما سأل ابرهة عبد المطلب ، لماذا لم يطلب منه ان يبقى على الكعبة ، كان رد عبد المطلب : ان الكعبة بيت الله وان للبيت ربا يحميه .. وعلى الرغم من كل هذا التبجيل فان الكعبة لم تعبد ابدا، اما انه قد كانت بها أوثان فهذا مما لا شك فيه ، ولكن الأوثان هي التى كانت تعبد لا الكعبة . وهذه الفكرة عينها تنطبق على الحجر الاسود ، فقد كان يقبل ولكنه لم يعتبر الها على الرغم من ان العرب عبدوا الاحجار غير المنحوتة، والاشجار ، وكثبان الرمال .

« هذا والمسلمون كانوا معادين الوثنية ، حتى انهم عندما راوا على الصفا والمروة صنمين هما أساف ونائلة ، رفضوا ان يسعوا بين هذين الجبلين ، حتى نزلت الآية : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » .

مغزى تقبيل الحجر الاسود :

ثم يستطرد فى فقرات اخرى عن مغزى تقبيل الحجر الاسود فيقول :

« ان بناء ابراهيم للكعبة حقيقة تاريخية ، وان وجود الحجر الاسود هناك عرف منذ ان عرفت الكعبة ، وهذا ما لا يتطرق اليه الشك ، أما ان الحجر الاسود قد انزل من الجنة أو انه كان فى الاصل ابيض ثم اصبح أسود من ذنوب البشر ، فذلك ما لا يوجد أي حديث معتمد يشير اليه ..

« والحقيقة ان الحجر الاسود هو حجر الزاوية للكعبة ، وقد وضع هناك كشعار ورمز الى ان هذا الذى خلفه ابراهيم والذى رفضه بنو اسرائيل ، قد صار حجر الزاوية فى مملكة الله .. وتشير الى ذلك المزامير فى المزمور الثامن عشر بعد المائة حيث يقول :

« الحجر الذى رفضه البناءون قد صار حجر الزاوية » .

« كان ينظر الى اسماعيل على ان الله قد نبذه وان العهد انما أبرم مع أولاد اسحاق فقط . هذه كانت وجهة نظر اليهود ، وهي نتيجة للحقيقة التى تقول ان ابراهيم قد وضع اسماعيل بالقرب من الكعبة ، وزيادة على ذلك فانه بينما كان الانبياء يظهرون الواحد تلو الآخر من بين بني اسرائيل فانه لم يظهر اي نبي من ذرية اسماعيل وعلى هذا فاعتقاد اليهود بأن اسماعيل قد نبذه الله قد اصبح اعتقادا قويا .

« على ان داود وان اشار الى هذا الحجر رمزا بأنه هو الحجر الذى رفضه البناءون » .. فقد تحدث عيسى عليه السلام فى وضوح اكثر وصراحة لا تقبل الابهام ، يخبر بني اسرائيل بأن كرمة العنب التى يرمز بها الى ملكوت الله ستنزع منهم ، وتعطى الى مزارعين آخرين من غير بني اسرائيل .

« فقد جاء فى الاصحاح الحادي والعشرين من انجيل (متى) : قال لهم يدع : اما قرأتم فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار راس الزاوية من قبل الرب ، كان هذا وهو عجيب فى اعيننا ، لذلك اقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل على اثماره »

« فالحجر المرفوض فى النبوءة يعني امة مرفوضة ، وهو ما وضحه المسيح عليه السلام ، وان الامة المرفوضة ما هي الا من ذرية اسماعيل وذلك ما وضحه لنا التاريخ .. ولا يوجد فى العالم كله حجر غير مقطوع من جبل بيدين من أيدي البشر سوى هذا الحجر كما جاء فى الاصحاح الثاني من سفر دانيال « لانك رايت انه قد قطع حجر من جبل بلا يدين » ..

ذلك هو حجر الزاوية للبناء الذى فى اهميته لا يضاهيه اي بناء آخر فى العالم .. افبعد هذا من قول يقال ..!!

مصر ـ محمد نعيم عكاشة



وقضايا الاسلام وثقافته

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

— 10 —

والاسلام ذلك الدين الرائع الفذ في احكامه وتشريعاته، كلما وجد فرصة سانحة لانقاذ الرقيق، ورفع الجنس الانساني الى ذروة الانطلاق الا وسارع الى اقتناصها ، ذلك انه جعل العتق كفارة عن كثير من الذنوب ، ورغب أيما ترغيب في تحرير الانسان من غل العبودية ، وفيما يلي اقدم صورا جد طيبة لحدب شريعة الاسلام على الانسان وهو يرسف في قيود الذل والهوان :

ا ــ كفارة قتل الخطأ لقوله تعالى (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة الخ ..)

ب ــ كفارة الظهار وفيها يقول تعالى : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا) .

ج ــ كفارة الحنث في اليمين لقوله سبحانه : (لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة . الخ ..)

د ــ مكاتبة المملوك على نصيب من المال لاعطائه حريته وذلك في قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) .

هـ ــ حق الارقاء في مصارف الزكاة لتحريرهم وفي ذلك يقول تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب) .

و ــ العتق بالتدبير (1) كأن يقول السيد لعبده انت حر بعد وفاتي ، وبهذا القرار يمنع على السيد ان يرجع عما قرره .

ز ــ لفظ العتق او ما في معناه اذا صدر عن المالك كان هازلا ام جادا ام سكران تم العتق .

ح ــ السيد قد ينجب من جاريته ولد ، فاذا اعترف به اعتبر الولد حرا من يوم ولادته وتمسي الام بعد وفاة سيدها حرة .

ط ــ كفارة الافطار في رمضان عمدا .

ي ــ العتق يتم بالمثلة وهو ان يعذب السيد مملوكه او يمثل به .

ك ــ الترغيب في الاعتاق وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما رجل اعتق امرا مسلما استنقذ بكل عضو منه عضوا من النار)

يتبين من هذا ان شريعة الاسلام قد فتحت باب العتق على مصراعيه ، وتسقطت اوهى الاسباب

(1) انظر الحديث عن التدبير بتفصيل حاشية الرهوني على شرح الزرقاني ج 8 ص 190 وما بعدها الطبعة الاولى ، وانظر ايضا هامشه في نفس الصفحة وما بعدها لكنون .

لتحرير العبيد ، ذلك انها لم تترك فرصة تمر دون ان تتحينها لتقدمها للسيد حجة عليه لفك أسر مملوكه .

تلك مجهودات عملاقة ، ومساع مضيئة اضطلع بها منهاج الله من اجل الحرية الانسانية ، فما هي معاملته للرقيق ؟ .

معاملته مشرقة ، غاية في اللطف ، ذروة في الرقة ، كمال في الرافة وليس هذا الكلام كلام شاعر يتوسل بالمجاز والتشبيه ، او الصورة الفنية والخيال الانيق ، كلا والف كلا ، ان ذلك يعتضد بالواقع الملموس المتمثل في الجيل الاول من المسلمين الصالحين وما نقلته الينا مصادر لا سبيل الى الارتياب فيها . واليك البيان الشافي عما اقول .

كنت قد الممت فيما سبق الى معاملة الشعوب للمملوك ونظرتها له ، وتجريدها له من كل الحقوق التي يتمتع بها الاحرار ، على حين الاسلام معاملته له مثالية ، وبرهان ذلك انه اوصى به خيرا وامر من كان تحت يده رقيق ان يطعمه ويلبسه والا يرهقه ، وفي هذا يقول تعالى : (واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)

وبالنظر الى هذا البر الالهي في الآية نلحظ ان الله جل وعلا قرن وجوب الرفق بالرقيق بوجوب الايمان به ووجوب الاحسان بالوالدين ، وتلك عناية واي عناية من الله الكريم بمخلوقه المستعبد المتشوف الى الرحمة والحدب .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اعتق – وهو خير اسوة – زيد بن حارثة وخيره بينه وبين اهله فاختار البقاء معه ، وقد زوجه بنت عمته زينب بنت جحش ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الرسول عليه السلام هدف من وراء ذلك رفع الرقيق الى مكانته كانسان .

ولم يجتزىء الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الامر فقط ، بل انه ولى زيدا الآنف الذكر اميرا على الجيش فيه الانصار والمهاجرون ، وعندما قتل ولى بعده ابنه اسامة وهو لا يزال شابا ، وفي الجيش ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وهما من هما في الاسلام .

ومما ورد في الاحياء للامام الغزالي في باب حقوق المملوك . (واما ملك اليمين يقتضي حقوقا في المعاشرة لابد من مراعاتها ، فقد كان آخر ما اوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : (اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون وفيما احببتم فامسكوا أو كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم) (2) .

ومما يرويه ابو داود في سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من اعتق رقبة مومنة كانت فداءه من النار (3) .

ولقد دعا الاسلام الى تحرير الارقاء الكفار ليرد اليهم اعتبارهم الانساني ويتمثل ذلك في قوله تعالى : (لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة الخ)

والمتمعن فيما سبق يلحظ ان الله تعالى لم يصرح في كفارة اليمين بنوع الرقبة ويميزها بصفة الايمان كما في كفارة القتل ، وبسبب هذا اختلف الحنفية مع المالكية والشافعية اذ رأى الاحناف ان الرقبة الكافرة تجزى في كفارة اليمين لان اللفظ مطلق ، والاصل في المطلق ان يظل على اطلاقه ، وعند المالكية والشافعية ان المقصود بالرقبة الرقبة المؤمنة كما نص على ذلك الله تعالى في كفارة القتل . حملا للمطلق على المقيد .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان ولا منافق ولا سيىء الملكة ، واول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة ، فاتقوا الله واحسنوا فيما بينكم وبين الله ، وفيما بينكم وبين مواليكم) .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا رسول الله تعفوا على الخادم ، فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اعفوا عن الخادم كل يوم سبعين مرة) .

(2) ص 195 ج 2 طبع على نفقة عثمان خليفة
(3) ص 354 ج 2 الطبعة الاولى سنة 1371 هـ

واذا رحنا نستنطق اكثر من هـذه المصـادر الاسلامية عن موقف الشريعة المحمدية من الارقـاء لوجدنا بين ثناياها معينا ثرا من الرحمة الشفيقـة ، وعالما حافلا زاهرا بالعطف والرأفة نحو الانسـان المستعبد يخرس الالسنة الحداد والعقول الفجـة ، ويبرهن على مدى الاهتمام البالغ الذي يوليه المنهاج الالهي الخالد للانسان اي انسان ليضمن له حياة تظللها الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية .

اما ما كان يجترحه النخاسون من بيع الاطفال والنساء فالاسلام بـريء منه بـراءة الذئب مـن دم يوسف ، بل حرمه تحريما باتا قبل ان تزعم الدول المتحضرة كأمريكا مثلا انها قاومته في حين تشجعه وتحـض عليه ، ويتمثـل ذلك في تفضيلهـا الجنس الابيض على الاسود وتمنع هذا الاخيـر من ممارسة حقوقه المشروعة في كل مجال من مجالات الحياة ، وقد ادى التعصب المقيت بالشعب الامريكي الى ان يزري بالرجل الاسود زراية فاحشة وليس ادل على ذلك من ان بعض الفنادق والمنتديات يضع اصحابها فوقها لافتات كتبت عليها هـذه العبـارة البغيضـة الوقحة (للبيض فقط) .

ومما يبعث على الضحك ان رجال القانون في امريكا — وهم يمثلون النخبة المثقفة ويرعون قانـون البلاد — اصدروا حكما جائرا سنة 1963 في محاكم فلوريدا حول قضية اتصال جنسي بين امراة بيضاء ورجل اسود (4) .

ورغم المضايقات العديدة التي يتعرض لها الرجل الاسود في امريكا فان الزنـوج اثـروا في الحيـاة الامريكية ،ونبغ منهم شعراء كالشاعر جيمس بيل ، وموسيقيون من بينهم هاري بارلي ، وفنانون كالفنان هيوكي لي اسميث وغيرهم كثير .

وفي اتون هذه المعارك العنصريـة الجاهليـة البالية ساهم الادب والشعر — وهما المرآة الصقيلة تنعكس عليها الحياة حلوها ومرها ، جميلها وعصيبها — في مواجهة هذا الميز العنصري ورفضه رفضا لا هوادة فيه ، ولهذا تنصت بوعي واهتمام الى شاعر متحرر ابيض وهو (بويـل) يقـول في قصيـدة له (انشـودة الذكرى) متحدثا عن مأساة الانسان الضائع المهـان .

انحن يا وطني العزيز فقد وجدت الخلاص .

انحن لتقديم الصلوات والشكران .

انت لم تبق فقيرا ضمن حـدودك بل تستطيـع الآن أن تقف

فارفع الى السماوات عدالة جبهة رجل قد تحرر (5) .

والاستعمار على العموم في العصـر الحديـث همه ووكده استعباد الشعـوب الضعيفـة كانجلتـرا وفرنسـا ، وقصة استعباد هاتين الدولتيـن للامـم المتخلفة وسياستهما الوحشية فيها معروفـة لـدى الجميع .

اذا لماذا يهاجم اولئك الاسلام ويلوثونـه بتهـم باطلة الانه يصرح باعلى صوته (لا فضل لاسود على ابيض ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) ، الانه يمحق الفوارق العرقية ويدعو الى المساواة بيـن الاجنـاس ويقول باعتزاز (كلكم من آدم وآدم من تراب) .

اقول لماذا هاته المهاترات اللفظية الفارغة والرق كرهه الاسلام اشد الكره ولم يعترف به الا في حالة واحدة وهي الحرب الشرعية حيث يؤسـر فيهـا المنهزمون الذين كانوا قد صارحوا الدولة الاسلاميـة بالعداوة ، وناصبوها العـداء ، وذلك اذا ما ارتـأى رئيس الدولة استرقاقها لمصلحة من المصالح .

ومع هذا فان الضرورة الملحة هي التي اوجبت على المسلمين الاعتراف بالـرق في الحرب ، وآيـة ذلك ان الاعداء كانوا يسترقون المسلمين ويذيقونهم الوانا من الذل والخنوع ، فاضطرتهم هذه الظـروف الى المعاملة بالمثل ، وبالرغم من ذلك فقـد اختلفـت معاملة المسلمين لارقائهـم عن معاملـة الآخريـن لهم اختلافا جذريا ولاسيما في الحرب ، وفي هذا يحدثنا التاريخ الاسلامي بعز وفخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلق سراح الاسرى في غزوة بـدر بدون فداء ، واطلق البعض الآخر بفديـة وكما فعـل مـع نصارى نجران عندما قدموا له جزية فرد عليهم اسراهم وقد شرع كتاب الله تعالى هذا القانـون — قانـون

---

(4) راجع كتاب ثورة الزنوج في أمريكا للدكتور عبد الملك عودة سلسلة كتاب الهلال سنة 1965 — ص . 101

(5) راجع كتاب السود في امريكا لمرغريت جوست بوتشر تعريب الدكتور ممدوح حقي ص 185 — دار الكتاب .

اسرى الحرب ــ ليكون هديا تسير على نوره البشرية فى مسيرتها الطويلة منسجما والجوهر الحقيقي للحياة فقال تعالى (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها) .

وعلى هذا الهدي الالهي سار ولاة المسلمين فى حروبهم الكثيرة ، فكان منهم من يهب الحرية لاساراه وخصوصا اذا لم يتمكن من الاضطلاع بحقوقهم كاملة ، ونفس الامر فعل صلاح الدين الايوبي البطل الباسل مع اسراه عندما عجز عن اطعامهم .

تبين من كل ما سبق بهتان المستشرقين وشعوذتهم ، ومدى الحقد الدفين الذي يكنونه للاسلام ، وتبين كذلك الطريقة الحكيمة التى عالج بها منهاج الله قضية الرقيق تلك الطريقة التى تعتبر فذة فى بابها لم يهتد اليها العقل البشري لحد الآن وان حاول ان يجابه بها العبودية بيد ان هذه المجابهة لم تكن تنطوي على دراسة رشيدة تحدوها النية الحسنة ، جانب انها هزيلة بدائية لا تساير موكب الحياة فى تنقلاته وتغيراته ، واكبر دليل على ذلك تجربة ابراهام لنكولن فى تحرير العبيد ، هذا الرجل عمل من اجل انقاذ الارقاء ولكن كانت النتيجة الفشل او ما يشبه الفشل ، لان قانونه لم ينظر الى المشكلة من اعماقها ، وانما نظر اليها من ظاهرها بعكس الاسلام فانه قام بعملية التحرير من الجانب النفسي للارقاء ــ كما مر سابقا ــ ثم بعد ذلك اخذ يشجع على مجابهة هذه المعضلة البشعة ، من اجل هذا تحرر ارقاؤه تحررا حقيقيا وشعروا بالحرية الحقة او شاركوا فى بناء الدولة الاسلامية كباقي عباد الله ، واما ارقاء ابراهام لنكولن فانهم لم يحسوا فى باطنهم بالسيادة ، لان رواسب العبودية كانت لا تزال تجري فى دمائهم فرجعوا الى سادتهم يضرعون اليهم ان يقبلوه مملوكين مستعبدين (6) .

فحكمة الاسلام فى تحرير العبيد حكمة عجيبة باهرة تعلن بصراحة تامة انها من صنع مدبر الكون بلغها الى البشر نبيه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، ولا يمكن ان يجادل فيها الا جاهلي معاند أعمت بصيرته الجهالة والوقاحة . ولقد صدق الشاعر الذى قال :

اذا لم يكن للمرء عين بصيرة
فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر

تطوان ــ محمد المنتصر الريسوني

(6) راجع كتاب شبهات حول الاسلام للكاتب الاسلامي العظيم محمد قطب ص 41 الطبعة السادسة 1964 م .

عــذر ...

سأل رجل ابا عمرو بن العلاء حاجة فوعده ثم لم ينجزه فقال اخلفت ، فقال ابو عمرو : فمن اولى بالغم ؟ قال الرجل : انا ، فقال : بل انا ، لاني وعدتك فأبت بفرح الوعد وابت بهم الانجاز ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة ، فلقيتني مدلا ولقيتك محتشما .

أبحاث ودراسات

تقويم اللسانين

بقلم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

(12)

60 ـ ومن الاخطاء الشائعة في هذا الزمن في الاذاعة وعلى ألسنة الناس استعمال **التصليح** في معنى الاصلاح ، ولم تجد ذلك في كتب اللغة ولا في القرآن الكريم الذي هو اساس اللغة العربية . اما القرآن فقد قال تعالى في سورة النساء رقم 114 « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس » وقال تعالى في سورة الحجرات رقم 10 « انما المومنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم » وهو كثير في القرآن ، وكله من اصلح ، واما كتب اللغة فقد قال صاحب القاموس (الصلاح) ضد الفساد كالصلوح صلح كمنع وكرم وهو صلح بالكسر وصالح وصليح واصلحه ضد افسده . اهـ

61 ـ ومن العبارات المأخوذة من اللغات الاجنبية (الاوروبية) التعبير عن علماء الدين **برجال الدين** وهو تعبير ظاهر الفساد لان كل من كان له دين يدين به سواء أكان من العلماء بالدين ام لم يكن منهم فهو من رجال الدين ، ورجال الدين عند النصارى هم اصحاب الرتب الدينية وهي متفاوتة عندهم كتفاوت رتب قواد الجيش ، فكما ان رتب قادة الجيش تبتديء من ملازم وتنتهي في رتبة مشير فكذلك رتب رجال الدين عند طوائف النصارى ، فعند الكاثوليكيين تبتديء من ادنى قسيس يجوز له أن يؤم الناس في كنيسة وتنتهي في رتبة البابا . وعند البروتستانتيين الذين لا يؤمنون بالبابا لهم رتب معلومة عندهم ، أما الاسلام فليس فيه رهبانية ولا رتب دينية ، ولكن ينقسم المسلمون الى علماء بالكتاب والسنة وعلومهما ترجع اليهم العامة في الاستفتاء والقضاء وامامة الصلاة .

وليس في الاسلام رتب دينية ولا بابوية ولا رهبانية ، ولا مجمع يمنح الرتب الدينية ويسلبها فالصواب اذن التعبير بعلماء الدين قال تعالى في سورة المجادلة (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) اهـ

62 ـ ومن الاخطاء الشائعة التي يؤسف لها من كان عنده ادنى شيء من محبة اللغة العربية والغيرة عليها جمعهم **المدير** وهو الذي يدير شؤون مصلحة من مصالح الدولة على مدراء توهما منهم انه من باب فعيل بفتح الفاء وكسر العين الذي يجمع على فعلاء بضم الفاء وفتح العين كحكيم وحكماء ، وكريم وكرماء وبخيل وبخلاء ، وبينهما بون شاسع ، لا يلتبس احدهما بالآخر الا على من ليس له من علم اللغة العربية ادنى نصيب ، فان المدير وزنه مفعل من ادار يدير الرباعي فالصواب جمعه جمع مذكر سالم على مديرين ، كمقيم من اقام يجمع على مقيمين قال الله تعالى في سورة الحج رقم 35 بعد قوله تعالى « وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

قال ابن مالك فى الالفية :

ولكريم وبخيل فعلا
كذا لما ضاهاهما قد جعلا

وناب عنه افعلاء فى المعل
لاما ومضعف وغير ذاك قل

قال ابن عقيل فى شرح هذين البيتين ، من امثلة جمع الكثرة فعلاء هو مقيس فى فعيل بمعنى فاعل صفة لمذكر عاقل غير مضاعف ولا معتل نحو ظريف وظرفاء وكريم وكرماء وبخيل وبخلاء واشار بقوله كذا لما ضاهاهما الى ما شابه فعيلا فى كونه دالا على معنى وهو كالغريزة يجمع على فعلاء نحو عاقل وعقلاء وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وينوب عن فعلاء فى المضاعف والمعتل افعلاء نحو شديد واشداء وولي واولياء وقل مجيء افعلاء مجيء جمعا لغير ما ذكر نحو نصيب وانصباء وهين واهوناء والقياس نصباء وهوناء .

توضيح لكلام ابن عقيل :

رب قائل يقول ان كلام ابن عقيل واضح لا يحتاج الى توضيح وتوضيح الواضحات من الفاضحات، فاقول على رسلك اني احب ان يستفيد من هذه المقالات القراء كلهم او اكثرهم وانا اعلم ان فيهم ضعفاء يصعب عليهم ان يفهموا كلام ابن عقيل فهما تاما ولذلك يدرس فى الجامعات والمعاهد ولو كانت قراءته تكفي ما احتاج الطلبة الى مدرس يوضحه لهم فاقول فى توضيحه فيه مسائل :

الاولى : ان هذا الجمع وهو فعلاء واخوه افعلاء من جموع الكثرة وقد تقدم ذكر جموع القلة فى هذا الباب من كلام ابن مالك وشرحه لابن عقيل وهي اربعة .

الثانية : ان كل فعيل بمعنى فاعل احترز به من فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وكحيل بمعنى مكحول وكسير بمعنى مكسور فقد تقدم ذكر جمعها فبخيل اذا وصف به شخص فهو فاعل البخل وهو المتصف به وكريم وهو فاعل الكرم المتصف به وهكذا يقال فى ظريف وشريف وعظيم وما اشبه ذلك .

الثالثة : احترز بقوله صفة من فعيل اسما كقضيب فلا يجمع على فعلاء واحترز بقوله مؤنث كشريفة المؤنث فانه يجمع على شرائف وشريفات واحترز بقوله ، عاقل من فعيل صفة لغير العاقل كمكان فسيح اي متسع فلا يجمع على فعلاء بل يجمع على فسح بضمتين واحترز بقوله بمعنى فاعل من فعيل بمعنى مفعول كقتيل وقد تقدمت الاشارة اليه واحترز بقوله غير مضاعف من المضاعف كشديد وخليل فانهما يجمعان على افعلاء كما سيأتي قريبا ، واحترز بقوله غير معتل اللام من معتل الآخر كولي وغني فانهما يجمعان على افعلاء .

الرابعة : ان ما شابه فعيلا المذكور في معناه وان خالفه فى لفظه يجمع كذلك على فعلاء اذا كان دالا على معنى هو كالغريزة اي لازم لمن اتصف به لا ينفك عنه كعاقل وعقلاء وصالح وصلحاء وما اشبه ذلك فعاقل وصالح يشبهان بخيلا وكريما فى المعنى لانهما يدلان على صفة لازمة للموصوف بخلاف آكل وضارب فانهما صفتان لا تلازمان الموصوف وانما يتصف بهما فى بعض الاحيان .

الخامسة : اذا كان فعيل مضاعفا ، أعني أن عينه ولامه حرف واحد متكرر كشديد وخليل وجليل فانه ينوب عن فعلاء اخوه افعلاء فتقول اخلاء واشداء واجلاء ، وكذلك اذا كان معتل اللام كولي وغني وسخي فانه يجمع على افعلاء كأولياء واغنياء واسخياء.

السادسة : جاء جمع فعيل على افعلاء لغير ما ذكر بقلة فيما لم توجد فيه الشروط المتقدمة كنصيب وانصبة فان نصيبا اسم وليس بصفة . وهين واهونة فانه ليس فعيلا وهو صفة ليست خاصة بالعقلاء .

63 — ومن المصائب التي جاء بها الاستعمار الاجنبية لفظ **(العملية)** استعملوها اولا فى الجراحات الطبية فاخذوا يقولون فلان ادخل المستشفى فأجريت له عملية جراحية ثم توسعوا فيها فصاروا يعبرون بها عن كثير من الاعمال فيقولون عملية التفتيش وعملية انزال البضائع من الباخرة فيقحمونها قبل مصدر يدل على المعنى المطلوب فتكون عبثا وتكثيرا للكلام بلا فائدة وهذا الاستعمال مأخوذ من اللغات الاجنبية ترجم بها جهال المترجمين كلمة بالفرنسية Opération وبالانكليزية ، «اپيشن» ولم تستعملها العرب ولا من جاء بعدهم من الكتاب والشعراء والمؤلفين . فاستعمالها يخدش وجه اللغة العربية

وشينها فينبغي للاديب الذي يحافظ على جمال لغة القرآن وفصاحتها الا يستعملها في انشائه فان كان ولابد فليقل علاج جراحي او عمل جراحي ، اما عملية التفتيش او عملية انزال البضائع من الباخرة ففي مثل ذلك يحذفها ويعبر بالتفتيش او انزال البضائع بدون ذكر العملية وبالله التوفيق .

64 – ومن الكلمات الدخيلة التي جاء بها هذا العصر **التبسيط** يقال شرح الكتاب شرحا مبسطا ويقال يجب تبسيط كتب النحو يريدون بذلك التسهيل اخذ ذلك من لفظ بسيط وقد تقدم انتقاد استعماله في نقد استعمال البساطة للتعبير عن السهولة في النقد الثاني عشر (12) من تقويم اللسانين وهذا ايضا مما اخذ من اللغات الاجنبية بلا علم ولا هدى، قال صاحب القاموس المحيط = بسطه، نشره كبسطه بالتشديد اهـ . فالبسط والتبسيط معناهما التوسيع والنشر قال الله تعالى في سورة الشورى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير) .

وقال تعالى في سورة القصص رقم 83 في قصة قارون لما رآه الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها حين خرج عليهم بزينته وامواله (يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم) فرد عليهم الذين اوتوا العلم والايمان بقولهم (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) مما اوتي قارون من بهجة الحياة الدنيا وزينتها فلما رأوا ما حل به من الهلاك حين خسف الله به وبداره الارض ندموا على ما فرط منهم كما حكي الله عنهم بقوله (واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا ان من الله علينا لخسف بنا ، ويكانه لا يفلح الكافرون) فقوله سبحانه يبسط الرزق لمن اي يوسعه لمن يشاء من عباده ، ويقدر اي يضيقه على من يشاء من عباده ، وقولهم شيء بسيط هو ترجمة للكلمة الاجنبية Simple يراد به شيء سهل غير مركب غير معقد واخذوا منهم بجهلهم بسط بتشديد السين الشيء جعله بسيطا اي سهلا غير معقد قليلا او حقيرا ، وكل ذلك ضلال مبين .

65 – ومن الامثال العربية قولهم ليس الخبر كالعيان بكسر العين ومعناه لا يستوي ما سمعته واخبرت به وما رأيته بعينك وقد نظم هذا المعنى شاعر فقال :

يا ابن الكرام الا تدنو فتبصر ما
قد حدثوك فما راء كمن سمعا

فالعيان بكسر العين هو المعاينة **والمشاهدة** اي الرؤية بالعين وكثير من المتكلمين بالعربية **بفتح العين** في العيان فتعمى الكلمة اي تفسد **فابصارها** في كسرها وعماها في فتحها ، ومن كان عنده علم بقواعد العربية يدرك ذلك لان العيان **بكسر العين** مصدر عاين ومثله المعاينة كقاتل قتالا **ومقاتلة** وجادل جدالا ومجادلة وحاسبه حسابا ومحاسبة ، **قال ابن** مالك في الالفية :

لفاعل الفعال والمفاعلة
وغير ما مر السماع عادله

66 – ومن الاخطاء الشائعة **بين المذيعين** والقراء قولهم **كسب** فلان المعركة او السباق بكسر سين كسب والصواب فتحها في الماضي **وكسرها في** المضارع قال تعالى في سورة البقرة (**لها ما كسبت**) بفتح السين وقال تعالى في سورة النساء **رقم 111** (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) **فقوله** سبحانه وتعالى لها ما كسبت اي **لكل نفس جزاء** ما عملت من خير وعليها عقاب ما اكتسبت **من شر** ، وقال صاحب القاموس كسبه بفتح السين **يكسبه** بكسرها كسبا وتكسب واكتسب طلب **الرزق** او كسب اصاب واكتسب تصرف اهـ . **وبانعام النظر** في ما نقلته هنا يظهر لك خطأ آخر وهو **استعمالهم** كسب بمعنى ربح كأنه يقابل خسر **فيقولون ليس في** هذه الصفقة كسب بل فيها خسارة وقد **عرفت فساد** ذلك .

67 – ومن الاخطاء التي يقع فيها **كثير من** المذيعين والقراء كسر الدال من كذب **وهذا الفعل** لفظه مشهور جدا ، مذكور في القرآن **وهو بفتح** الذال من الباب الثاني من الفعل **الثلاثي كضرب** يضرب بفتح العين في الماضي وكسرها **في المضارع** ومن ضعف اللغة العربية في هذا **الزمن ان اكثر** المدرسين والطلبة المتخرجين في الجامعات **لا يعرفون** الابواب الستة التي اولها فعل يفعل **بفتح العين في** الماضي وضمها في المضارع وثانيها **فعل يفعل بفتح** العين في الماضي وكسرها في المضارع كضرب يضرب وكسب يكسب ، وثالثها فعل يفعل **بفتح العين في** الماضي والمضارع كنصح ينصح وقطع يقطع **وهذا الباب**

لابد ان يكون عينه اي الحرف الثاني منه أو لامه الحرف الثالث منه حرف حلق ، ولم يشذ عن هذه القاعدة الا فعل واحد وهو ابى يأبى فان عينه وهي الباء مفتوحة فى الماضي والمضارع مع ان عينه ولامه ليستا من حروف الحلق ، فهذا الباب محصور فى كون عينه او لامه حرف حلق الا ما استثنى غير ان الافعال التى عينها او لامها من احرف الحلق لا تنحصر فى هذا الباب بل تكون فيه وفى غيره كدخل يدخل فانه من باب نصر وصحب يصحب فانه من الباب الرابع الذى سنذكره بعد وكنت اشبه ذلك فى زمن الاستعمار حين اقرر هذه القاعدة لطلبة بالدولة المستعمرة بكسر الميم والشعب المستعمر بفتحها ففعل، فعل بفتح العين فى الماضي والمضارع شبيه بالشعب المستعمر لا يجوز له ان يخرج عن الحلقي فان الشعب الذى تستعمره فرنسا مثلا لا يجوز لاحد من اهله وان كان ملكا ان يتصل بدولة غير فرنسا والشعب الذى تستعمره بريطانيا لا يجوز لاحد من اهله وان كان ملكا ان يتصل بدولة اخرى كفرنسا مثلا وقد وقع لي مثل ذلك حين كنت ضيفا على ملكة (بهوبال) فى زمن الاستعمار الانكليزي فى الهند فقد جاءها بعض المتعصبين المبغضين لاهل الحديث نضر الله وجوههم فى الدنيا والآخرة وبالخصوص استاذي العالم المحدث الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الانصاري اليمني الى الملكة وقال لها ان هذا الشخص الذي فى ضيافتك وهو محمد تقي الدين الهلالي ليس عربيا من جزيرة العرب كما اخبرك به شيخه ولكنه من عرب المغرب ، ومن شروط الحماية البريطانية التي يجب عليك التزامها ان لا تتصلي بدولة اجنبية ولا برعاياها فراجت هذه المكيدة على الملكة وارسلت الي تعتذر وامرت رئيس الضيافة الكولونيل عبد القيوم خان ، ان ينقلني من دار الضيافة الملكية الى بيته ويكرمني فلم يأذن له فى ذلك شيخنا المذكور رحمه الله ونقلني الى ضيافته تغمده الله برحمته .

أما الافعال التى يوجد فيها حرف الحلق عينا أو لاما فهي كالدولة المستعمرة حرة تخالط اهل مستعمراتها وتخالط من تشاء من الدول .

الرابع ، فعل يفعل بكسر العين فى الماضي وفتحها فى المضارع وهذا قياس مضطرد سواء أكان الفعل متعديا كعلم يعلم او لازما كفرح يفرح .

الخامس ، فعل يفعل بضم العين فى الماضي والمضارع معا كحسن يحسن وعظم يعظم وكرم يكرم.

السادس ، فعل يفعل بكسر العين فى الماضي والمضارع معا كورث يرث وولي يلي وعدد هذا القسم لا يزيد على ستة افعال وهي على هذا الترتيب فى الكثرة والقلة فى كلام العرب ، والباب الاول والثاني سماعيان لا ينضبطان الا بالحفظ ، والثالث كثير فى كلام العرب يقرب أن يكون قياسيا ، اما الرابع والخامس فهما قياسيان ، والسادس ، قليل عدده ، سهل حفظه ، فان قيل هذه الافعال غير القياسية التى تحتاج الى الحفظ هي مما جعل اللغة العربية صعبة التعليم وجعل الشباب يعرض عنها ويقبل على اللغة الاوروبية ، اقول فى جوابه من جهل شيئا عاداه ، ان اللغة العربية اسهل من اللغات الاوروبية الشائعة ، فالفرنسية فيها افعال وتصاريف خارجة عن القياس تزيد على الالف وفيها صعوبات اخرى ليس هذا مقام بسطها واللغة الاسبانية مثلها فى صعوبة معرفة الافعال ، واللغة الالمانية فيها صعوبات كثيرة جدا فى افعالها واسمائها ومعرفة المبني والمعرب ، من الاسماء واعرابها اصعب ، من اعراب اللغة العربية لان المعربات فى اللغة العربية اذا وقفت على أحدها تسكنه فتستريح ..اما المعربات فى اللغة الالمانية فلا يتغير اعرابها لا فى الوقف ولا فى الوصل وفيها صعوبات اخرى ليس هذا محل بسطها ، واما الانكليزية فان اكثر كلماتها تكتب بخلاف ما تقرا وقد عكف احد كبار العلماء البريطانيين على دراسة هذه المسألة فخرج بنتيجة وهي ان التلميذ الانكليزي لو كتب اللغة الانجليزية كما ينطق بها لوفر ذلك عليه سنتين كاملتين يتفرغ فيهما لدراسة علوم اخرى وطرح بحثه امام مجلس العموم الانجليزي فاختلف النواب فأخذت الآراء وذلك ما يسمى بالاقتراع او اخذ الاصوات فكان اكثر الآراء مع المانعين لتغيير كتابة اللغة الانجليزية القائلين نكتبها كما كتبها اسلافنا وان كانت معرفة الكلمات على ما هي عليه يكلف ابناءنا دراسة سنتين كاملتين ، والحق ان السبب الذى بغض الناس فى اللغة العربية ليس اعرابها ولا صعوبة قواعدها ولكن خذلان أهلها لها وعدم شعورهم بواجب خدمتها فضيعوها كما ضيعوا غيرها من الواجبات .

والى اللقاء فى المقال التالي بعون الله .

المدينة المنورة ـ د. محمد تقي الدين الهلالي



- 3 -

كنت أظن ـ وأنا اكتب في هذا الموضوع ـ أني اول من سار فيه وكشف عن معالمه ، ولم اكن اعرف ان لاستاذنا عبد الله كنون شرف السبق وفضل المبادرة اليه في كتابه (خل وبقل) فقد أهدانيه أخ كريم قرأ ما كتبته وكأنه يوميء في دهاء الى المنهل الذي ارتويت منه والروض الذي اقتطفت من ثماره ، وما كان ليسوءني او يضرني شيئا لو جلست الى مائدة استاذنا فاصبت منها والى منابعه الثرة فاغترفت منها ما يبل الصدى ، واني لآسف اذ لم يتهيأ لي من قبل الاطلاع على ما كتبه قبلي لازداد الماما واطلاعا . وايم الله انما هي وحدة في التفكير والتكوين هيأت هذا الاتفاق وهيأت مشكورة لهذا اللقاء فقد كان الاستاذ يتصيد مثلي هذه الكلمات ويمتحنها ويقف عندها ويحللها شغفا منه بلغة الضاد وتفانيا في صيانتها واحياء مواتها فتواردنا معا على مورد واحد وكأنما كنا على ميعاد

ولم أكن مبالغا حين ناديت باحياء هذه الكلمات واخراجها من الاقواس التى تطوق بها ولا مجافيا للحقيقة حين قلت ان العامية المغربية اقرب الى الفصحى من كل عامية أخرى فقد اكد الاستاذ (أصالة السليقة العربية عند المغاربة وتمكنهم من قواعد اللغة التمكن التام وان من المغاربة من كان لا يتكلم الا بكلام معرب حتى في الاحوال العادية كالوزير عبد المهيمن الحضرمي 676 ـ 749 وان ابا علي اليوسي كان يقول : لو شئت ان لا اتكلم الا بالشعر لفعات ، وقد لبث العالم العربي زمنا طويلا وهو يدرس قواعد العربية في كتب مؤلفين مغاربة اشهرها مقدمة ابن آجروم التى لا تزال مستعملة الى الآن في كثير من معاهده ، مما يحمل على الاعتقاد بأن المغاربة تكلموا العربية على الوجه الصحيح في العهود السابقة) وبعد فان بحثا كهذا في شموله واتساع جوانبه محتاج الى كثير من الوقت والاناة وما هذه الخطوة فيه الا خطوط اولية واضواء مرسلة تثير الطريق وانه لطويل .. وكما وعدت أقدم مرة أخرى نماذج من الكلمات المهجورة التى ما تزال تعيش على السنة عامتنا .

الملاغــــــة :

من اكثر الكلمات شيوعا على السنة العامــة : ما هذه الملاغة ؟ يقصدون بها الممازحة والخروج عن حدود الادب واللياقة ويصرفون الكلمة تصريفا كاملا في الامر والماضي وقد بقيت هذه الكلمة حيــة على السنة العامة عندنا ولا اظن ان لها وجودا عند اخواننا في الشرق وهي من الفصيح الــذى يترفــع عن استعماله الخاصة والمثقفون حتى في احاديثهم العادية لشعبيتها الصارخة وقد جاءت في المعاجم هكذا : مالغه بالكلام مازحه بكلام مخل بالادب وتملغ في كلامه تسافه والملوغة الحمق والفحش في الكلام . ومن كلام العرب قولهم : هو بلغ ملغ بكسر الباء والميم اي انه يبلغ مراده مع حمقه .

المردية !

وفى نفس المعنى السابق يستعمل العامة كلمة المردية نسبة الى المرد جمع الامرد وهو الغلام الذى لم يلتح بعد وهو فى هذا الطور يغلب عليه التخنث والميل الى الدعابة والهزل فى سلوكه وتصرفاته . فالكلمة فى استعمال العامة شقيقة الكلمة السابقة ومن اعرق الكلمات شعبية وربما يتحاشاها المهذبون حتى من العامة !

عبر :

لا يعرف الخاصة لهذه الكلمة معنى غير استعمالها فى عبور النهر واجتيازه . اما العامة عندنا فهي تستعمله فى معنى اكتال ووزن ومن هنا تطلق كلمة العبرة بالفتح على العبرة المكيلة من القمح وكلمة العبار على من يقوم بعملية الكيل والاستعمال عربي سليم .

ومن لطيف الاستعارات الشعبية ما يقولونه عمن استغفل غيره وخدعه بذكائه : عبر عليه ! كأنما استعمله مركبا او صيره جسرا ثم عبر عليه !

القاسح :

تذكرني هذه الكلمة بعهد دراستي بالقرويين وبالضبط فى شرح الدردير على متن الشيخ خليل حيث استعمل هذه الكلمة فى وصف الشجر بأنه قاسح فتضاحك الطلبة مستنكرين هذه الكلمة التى الفوا سماعها من افواه العامة وكأنما العامة لا تنطق الا بما هو عامي سخيف . ولكنها من الفصيح الوارد فقسح معناه صلب واشتد فالقاسح الصلب الشديد.

الفتوح :

اما كلمة الفتوح بفتح الفاء فهي عربية اول المطر الوسمي ويكاد ينحصر استعمالها عند العامة فيما يعطونه اولا للفقيه يستكتبونه ما يذهب عنهم امراضهم واوجاعهم وبدون هذا الفتوح لا تتنزل البركات ولا تتحقق رغبات !

الفز :

من امثال العامة قولهم : الذي فيه الفز يقفز فما هو الفز ؟ الكلمة هذه عربية صميمة من فزه يفزه : افزعه وازعجه والفزة هي الوثبة بانزعاج ، ونفس المعنى هو ما يقصد فى الاستعمال العامي ، اي ان من تملكه الفزع واستولى عليه الخوف لابد ان يقفز ولابد ان يظهر عليه اضطراب ينم عما يحاول اخفاءه وستره ، وهو معنى المثل : يكاد المتهم يقول خذوني ، والاناء يرشح بما فيه .

السخفة :

وردت كلمة السخافة عربية بمعنى الضعف فى كل شيء وجاءت كلمة السخفة للهزال والضعف ورقة العقل واستعمل العامة هذه الكلمة خاصة فى وصف القلب يصاب صاحبه بضعف فيه وانهيار يشبه السكتة ، فهم يقولون عنه اصيب بسخفة وهو سخفان ، وسخفة الجوع رقته وهزاله، وفى حديث اسلام ابي ذر : انه لبث اياما فما وجد سخفة الجوع .

دخله :

الذى نعرفه من هذه الكلمة والذى نستعمله منها كذلك ، انما هو ادخل مهموزا ولم نعرف احدا من رجال العلم والادب استعمله مضعفا . وكأنما بين العامة والخاصة خصام قائم الى الابد فما يستعمله الخواص يهجره ويتنكبه العوام ، وفى هذه الكلمة لا يستعمل العامة منها الا المضعف دخله لا ادخله ..

الطرايد :

الطريدة او الطريد الذى يولد بعدك فهو طريدك وانت طريد له وما تزال هذه الكلمة حية مشرقة تعيش على السنة عوام الناس ..

المشبوح :

لا نعرف نحن من هذه المادة الا الاشباح بينما استأثرت العامة بهذه الكلمة واستعملتها فى معناها العربي الفصيح فقد وردت هكذا : شبحه مده على الارض ليجلده كالمصلوب فهو مشبوح !

الطياب :

فى الحمامات العربية عندنا رجال يساعدون المستحمين ويضعون انفسهم فى خدمتهم ويدعو

العامة الواحد من هؤلاء طيابا ، ويفسر هذا ما ذكره الجاحظ فى كتاب البخلاء عن وجود مثل هؤلاء المساعدين فى حمامات بغداد وكيف كان الواحد منهم يضع على رأس زبونه طيبا يميز به راسه من رؤوس الآخرين ريثما يعود اليه ! ومن الشرق والاندلس تسربت هذه المهنة وعاشت الى جانبها الكلمة ز.

تفنـــق :

اما هذه الكلمة فاكثر ما يستعملها العامة عندنا للطفل الذى يعيش فى النعيم يقدم اليه ما لذ وطاب فيترفع ويشيح عنه بوجهه وكانما يشم ، واصابته التخمة تنعما وتدللا وهو نفسه المعنى اللغوي للكلمة، فالتفنق كله التنعم فى العيش والمفنق المترف كما قال شاعر :

لا ذنب لي كنت امرؤا مفنقا
اعيش نوام الضحى غرونقا

العتيـــدة :

وبينما تحتضن الخاصة من هذه المادة كلمة العتاد لكل ما يعد لامر من الامور نجد العامة تنفرد هي الاخرى بالعتيدة تطلقها على ما تحمله العروس معها من أدوات الزينة والتجميل والوارد عربية فى هذه الكلمة انها الوعاء المخصص لهذه الادوات ولكن العامة توسعت فاطلقته على الزينة نفسها ..

الكسيبـــة :

اذا كانت الكسيبة لغة هي كل ما يكسب من مال ومتاع فان الاستعمال العامي عندنا يقصرها على الماشية من بقر وغنم لا يتجاوز ذلك الى غيره مما يطبع العامية بطابع المرونة وحرية التصرف احيانا يتوسعون فى المعاني وآنا يضيقون من دلالتها لا يحتكمون فى ذلك الى الاصمعي ولا الى ابي عبيدة .

طيبـة وبنـة :

البنة عربية هي الرائحة طيبة كانت او كريهة ولكن العامي الذى يقولها وهو يستطيب مذاق الشيء ونكهته لا يقصد بالطبع الا انها رائحة طيبة وجريا من العامة على ما الفوه من تصرف وولوع موهوب بتشقيق الكلمات فقد قالوا فى كل شهي مستطاب حلو وبنين !

النوطـــة :

ليس للمراة منافسة اشد من زوجة اخي زوجها انها كالضرة وان كانت لا تعيش معها وقل أن تجد امراة تخص بالحب والعطف هذه المراة التى تزوجها اخو زوجها انها النوطة وهي لغة وبفتح النون غدة تصيب بطن البعير فتهلكه فهل رايت افظع من هذا الوصف توصف به امراة ؟.. ان للعوام قدرة على الشبه لا تجارى وموهبة فى ابتكار الالقاب لا تغلب ، اما نوطة الموسيقى فلست اعرف لها موردا ولا مصدرا.

واللوصـــة :

اما اللوصة فى العرف الشعبي وينطقونها بالسين فهي اخت زوج المراة وبينهما من العداء ما بين القط والفار ولبغض المراة لاخت زوجها اختارت لها من الاوصاف : اللوصة الذى هو وجع الاذن او الظهر كما اختارت لسابقتها النوطة .

وعدوك مذموم بكل لسان
ولو كان من اعدائك القمران

الكفتـــة :

هذا اللحم الذى يطحن او يدق حتى يتحول الى عجين ناعم حتى اذا استوى وضع على النار فى سفافيد . والكلمة ليست عامية كما يظن فالكفت معناه لغة تقلب الشيء ظهرا لبطن وبطنا لظهر وهذه الصفة اتم ما تكون فى هذا اللحم حين يعد فلا يكون جاهزا حتى يقلب على اكثر من وجه والكلمة فى معناها الواسع تفيد الجمع والضم والانقباض ، وفى القرآن: « الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا » ..

الرهصـــة :

وهذه الكلمة تذكرنا بلفظ الارهاص الذي نتكلم به كثيرا ولكن الرهصة هذه وجع يصيب حافر الفرس عندما يوذيه حجر ونحوه وتستعمل العامة الكلمة لمرض يصيب اخمص القدم وتزعم ان بول الكلب مما يسبب الرهصة .

البعـل والبـور :

الارض البعل عربية التى يعتمد فى سقيها على

المطر ، اما البور فهي الارض العارية التى لم تزرع والفلاح المغربي ادرى من غيره بمعنى الكلمتين ، فقد يحدث أن تسأل ابن المدينة عن الارض البور والبعل فلا يحير جوابا .

واللـــه ما يطفــره :

قسم عظيم ينطق به العامي مؤكدا ان صاحبه لن يفوز بشيء ولن يحصل مما يريده ولو على قليل، والكلمة ليست عامية كما يتوهم انها من العربيــة فى الصميم ، فالطفرة بالضم خثورة اللبن وطفر اللبــن بالتضعيف اذا علت وجهه خثورة وهي الزبد يتجمع على سطح اللبن فيرفع .. فاذا قال الشعبي والله ما يطفره فهو يعني انه لن يحصل من سعيه على شيء كصاحب اللبن للذي لا تعلو لبنه طفرة ...

الفاهــــــي :

هذه الكلمة مدين بها لمطرب مغربي كان يــردد هذا المقطع من اغنيته : زينك زاهي خلاني فاهــي . وكم تختزن هذه الاغاني والازجال الشعبية من كلمات اختفت من دنيا الناس وذهبت مع الذاهبين فالفاهي فى هذه الاغنية وفى اللغــة هو الساهــي والنــاسي للشيء من فها عن الشيء نسيه ..

السفــة والسفـــوف

يحضر المغاربة طعامــا من دقيــق وسكر غيــر ملتوت او معجون يدعونه السفوف والسفة كذلك .
واللفظ عربي سليم ففي حديث ابي ذر قالت له امرأته : ما فى بيتك سـفة .

الشيــــــاط :

اما الشياط فهو رائحة احتراق القــدر عــلى النار وريح صوف او قطنة محترقة وبنفــس المعنــى اللغوي هذا تستعمله العامة كما تقول شوطه وشيطه

وفى الحديث فى وصف اهل النار : الم يروا الى الراس اذا شيط !

الشــــــارف :

تطلق هذه الكلمة فى الاستعمــال الــدارج على الشيخ المسن فهو شارف والمراة شارفــة . وقــد يحلو لهم ان يبالغوا فى الوصــف فيقولــون شارف وهــارف !
والاستعمــال عربــي وارد فالشارف كالقــارح المسن من النوق قال الليث :

نجاة من الهوج المراسيــل همــة
كمبت عليها كبرة فهــي شارف

كـــردســـــة :

قال ابن الاعرابي : كردسه صرعه والتكــردس التجمع والتقبض وفى حديث أهل القيامة : فمنهــم مسلم ومخدوش ومنهم مكردس فى نــار جهنــم اراد بالمكردس الموثق الملقى فيها وهو الذى جمعــت يــداه ورجلاه والقي به فى موضع . والعامة عندنا تستعمله فى صرع الشخص والالقاء به من سلم او مرتفــع . والتكردس انقلاب الشخص على راسه متقوسا جامعا يديه الى رجليه .

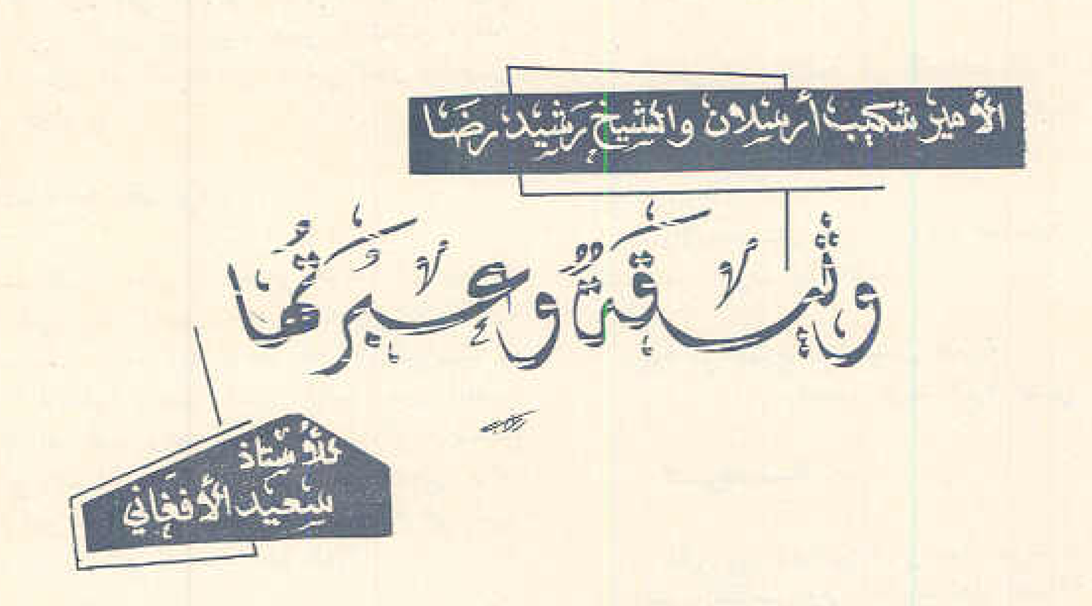
اللــــــزاز :

اما اللزاز فهي خشبة يلز بها البــاب وخشبــة يقحمها النجار بين خشبتين ليتمكــن من فتحهــما ومعالجتهما وفى نفس هذا المعنى العربي يستعملــه العوام ، وكما قلت فان للعوام موهبة متفتحة وقدرة خارقة على التشبيــه وابتكار الالقاب ، وهكذا اطلقوا على لرجل الثقيل الظــل و اللــدود فى الخصومــات لزاز واي لزاز ! وبنفس المعنى ورد فى قول عمرو بن كلثوم :

انا اذا التقت المجامــع لم يــزل
فينــا لــزاز قبيلــة جشامهــا

ـ يتبــع ـ

تطـوان ـ محمـد الحلـوي



– ١ –

الامير شكيب ارسلان (1286 – 1366 هـ = 1869 – 1946) (1) علم فرد ، لا يدانيه في نضاله ومساعيه ونشاطه الدائب مجاهد آخر في العالم الاسلامي كله ، وقف نفسه وقلمه على نصرة قضايا العرب وسائر الشعوب المسلمة ، وكان ملء السمع والبصر في غير ما ميدان : اديب منتج وشاعر طويل النفس ، ومؤرخ ثبت ، وسياسي مجرب . جند ملكاته كلها في خدمة امته وبلاده ورفع امجادها ، موقن في قرارة نفسه انه مسؤول عن جميع هذه الشعوب المظلومة في افريقية وآسية ، فكان لكل منها من قلبه جزء ومن جهاده نصيب .

شغل مناصب ادارية ايام الدولة العثمانية ، ثم انتخب نائبا في مجلسها البرلماني (مجلس المبعوثان) عن (حوران) من ديار الشام ، فلما كانت الحرب العامة الاولى (1914 – 1918) سكن دمشق وخالط علماءها وكبراءها ، وقبيل احتلال الفرنسيين لها سكن (برلين) ثم استقر في (جنيف) بسويسرا وجعلها مقر (الوفد السوري الفلسطيني الذي راسه وكان كل شيء فيه ، واصدر هناك مجلة الامة العربية ذات الصيت الذائع (La Nation Arabe) باللغة الفرنسية (1)، ينافح فيها عن القضايا العربية عامة من اقصى المغرب (2) الى ادنى المشرق . واشتهرت

---

(1) الاعلام للاستاذ خير الدين الزركلي ، وانظر فيه ترجمته وجريدة ببعض آثاره .

(2) كنت أقدر ان اقطار المشرق هي التي كانت تتابع جهاده وكتاباته وتعلق على مآتيه اطيب الآمال ، فلما زرت المغرب العزيز في رحلة علمية سنة 1956 م احسست جلالة قدره في نفوس عظمائهم وعلمائهم ، وانهم على رغم الوطأة الثقيلة والرقابة الشديدة للاحتلال الفرنسي والسور الحديدي الذي حبس المغرب فيه وعزلهم عن العالم – على رغم ذلك كله تسربت الى المغاربة اخبار الحرب الاعلامية التي شنها الامير ومجلته على الفرنسيين ، واشد ما كانت منذ اراد الفرنسيون بـ (الظهير البربري) تمزيق المغرب وكسر وحدته التي جبلها الله بيديه. فثبتت للامير في نفوس المغاربة تقدير وتقديس لا حد لهما. اما نحن – الشرقيين – فلا ننسى ابدا مقالات الامير وصرخاته في كشف اضرار (الظهير) للعالم الاسلامي كله على صفحات جرائد مصر ومجلاتها ولا سيما صحيفة (الفتح) للمجاهد المسلم السيد محب الدين الخطيب ، (الفتح) التي كانت وحدها جبهة ثابتة لكل مكائد الاستعمار في العالم الاسلامي عامة والعالم العربي خاصة .

الذي كان عدة الاستاذ ورفيقه ... في لجنة اللامركزية . اسألوا لي السيد الاستاذ كيف رأى مواعيد
اصحابه الانكليز باستقلال العرب ... لا بد ان يكون عرف الحقيقة اليوم هو وغيره لكن ما اسفاه
الصيف ضيعت اللبن . ولا بد للعرب من بلايا سود ونحن تذل لها الاسود حتى ينالوا ما كانوا
املوه من وفاء انكلترة . ان "احد ادباء دروز لبنان" (هكذا لقبني الاستاذ في مناره) عرف من
مصلحة الاسلام اكثر مما عرف غيره
هذا من جهة الاستاذ صاحبنا القديم . ثم اهدوا سلامي للاستاذ المغربي وقولوا له عسى
ان يكون تراجع الود بينه وبين من "سيطت نفسه بنفسه" ويكون ذلك الشطر عادت
اليه الروح ...
وسلامه الى الخليل الغني عن التعريف

بهذه الجمعة ارسلت اليكم ثلاث مقالات ومقالة للكنانة عن فلسطين وكل هذه الاتعاب
لا اقصد بها الشهرة كما تعلمون بل ايقاظ هذه الامة التي غدر الغادرون بها والله وفقكم
الى سواء السبيل ويؤيدكم ويسددكم

محبكم
ارسلان

الرجوان تذهبوا الى حضرة الامام الشيخ بدر الدين الحسني
وتقبلوا يده عني بصورة خاصة وتلتمسوا له
رضاه ودعاه وتطلبوا ... هذا ما اطلبه اجرة على اتعابي

[illegible]

صورة فتوغرافية لرسالة الامير شكيب ارسلان بخطه ، وهي وثيقة تاريخية ذات شان هام لكل آثاره رحمه الله

هذه المجلة في البيئات العربية والاجنبية ، بل هي في المحافل الاجنبية أعرف واشهر ، وقل ان يجهلها مثقف حينئذ .

ليس يعنينا هنا آثاره في التاريخ والادب والشعر وهي جليلة ثرة سخية شغلت حيزا مرموقا في اثبات المراجع والمصادر ، وانما يعنينا جهاده السياسي الذي شمل الجزئيات والكليات ، فاذا طرق موضوعا منه اشبعه بحثا حتى اذا فرغ قارئه منه شعر بامتلائه من الموضوع وتساحه بحججه . ولقد كان رحمه الله اريحيا في الكتابة ، اتسع سخاؤه فيها لصغير الصحف وكبيرها ، ومغمور المجلات ومشهورها في الشرق والمغرب ، وكلمة الشيخ عن الامير التي أشير اليها في هذه الوثيقة وهي (بحر لا ساحل له) تصف بصدق واقعا معروفا ، بل ان سخاءه خاص في مراسلاته التي كان يتعاهد بها نبهاء الاعيان في الامصار العربية . وان القليل مما اطلعت عليه في رسائله الخاصة بادئا أو مجيبا جعلني اقطع انه في السياسة ومصالح الامة من المخلصين الملهمين .

انفرد الامير بين اقرانه وزملائه باتجاهات واجتهادات لقي بسببها من مخالفيه الامرين ، ونالت منه الصحف والمجلات الطائفية المأجورة ما لم تنل من عظيم ولا حقير ، فثبت وصبر ، ولم يغير ولم يبدل ، ولم يحد عما يراه الحق يمنة ولا يسرة ، ومضى صابرا مناضلا هازئا بالمناصب والرياسات التي لوح له بها المستعمرون ثم البسوها الدمى والالاعيب من اشباه البشر ... حتى لقي ربه بثوب جهاده متوفى في بيروت .

تألفت الجمعيات السرية في البلاد العربية منذ اواخر عهد السلطان عبد الحميد رحمه الله ، بعضها يسعى لربط البلاد العربية بفرنسا ، وبعضها بانكلترا ، وبعضها استهدف استقلالا ذاتيا (لامركزيا) ، وبعضها اراد استقلالا تاما . ودخل شبان العرب المتحمسون هذه الجمعيات ، بعض عن حسن نية ، وبعض دس فيها انجاحا لخطط الدول الاجنبية الرامية الى تحطيم الرجل المريض و (الدولة العثمانية) وبعثرة امبراطوريته وابتلاع اجزائها .

كان ذلك كله رد فعل للعنصرية التركية المتعصبة التى نادى بها بعض الاحزاب التركية ولاسيما حزب (الاتحاد والترقي) الحاكم حينئذ ، والذي ظهر – فيما بعد – ان رؤوسه المخططة من يهود سلانيك (الدونمة) الذين تظاهر آباؤهم بالاسلام ، اسسوا هذا الحزب فدخله الاتراك الغافلون . ثم سيق الحزب واكثر اعضائه من ضباط الجيش الى خلع السلطان عبد الحميد الذى كان رفض باباء وترفع عرض الزعيم الصهيوني (هرتزل) ملايين الدنانير الذهبية لقاء جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، فنال السلطان جزاءه على ايدي الضباط (الدونمة) (3) هؤلاء : خلعا من الملك ، وتشويها لسمعته وتزييفا لسيرته (4) .

تهافت شبان العرب على هذه الجمعيات ، واظهر بعضهم العداء للدولة والصداقة والتبعية لدول اجنبية وكانت هذه علامة الوطنية العربية فى بعض البقاع حينئذ وكان للطائفية اثر كبير فى الميل الاجنبي . اكثر هذه الاحزاب عاشت خارج الحكم العثماني ، فى مصر الخاضعة حينئذ لانكلترا ، وجهرت بعدائها للدولة ، ولم يبق سياسي مرموق من السوريين (من ساحل سورية وداخلها ومن فلسطين والاردن) الا اشترك فى حزب من هذه الاحزاب المتخالفة التى لم تجمع الا على شيء واحد هو خصومة الدولة العثمانية والاستعانة باعدائها . انفرد الامير شكيب من بينهم جميعا بالولاء الصادق لدولة الخلافة ، يخطيء زملاءه ويحذرهم العواقب . ويبصرهم بخداع الاجانب واحابيلهم .. ولكن اين من يسمع منه ؟ وكانت نظرته ان كل المطالب العربية يمكن بحثها بعد ان تضع الحرب أوزارها ، وان ليس من المروءة ولا الشهامة طعن الدولة من خلف وهي تواجه اعداء يحاربونها . وكان متفائلا حسن الظن يوقن ان الدولة ستلبي اكثر هذه المطالب بعد ان تفرغ من حربها وان اصغر اضطراب داخلي مضر بالدولة والعرب معا .

ولقي الامير من الصحف فى مصر وغيرها عنتا وشتما وقذفا ، وكان الحلفاء يمدون كبريات الصحف المصرية (الاهرام والمقطم) وغيرهما بالمال والاخبار والتوجيه حتى تسمم الراي العام العربي بما ارادوا ، وكان لهم ذلك فالتزم الراي العام مروجي سياساتهم ونبذ المخلصين الواعين ، ثم دار الزمن دورة بعد دورة ومضت عشرات السنين ، واكتوينا من الاجانب واليهود بعد رحيل الاتراك بما جعل الجميع يترحمون على العهد البائد ، ومات الامير شكيب وشهد الواعون الراشدون من خصومه ان آراءه كانت هي الحق وانهم كانوا فى غشاوة بل عماية ، وان ثورة الملك حسين رحمه الله على جلال اهدافها وحسن نيته كانت دفعا للحمل الى براثن الذئب المتربص .

---

(3) كانوا تسربوا الى الجيش فى غفلة عن القوام عليه ، خطوة اولى فى سبيل اغتصاب فلسطين تلتها خطوات حققت آخرتها الاستيلاء عليها وطرد اصحابها منها

(4) وقد تلقينا هذا التزوير فى دروس التاريخ ونحن اطفال ، وبقينا عليه السنين الطوال .. حتى ازالت حوادث فلسطين الصارخة وما ظهر من خفايا السياسة الدولية وما نشر المؤرخون الاوروبيون والامريكيون من وثائق وكتب .. ازالت زيف التزوير ورفعت الغشاوة فراى الناس ما كان اسرارا حقائق بادية للعيان .. فصححنا ما نشانا من تاريخ مزور للسلطان رحمه الله ، وترحمنا على الامير شكيب اذ فتح الله بصيرته على ما لم نر حقيقته الا بعد خمسين سنة من وقوعه ، بل صرنا نقول فى حسرة ليتنا كنا صبرنا قليلا ولم نكن معاول فى هدم دولة العثمانيين ، بل ليت حكمهم – على علاته – دام ولم نر مصائب الاحتلالين الفرنسي والانجليزي ، ولا ذلك اليوم الاسود يوم انشاء (اسرائيل) على جماجم الشهداء والضحايا من اخواننا الفلسطينيين ، الذين طردتهم وشردتهم وسلخت جلودهم واموالهم وديارهم حليفتنا العزيزة (انكلترا) التى استنصرت بنا فى شدتها على العثمانيين فنصرناها ببلاهتنا ، وبارك ولادتها وسابق الى الاعتراف بها حبيبتا كثير منا (روسيا واميركا !!)
رحمة الله لنا ما كان اشد غفلتنا حينئذ ! ، وما أبعدنا عن السلوك الواعي اليوم !

تجلى نضال الامير فى المقالات يرسلها الى الصحف العربية والاجنبية ، وفى الرسائل الخاصة يبعث بها الى من يتوسم فيهم الخير ، وكانت سيلا يعز على الحصر ، وبقي على ذلك حتى كان الاحتلال الفرنسي لشمالي الشام (5) والاحتلال الانجليزي لجنوبيه (6) ، واقتضى الامر عملا جديدا دائبا ، دفاعا عن القضايا العربية ، فحمل الامير على صحته وزاد نشاطه اضعافا مضاعفة يؤلف ويراسل وينشر فى الصحف والمجلات بالعربية والفرنسية، يكافح ويرد الهجمات عن العرب والمسلمين وعن تراثهم وحضارتهم حتى دعي بحق امير البيان . كتب مرة الى صديقه المرحوم السيد هاشم الاتاسي (7) سنة 1935 م انه احصى ما كتبه فى ذلك العام فكان :

1781 رسالة خاصة

176 مقالة فى الجرائد

1100 صفحة كتبا طبعت

ثم قال : « هذا محصول قلمي كل سنة » .

كانت الرسائل الخاصة التى ننشر اليوم واحدة منها هنا ، أحد الميادين العامة التى جاهد فيها رحمه الله .

— ب —

اما الشيخ محمد رشيد رضا (1282 — 1354هـ = 1865 — 1935 م) فقد « ولد ونشا فى قرية (قلمون) قرب طرابلس الشام ، وتعلم فيها وفى طرابلس ، وتنسك ، ونظم الشعر فى صباه ، وكتب فى بعض الصحف ، ثم رحل الى مصر سنة 1315 هـ فاتصل بالامام الشيخ محمد عبده ، وتلمذ له واصدر مجلة (المنار) لبث آرائه فى الاصلاح الديني والاجتماعي .. ولما اعلن الدستور العثماني سنة 1326 هـ زار بلاد الشام واعترضه فى دمشق احد اعداء الاصلاح فكانت فتنة عاد على اثرها الى مصر وانشا مدرسة (الدعوة والارشاد) ثم قصد سورية ايام الملك فيصل بن الحسين ، وانتخب رئيسا المؤتمر السوري فيها ، وغادرها على اثر دخول الفرنسيين اليها سنة 1920 فاقام فى (وطنه الثاني) مصر مدة ثم رحل الى الهند والحجاز واوروبا وعاد فاستقر بمصر الى ان توفي ... » (8) .

وثيقتنا تشير الى ناحية من نشاطه ليس فى خطة صاحب (الاعلام) الذى نقلنا عنه هذه المعلومات معالجتها ، تلك هي خوضه لجج السياسة والحزبية ولم يكن متسلحا بعدتها فانزلق فى مزالقها واستغلها واستغلته حتى اساء ذلك الى عمله الاصيل الذى خلق له وهو نشر الوعي الديني الصحيح فى المجتمع

— ج —

الوثيقة :

فى اعلى الرسالة تاريخ (29 نيسان) (9) ولا ذكر فيها للسنة ، ويرجح ان المرسل اليه هو الاستاذ امين سعيد ، صحفي سوري مارس الصحافة فى مصر وسورية وتوفي سنة 1969 م .

---

(5) جزات فرنسا هذا الجزء من الشام دولتين : جزيئا داخليا سمته (دولة سورية) وجزيئا ساحليا سمته بجبل فيه (دولة لبنان) ، ولما شعرت انها ضمت مدنا كبرى (بيروت وطرابلس الشام وصيدا وصور وبعلبك والبقاع) الى هذا الجبل الصغير فكبرت اسمه (دولة لبنان الكبير)

(6) جزاته انكلترا الى جزاين ايضا : فلسطين والاردن . وبقيت هذه الجزيئات الاربعة على تقطيع الدولتين الغاصبتين الى اليوم !

(7) الاعلام للزركلي : ترجمة الامير فى الطبعة الثالثة 3 / 251 . والسيد هاشم الاتاسي ممن شغل الوظائف الادارية ايام العثمانيين ثم شغل رياسة الجمهورية السورية مرتين بعد التاريخ المذكور فى الرسالة .

(8) الاعلام للزركلي : 6 / 361 .

(9) يغلب على الظن انها قبل سنة 1922 م التى نصب الاحتلال الفرنسي فيها حقي العظم الوارد ذكره فى الرسالة ، حاكما لدولة دمشق .

والجملة الاولى فى الرسالة تشير الى امر خاص ، وباقيها من بيان الامير المركز الموجز الممتليء صوابا وغيرة وبعد نظر . وفى اسفلها حاشيتان ملحقتان .

ويجب الا ننسى تقدير الامير للشيخ حتى الف فى سيرته بعد وفاته كتابه القيم (السيد محمد رشيد رضا او اخاء اربعين سنة) ، لكن النصح الخالص للامة وقولة الحق ولو كان على اعز الناس هما داب الامير وهجيراه . واليك نص الرسالة وقد شرحت فى الحواشي ما رايت الاشارة اليه ضرورية :

29 نيسان

اخي الامين السعيد

. . . . .

أرسلت لكم كتابا بالفرنساوي عن تونس ، واشرت أن ينشر على الاقل ترجمة الخلاصة التى فى الآخر .

بلغني سلام الاستاذ الشيخ رشيد رضا ، واهدوه سلامي . لكن لابد أن تبلغوا الاستاذ انني ان كنت (بحرا لا ساحل له) فلماذا اوسعوني طعنا وشتما فى الماضي ؟ وبلغ منهم الامر ان استأجروا جريدة (الصاعقة) (10) للسفاهة علي ، ولا ذنب سوى قولي : اتقوا الله ولا تفرقوا « ولا تنازعوا فتفشلوا » ، يوم بدؤوا الطعن بي ما كان جرى قلمي الا بهذه النصائح . استئجارهم (الصاعقة) للتمثيل بي اعترف لى به رفيق لهم هو (داوود عمون) (11) .

اسالوا لي العلامة الاستاذ : كيف جرى ان كاتب سر (الاستقلال العربي) حقي العظم (12) هو اعظم داعية لمنع العرب من الاستقلال ؟ هذا الذى يتشيع لفرنسا اكثر من كل (ماروني) (13) هو الذى كان عمدة الاستاذ ورفيقه ... فى لجنة (اللا مركزية) (14) .

اسالوا لي السيد الاستاذ : كيف راى مواعيد اصحابه (الانكليز) باستقلال العرب ؟... لابد ان يكون عرف الحقيقة اليوم هو وغيره ، لكن وا أسفاه ! (الصيف ضيعت اللبن) . ولابد للعرب من بلايا سود ، ومحن تذل لها الاسود حتى ينالوا ما كانوا امنوه من وفاء انكلترا (15) . ان « احد ادباء دروز لبنان » (هكذا لقبني الاستاذ فى مناره) عرف من مصلحة الاسلام اكثر مما عرف غيره .

---

(10) جريدة مصرية عرفت بشدة حملاتها فى تعرضها للمرموقين حتى فى احوالهم الخاصة .

(11) داوود بن انطون عمون : لبناني احترف المحاماة فى مصر . ثم عمل مديرا لمعارف لبنان فى عهد الاحتلال الفرنسي حتى مات سنة 1922 ــ الاعلام للزركلي

(12) من اسرة العظم الدمشقية المشهورة ، نزح الى مصر وعاش بها زمنا طويلا ، وله نشاط فى الاحزاب السورية فى القاهرة مثل حزب (اللامركزية) و (الاستقلال) ، يدين بتسليم الامر فى سورية لفرنسا . ولما احتل الفرنسيون دمشق استدعاه المفوض السامي الفرنسي (الجنرال غورد) وسماه حاكما لدولة دمشق ، وابدل به بعد ثلاث سنوات موظف آخر ثم كانت الثورة السورية ثم حكومات شبه وطنية، ثم استدعاه الفرنسيون ثانية ليكون رئيس وزراء فى سورية ولم يطل به الامر فى هذا المنصب فرجع الى مصر حيث توفي .

(13) عرف عن الطائفة المارونية فى جبل لبنان ولاء صميم لفرنسا منذ اكثر من مئة سنة وان جمهورها ينادي بحكم فرنسي مباشر لان الكثلكة تجمع بينهما ، فلما احتل الفرنسيون شمالي الشام (ساحلا وداخلا) ولوا مهام الامور المارونيين وحكموهم فى القطر كله . وكثير من وجهائهم وعامتهم على هذا الولاء الى الآن لنشئتهم عليه فى المدارس الكنسية الفرنسية الولاء . بل جلب الفرنسيون كثيرا منهم الى مناصب فى المغرب والجزائر وتونس ، والطاليان وظفوا منهم فى ليبية لهذه الرابطة المذهبية التى اسلفت .

(14) حزب انشيء ايام الحكم العثماني واسمه يدل على هدفه وهو ادارة الاقاليم التابعة للخلافة باستقلال ذاتي .

(15) اي والله ، لقد ذقنا هذه البلايا والمحن ، واعظمها ما لا نصرح به مما هو اشد من الاحتلال والصهيونية .

هذا من جهة الاستاذ صاحبنا القديم . ثم اهدوا سلامي للاستاذ المغربي (16) وقولوا له : (عسى ان يكون ترجع الود بينه وبين من « سيطت نفسه بنقسه » ويكون ذلك الشلو عادت اليه الروح ...) وسلامي الى الخليل الغني عن التعريف .

بهذه الجمعة أرسلت اليكم ثلاث مقالات ، ومقالة لـ « الكنانة » عن فلسطين . وكل هذه الاتعاب لا اقصد بها الشهرة كما تعلمون ، بل ايقاظ هذه الامة التى غدر القادرون بها والله يوفقكم الى سواء السبيل ويؤيدكم ويسددكم .

اخوكم :
شكيب أرسلان

حاشية 1 ـ أرجو ان تذهبوا الى حضرة الامام الشيخ بدر الدين الحسني (17) وتقبلوا يده عني بصورة خاصة ، وتلتمسوا لي رضاه ودعاه وتجاوبوني . هذا ما اطلبه أجرة على اتعابي .

حاشية 2 ـ فهمت رجوع الاستاذ الشقيري (18) وسرني فرجه . سامحه الله فقد اضحك (جمال باشا) (19) وابكى اناسا كثيرين ، ولكنه يعتذر بقوله : (انه يفضل ان يكون حيا (لعنه الله) من ان يكون مشنوقا (رحمه الله)

. . . .

هذه هي الوثيقة ، فأما العبرة فموضوع آخر وحديث قادم ان شاء الله .

ـ يتبع ـ

دمشق ـ سعيد الافغاني

---

(16) الشيخ عبد القادر المغربي رفيق الشيخ رشيد رضا فى الطلب وقد هناه الشيخ رشيد بقصيدة يوم زفافه قراها لي المغربي رحمه الله ، تعاطى الكتابة فى جريدة (المؤيد) المصرية ، من اتباع الحركة الاصلاحية التى مثلها رفيقه . ولعل الأمير شكيبا يشير بـ (الشلو وهو العضو) الى علاقة الشيخ المغربي برئيسه الاستاذ محمد كرد علي رحمه الله رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ـ سيطت اختلطت

(17) كبير علماء الشام ومرجعهم ، شيخ المحدثين وقدوة العاملين الصلحاء . كانت غرفته فى دار الحديث النووية موئل الناس فى الازمات ، على عتبتها يذوب جبروت المتجبرين . رزقه الله هيبة فى قلوب الحكام والمتسلطين ، أيام الاتراك وفى الحكم العربي ثم ايام الاحتلال الفرنسي. منزو عن الناس ولهم فيه اعتقاد عظيم ، لما زاد ظلم الاتحاديين الاتراك قصده الناس ليبايعوه خليفة ويثوروا فزجرهم وزاد انزواءه . درسه بعد صلاة الجمعة تحت قبة النسر فى مسجد بني امية مشهود مشهور يقصده أهل العلم من ضواحي المدينة والقرى القريبة . يحفظ الصحيحين باسانيدهما ، ويتكلم على الحديث الواحد فى درس الجمعة كلاما حافلا لم تر العلماء اجمع منه . توفي بدمشق سنة 1354 هـ = 1935 م

(18) الشيخ اسعد الشقيري خطيب فلسطيني يحسن الخطابة بالتركية والعربية ، يتقرب الى الحكام، كان فى معية احمد جمال باشا قائد الجيش العثماني الرابع فى سورية أيام الحرب العالمية الاولى (1914 ـ 1918) اتهم بأذى ناس كثيرين .

(19) قائد الجيش العثماني الرابع وأحد أساطين حزب الاتحاد والترقي الذى نادى بالعنصرية الضيقة المتعصبة كما رسمها البارزون من اعضائه ذوو الاصل اليهودي (الدونمة) . تأسس الحزب ـ كما تقدم ـ بعد ان رفض السلطان عبد الحميد عرض (هرتزل) الصهيوني فى اعطاء اليهود فلسطين وطنا قوميا لهم لقاء أداء (هرتزل) ديون الدولة العثمانية وبعض ملايين من الدنانير الذهبية للسلطان خاصة . قام هذا الحزب التقدمي الثوري الذى جعل شعاره (حرية ، عدالة ، مساواة) وقتل بعمله هذه المبادىء قتلا شأن اصحاب الشعارات ، قام بانقلابه العسكري وخلع السلطان واغتصب السلطة وغذى عوامل الفرقة بالقوة على رغم تحذير العقلاء المحنكين الحرب العامة فكانت الدائرة على الدولة فتبعثرت وتمزقت ، سائغة لليهود ، وثبتوا جريمتهم الوحشية ثم انسحبوا شر انسحاب واقذره . والكراهية بين عناصر الدولة وادخل المملكة فى صف الالمان ـ كما خطط اليهود تماما ـ واحتل الانجليز فلسطين ريثما يهيئونها لقمة (اسرائيل) لعنة على انسانيتهم وحضارتهم



للأستاذ أحمد الجندي

شاعر غريب فى فطرته عجيب فى موهبتــه ، تفرد بين شعراء العربية بحياته الخاصة ، التى جعل لها اسلوبا مفردا لا يشبه فيه احدا ولا يقلد انسانا .

نظر الى الدنيا نظرة ازدراء فلم يأبه لها ولا اهتم بها ، ولو كان لمعنى الوجودية الحديثة مكان فى عصر هذا الشاعر ، لكان رائدها وحامل لواءها قبـل اي انسان فى هذا الوجود ، حياته ضحكة مجلجلة وسكرة تبدأ ولا تنتهي وليل ليس له صبـاح ، اذا سهر واصل السهر حتى يعيا جسده ، فاذا صحا لم يلبث الا ريثما يقوى على الشراب ليعيد الكرة ابهج مما كان وامرح مما مضى .

هذه هي الحياة التى اختطها لنفسه شاعرنا ابو الهندي بن عبد القدوس بن شبث ، ولكـن الرواة اختلفوا فى اسمه ، كما اختلفوا فى تاريخه وجمع شعره ، لقد كان استاذا لابي نواس وغيره من شعراء الخمرة ، اخذوا عنه واستأنسوا بشعره ، ولقد ولد فى الكوفة ، ثم رحل الى سجستان وجاء الدنيا فى اواخر القرن الاول للهجرة ، وادرك الدولتين الاموية والعباسية ولقد وضع لحياته دستورا عبر عنه فى شعره حين قال :

انما العيش فتـاة غـادة
وقعودي عاكفا فى بيت حان

اشرب الخمر واعصي من نهى
عن طلاب الراح والبيض الحسان

فى حياتي لـذة الهـو بهـا
فاذا مت فقد اودى زماني

كان هذا الشاعر صاحب اختصاص حقيقي فى فنه ، فقد وقف شعره على الخمرة ، لم يقـل فى غيرها شيئا ، واذا قال فلكي يجد طريقا الى التحدث عن سكرة عابرة او ليلة ساهرة ، قال فيه القدماء : كان ابو نواس يسلخ جل معاني ابي الهندى ويفرغها فى شعره بخاصة وصف الخمر ، وقد اكد ابو الفرج الاصفهاني فى اغانيه ان ابا الهندي « اول من وصف الخمرة من شعراء الاسلام » وهو يريد بذلك التغليب والتخصص ، وفق التعبير الحديث لان ثمة شعراء سبقوه الى وصف الخمرة ، فى بعض اشعارهم ولكنهم لم يجعلوها ديدنا ولم يتخذوها مذهبا .

وشعر هذا الشاعر قوي شديد الاسر يحمل شيئا من طابع العهد الاموي ، كما يتضمن الوانا من رقة العصر العباسي فى عهده الذهبي ، فهو يتقعر احيانا حتى يصل بك الى العصر الجاهلي ثم يرق ويرق حتى ينحدر بالقاريء الى اواسط العصر العباسي ليعيش مع ابن المعتز وغيره من الشعراء المرهفين . لم يكن ابو الهندى يشرب الخمرة ليسلي همومه ويذهب آلامه ، فان الرجل كان يهزأ حتى بالالم ويسخر حتى من الحزن ، فهو صاحب فلسفة كما اسلفنا ، والحياة عنده مرحلة لا تستحق الجد والوقار ، ولا يليق بها الهدوء والتعقل والتفكير الطويل ، انها رحلة قصيرة ينبغي ان تمضي بسرور ولذة وقد كان سبيله الى تحقيق هذه الفلسفة فى الحياة ، الخمرة ، التى تنسيه الحياة ، وتفجر فيه الشعر والنكتة والسخر والهجاء ، وهو متطرف فى كل هذه العناصر التى تشكل شخصيته العجيبة الغريبة .

لقد منعت عنه الخمرة حين ذهب الى الحج مع الوالي نصر بن سيار ، ولكنه لم يستطع الامتناع عن الشراب حتى في المكان المقدس ، واحتال لنفسه فوجد كأسا من الخمرة ذهب بها الى رابية في ظاهر المدينة ، وجلس يبكي ويشرب وينشد :

ادبرا على الكأس اني فقدتها
كما فقد المفطوم در المراضع

حليف مدام فارق الراح روحه
فظل عليها مستهل المدامع

اذا فابو الهندي لم يكن سكيرا بالمعنى البسيط بل كان يجد في الخمرة انيسا وجليسا ورفيقا ليعينه على السفر في بيداء الحياة وصحراء العمر .

وكان سريع النكتة ، ولكن نكتته كانت تغص بالسخر الجارح اكثر الاحيان ، وكان في ايراده النكتة ، جريئا لا يخشى آمرا ولا ناهيا .

روي ان نصرا بن سيار والي خراسان رآه وهو سكران يتمايل فوقف عنده يلومه ويسبه وقال له : ضيعت شرفك وفضحت اسلافك فأجابه ابو الهندي ضاحكا : لولا اني ضيعت شرفي لم تكن انت على خراسان فانصرف نصر خجلا .

كان ابو الهندي مقلا في شعره فلم يكن لديه الوقت الفسيح ليخلو الى نفسه فينظم ثم يدون ما ينظم لقد كان هذا الشعر ينبثق عنه وهو في اوج سكرته فيحفظ منه شيئا ، ويروي الناس منه بعضا ، ثم يتناقله اصحاب الادب معجبين احيانا مستغربين احيانا اخرى ، وقد هاب الناس بعضهم بعضا فلم يجرؤ احد على جمع هذا الشعر ، مما عرضه الى ضياع اكيد ، فلم يسلم منه لنا الا بقية باقية لا تتجاوز المئات القليلة من الابيات .

واقرا هذه الابيات لابي الهندي لتبين طريقة ابي نواس في النظم ورواية القصة والالفاظ التي تناسب المقام :

وصاحب حانوت عشوت لناره
وقد مالت الجوزاء نحو المغارب

فقال الا عجل لنا النقد اننا
اناس اخذنا بالكرا والضرائب

نثرت له عشرين بيضا كأنها
على كفة الميزان زهر الكواكب

فصب لنا حمراء تنزو حبابها
اذا شعشعت بالدن نزو الجنادب

ان شاعرنا يذكرك هنا برحلات ابي نواس الى الحانات وامكنة الراح فهذا الشاعر اشبه الناس بأبي الهندي لولا فارق طفيف يكاد يخفى من الاثر الذي تركه العصر الاموي في شعر ابي الهندي فان شعره اجزل واقوى وابعد عن اللين الذي عرف في شعر ابي نواس .

وقد اجاد ابو الهندي اجادة خاصة في وصف حالات السكر الشديد لم يوفق الى وصفها احد مثله وانظر الى قوله في هذا المعنى :

نباكر اخذ الكأس حتى كأننا
نرى في الضحى اطناب خيمتنا تعدو

وقوله :

وكأسي كعين الديك قبل صياحه
شربت بزهر لم يضرني ضريرها

فما ذر قرن الشمس حتى كأنني
ارى قرية حولي تزلزل دورها

وقوله :

ولها دبيب في العظام كأنه
قبض النعاس واخذه في المفصل

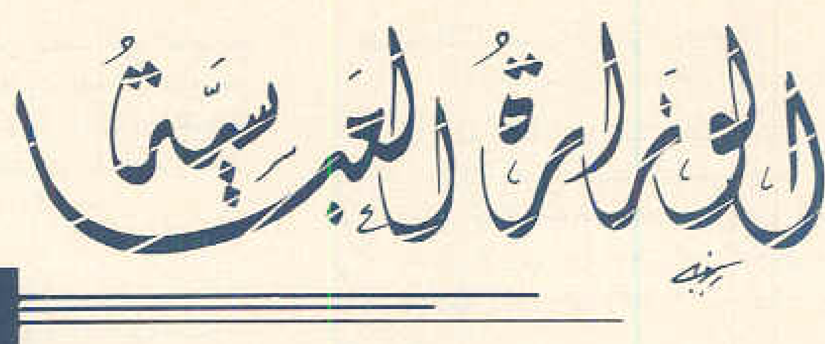
هذا هو ابو الهندي الذي لم يصنع في حياته شيئا غير شرب الخمرة ووصفها ولكنه لم ينس الموت فظل مؤمنا حتى آخر نفس من حياته . انه شخصية نادرة عجيبة ، ولقد ختم حياته ختام الشارب المخلص لهذه الحياة الغريبة حتى اوصى ان يكتب على قبره هذه الابيات التي تحمل طابع السخر من الحياة كما تحمل الايمان العميق باليوم الآخر وهي ابيات تصف رأيه وامانيه وتصور يأسه من البقاء والعيش :

اجعلوا ان مت يوما كفني
ورق الكرم وقبري معصرة

وادفنوني وادفنوا الراح معي
واجعلوا الاقداح حول المقبرة

انني ارجو من الله غدا
بعد شرب الراح حسن المغفرة

دمشق ـ أحمد الجندي





من بين الكتب التي كان لها صدى في دنيا الاستشراق في السنوات الاخيرة كتاب « الوزارة العباسية » للاستاذ الجامعي دومنيك سورديل » الذي يمكن اعتباره من ألمع المستشرقين الصاعدين . وقد ظهر له مؤخرا كتاب ضخم عن الحضارة الاسلامية اشترك في تاليفه مع زوجته وهو مجهود قيم سنعرض له في حديث آخر حينما نستتم دراسته .

اما الكتاب الذي نتحدث عنه اليوم فهو العمل الذي نال به المؤلف الدكتوراه . وقد اجرى بحثه سنوات عديدة على يد المعهد الفرنسي بدمشق واستقصى موضوعه بما تقتضيه الامانة العلمية من اطلاع واسع وتحقيق مدقق .

ولا غرو . فالموضوع يستحق ذلك واكثر . فقد اعتدنا منذ المدرسة ان ننظر الى التاريخ الاسلامي من خلال شخصية الخلفاء والقادة والفاتحين دون أن نمنح ما يكفي من الاهتمام الى الدواليب التي كانت ترتكز عليها الدولة في تصريف شؤونها السياسية والادارية والمالية والاقتصادية الخ .. مما يضفي على ذلك التاريخ صبغة القصص والرواية . والواقع ان الهدف من التاريخ هو غير ذلك . فالتاريخ ليس موضوعا قصصيا او خطابيا او حماسيا ، بل هو موضوع علمي غايته الحقيقة المجردة ، دون تجميل او تمويه . فهو مرآة تعكس الماضي بظلاله وانواره . ولذلك فمن المفيد حقا ان نتجه الى دراسة التاريخ الاسلامي من خلال الادارة التي ارتكزت عليها الدولة الاسلامية في عنفوان شبابها ، اذ بهاته الطريقة سنعرف كيف كانت تعالج شؤون الامة الاسلامية وما هي الاجهزة التي كانت تسهر يوميا على مصالحها وتوفر لها ظروف العيش المستقر .

والوزارة هو أحد الاجهزة الرئيسية ، بل نستطيع أن نقول انه كان هو الجهاز الاول الذي ترتبط به الاجهزة الاخرى بحيث أن من يطلع على تاريخها بتدقيق يكون في نفس الوقت قد اطلع على تاريخ الادارة بصفة عامة . ونظام الوزارة لم ياخذ شكله الواضح المستقر الا مع صعود العباسيين الى الحكم . وهذا ما يبينه ابن خلدون في احدى صفحاته اللامعة اذ يقول :

« فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت ، عظم شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتبينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج اليه خطته من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه وأضيف اليه النظر فيه ، ثم جعل لها النظر في القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور ، وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع والشياع ودفع اليه ، فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة » .

من هذا الكلام الوجيز الواضح نستخلص المنزلة الكبرى التي ادركتها الوزارة في عهد العباسيين

كجهاز مركزي وشامل فى الدولة . وهذا ما يبين لنا اهمية الموضوع الذى أراد المستشرق « سورديل » ان يسلط عليه أضواء جديدة كاشفة . ومما لا يعني مطلقا ان العرب لم يهتموا بتاريخ الوزارة . بل هنالك كتب كثيرة خصصت لهذا الموضوع بالذات نذكر منها، على سبيل المثال :

- كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (القرن الرابع)
- كتاب الوزراء للصولي (القرن الرابع)
- تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء لهلال الصابي (القرن الخامس)
- اعتاب الكتاب لابن الابار (القرن السابع)
- قوانين الوزارة للماوردي (ق 5)
- كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر البغدادي (ق 4) الخ ..

ولكن هذه الكتب القديمة ، على كثرتها ، هي اما كتب أخبار تقدم الغث والسمين معا وتجمع الروايات على اختلافها من حيث الصحة او الكذب ، واما كتب ارشاد ونصح وتوضيح للجانب الشرعي فى مهمة الوزير . فهي اذن ، مليئة بالمادة الاولية التى يعتمد عليها المؤرخ ولكنها لا يمكن ان تعتبر كتاريخ ، وبخاصة اذا طبقنا عليها المقاييس الحالية لهذا العلم . فالمزية التى يجب التنويه بها فى كتاب « سورديل » هي انه جمع هذه المواد الاولية بكامل الاستقصاء وطبق عليها المقاييس العلمية العصرية ، فاستخرج منها تاريخا للوزرة العباسية فى حقبة تمتد على قرنين ، تقريبا ، من سنة 132 الى 324 / 749 الى 936 ، وهي الحقبة التى تقترن مع عهد الازدهار فى خلافة بغداد .

والكتاب يقع فى مجلدين كبيرين ويضم بين دفتيه ما يقرب من ثمانمائة صفحة كلها كلام لا لغو ولا حشو فيه اذ يتتبع المؤلف تطور الوزارة مع قيام الدولة العباسية فى الثلث الاول من القرن الثاني الهجري الى عصر ما سمي بأمرة الامراء الذي سبق عهد البويهيين فى القرن الرابع . الا ان المؤلف ، سيرا مع القواعد العلمية السليمة ، لا يدخل توا فى الموضوع قبل ان يقوم بدراسة نقدية للمصادر والدراسات المتعلقة بالموضوع ، ثم ينتقل الى توضيح نقطة خطيرة جدا من الوجهة التاريخية وهي الاصل الذى انحدرت منه وظيفة الوزارة عند العباسيين .

فقد كانت الفكرة الرائجة ، سواء لدى المؤرخين العرب او الاوروبيين ، هي ان وظيفة الوزارة عند العباسيين من جملة التقاليد الحضارية التى نقلها العرب عن الايرانيين . وقد بين المؤلف خطأ هذه النظرية من الاساس ، مستندا على حجج تاريخية لا تقبل المناقشة . فخلافا للآراء التى شاعت لدى عدد من الباحثين ، كلمة وزير ليس لها اي اصل سواء من حيث اللغة او من حيث التاريخ عند الفارسيين ، وبخاصة عند الدولة الساسانية التى تعتبر الخلافة العباسية وريثة لها من بعض الوجوه . ويخرج المؤلف من هذا البحث باستنتاج واضح وهو ان وظيفة الوزارة من ابتكار العرب والمسلمين ، فى عهد الدولة العباسية بالخصوص ويقول مؤكدا :

« أن حرص الخلفاء على ان يتخذوا لانفسهم مؤازرين، بدل نواب ، يساهم وجودهم فى تقوية هيبتهم كملوك وسلطتهم كائمة ، اقترن مع الضرورات الادارية ، فساعد الكتاب من العجم على ان يستحدثوا فى الدولة الاسلامية وظيفة تبين اهمية الدور الذى يقومون به وحقيقة تفانيهم فى الاخلاص للخليفة » .

والوصول الى مثل هذا الاستنتاج له اهميته التى لا تخفى ، لا بالنسبة لتاريخ العرب او المسلمين وحدهم ، بل كذلك بالنسبة للتاريخ العام ، اذ ان الوزارة كمؤسسة اجتماعية ، صارت وظيفة ذات صبغة عالمية لا تخلو منها دولة من الدول . وسيكون الفضل الواضح البين للحضارة العربية الاسلامية لكونها كانت سباقة الى ابتكار هذه الوظيفة ، او ، على الاقل ، لكونها ادخلت عليها تطورا عميقا فى بنيتها ، اتجه بها الى النظام العصري للوزارة .

والمستشرق سورديل يرى ، بعد ذلك ، ان الوزارة العباسية تحددت اختصاصاتها مع التجربة والممارسة فيستعرض المراحل التى مرت منها .

فهنالك مرحلة أولى تمتد من سنة 132 الى 218 هـ / 749 – 833 م سماها المؤلف عهد البداية وخصص لها عدة فصول . وفى هذا التطور لا تزال الوزارة غير محددة المعالم ، وان كان المؤلف يلاحظ ان صفاتها الرئيسية بدات تظهر منذ اواخر القرن الثاني ، اذ تصبح حسب قوله « تكليفا شرفيا ووظيفة نصفها اداري ونصفها حكومي ، قابلان كلاهما لتحولات كبيرة حسب شخصية كل خليفة » فيمكن

تحديد الوزارة ، اذن ، كمساعدة معترف بها رسميا، ومشتملة على مسؤوليات جد واسعة تجعلها مقترنة بمنزلة خاصة فى البلاط » . (ص 698)

واول من حمل هذا اللقب ابو سلمة الخلال الذى كان رئيسا مركزيا لدعوة العباسية بالكوفة وكان يدعى وزير آل محمد وشغل هذا المنصب الى جنب ابي العباس السفاح الذى لم يتردد فى التخلص منه لانه كان يتهمه بالميل الى العلويين . ومن الشخصيات التى لمع نجمها فى هذه الحقبة البرامكة الذين استطاعوا ان يحصلو على سلطات واسعة تكاد تشمل سائر الاختصاصات الحكومية ، فكان الرشيد فوض اليهم الحكم بطريقة دستورية ، وكذلك الفضل ابن الربيع الذي لعب دورا فى نكبة البرامكة وكان له نفوذ فى بلاط الرشيد والامين . وهنالك بالطبع الفضل بن سهل الذى كان وزيرا للمامون وحصل على سلطات واسعة سواء فى الشؤون المدنية او العسكرية حتى انه دعي ذا الرياستين . لكن الخلفاء كانوا يسترجعون السلطات الى ايديهم ، بصورة عنيفة احيانا ، اذا احسوا باستبداد الوزراء عليهم . مما يفسر تكرر النكبات بالنسبة للوزراء فى هذا العهد . وعلى كل ، فان الوظيفة لم تبلغ بعد استقرارها فى هذه المرحلة .

وتاتي مرحلة ثانية فى تاريخ الوزارة تمتد من سنة 218 الى سنة 296 / 833 – 908 » وقد دعاها المؤلف « مصاعب الوزارة » وقد نتجت هذه المصاعب قبل كل شيء عن الدور الرئيسي الذى اصبح يلعبه المماليك الاتراك سواء فى الجيش او فى الدولة . فقد كان الوزراء يجردون احيانا من كل سلطة لصالح القادة الاتراك.

وقد استطاع المتوكل ، طيلة سنوات ، ان يعتمد على هؤلاء وحدهم وان يستغنى عن الوزير . وفى الازمة التى عاشتها الخلافة بسامرا ، كان الرؤساء الاتراك هم الذين يفرضون على الخليفة وزيرا من اختيارهم .

وسيتغير هذا الوضع ابتداء من عهد المعتضد الذى كان خليفة مقتدرا قوي الشكيمة . فقد استعاد الوزير آنذاك سلطاته الطبيعية ولم يعد يخشى منافسة القواد العسكريين . الا ان شخصية الخليفة ظلت مع ذلك طاغية عليه .

بعد هذا نصل الى مرحلة ثالثة واخيرة تمتد من سنة 296 الى 324هـ/908–936م اي من عهد الخليفة المقتدر الى عهد الراضي . وقد دعاها المؤلف « عهد ازدهار الوزارة » . فقد تمكن الوزراء آنذاك من جمع سلطات واسعة فى ايديهم ، لما لهم من حنكة ودراية فى الشؤون المالية والادارية ولما لهم من علاقات شخصية وارتباطات باحدى الفرق الدينية ذات النفوذ كالشيعة او السنة التى كانت بمثابة احزاب سياسية . وهكذا برزت شخصيات وزارية قوية لامعة مثل ابن الفرات او علي بن عيسى او ابن مقلة . وقد اشتهر علي بن عيسى بالتقوى والفضيلة، بالاضافة الى ما كان يتحلى به من مزايا السياسي المقتدر والاداري الحازم وظهر دوره الفعال فى حل عدد من الازمات الخانقة التى تعرضت لها الخلافة . وبانتهاء هذه المرحلة تكون الوزارة قد عرفت نهايتها كوظيفة محددة مستقلة ليحل محلها نظام امرة الامراء الذى سيدخل بنا الى منعرج جديد فى عمر الدولة العباسية الطويل .

ويعقد المؤلف فصولا مهمة فى نهاية كتابه يحلل فيها مهمة الوزارة ، متحدثا على عدد من النقط التى تهم المؤرخ كما تهم رجل القانون . فيعرض ، مثلا ، للوسط الاجتماعي الذى كان ينتمي اليه الوزراء ، عادة ، وللثقافة والتكوين اللذين يكونون محصلين عليهما ، وللوظيفة الادارية التى تكون منوطة بالوزير والتى تشمل تصريف الشؤون المالية والاشراف على عدد من الدواوين المركزية ، كما يعرض لوظيفته الحكومية اي السياسية والتى تشمل السلطات المفوضة من الخليفة والسياسة الدبلوماسية والعسكرية . ولا ينسى ، فى الاخير ، ان يتحدث عن الجوانب التشريفية فى مهمة الوزير من منح الالقاب الخاصة والخلع ومراعاة رسوم وتقاليد فى الاستقبالات وذكر اسم الوزير فى ثياب الطراز ومنزلة خاصة فى البلاط تعطيه مقام الاولوية الخ . .

هذه نظرة جد مختصرة تبين لنا اهمية الكتاب وقيمته كمساهمة فى التعريف بتاريخ الوزارة بوصفها احدى الوظائف التى ابتكرتها الحضارة العربية الاسلامية والتى اصبحت ، فيما بعد ، احدى مكاسب الحضارة العالمية الى الوقت الراهن .

سلا – د. محمد زنيبر



بالامس (1) : فى أخريات الليل ، وقبل طلوع الفجر ، والناس منهم نائم ، ومستيقظ يتهيا للصلاة قد انصرف عن ضوضاء الحياة وافانينها الى الاستعداد لمناجاة ربه واذا بتلفوني يرن ، واذا بأحد الاصدقاء القدامى ، الذين شغلتهم الدنيا ، وأخذتهم اخذا شديدا ، وقد أصبح من الموظفين المرموقين يحييني على قرب الدار وتداني المزار ، ويعتذر عن ازعاجي فى مثل هذه الساعة من السحر ويسالني عن « شجرة البلاء » ما هي ؟ فاستعذت بالله فى نفسي من هذه الشجرة ورددت التحية بمثلها ، واجبت الصديق القديم الذي يذكر تاريخه الذى لم يطوه البلى بانني لا اذكر انني عرفت هذه الشجرة ، وفى نفسي سالت الله الا يعرفنيها واحسست فى نغمة الصديق القديم رغبة ملحة مستعجلة يطالبني بها ان استجيب اليه وان استنجد كتبي ومصادر نفسي واطلعه على بعض ابنائها ، وذكر ان كتبه غير حاضرة لديه ، وانه مسافر الى بلد قريب ليودع كبيرا سوف يغادر الوطن لامر حكومي وسيعود هو قبل مساء ذلك اليوم ، ويرجو ان يجد نبا هذه الشجرة وقد تكامل عندي لانقله اليه ، فوعدته ذلك ورد التحية كريمة كما بداها وانصرف فلما اقبل النهار ، وعادت الحياة تضطرب بابنائها اقبلت على كتبي أبحث عن شجرة البلاء اين اجد انباءها ، وعندي من تكاليف الحياة افانين فيها من هذه الشجرة الوان نيط بي تعهدها وسقي ارضها ولحظ غرسها فانا اتعهدها واشفق من نمائها .

وقلبت كتبي اسائلها عن الشجرة الملعونة ما انباؤها ، واذا هي بفروعها واغصانها وجذوعها عند بيت كل انسان يغنم منها بقدر ما عاش فى هذه الدنيا .

فهي التى قال الله عنها لآدم وحواء : « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس ليهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما ، وقال ما نهاكمها ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ، وقاسمهما اني لكما من الناصحين فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » فان لم تكن هي شجرة البلاء او الابتلاء فما ادري اين يكون البلاء ، وعنها قد تفرع كل بلاء اصاب الانسان أو تعرض له ، ولولاها ، ولولا الاكل منها ما هبط الانسان من علوه الى حيث هو أسفل سافلين ثم الجزاء والعقاب والحشر والنشر من بعد الموت والبلى .

والاغنية المعروفة فى العالم العربي تشير الى شجرة التفاح ، وهناك اغنية اخرى معروفة مشهورة كذلك تشير باستحياء ومن بعيد الى ان الشجرة شجرة التوت وعنها ترتب قول الله تعالى : « اهبطوا

(1) كان هذا فى رمضان منذ بضع سنين .

منها بعضكم لبعض عدو » فاي بلاء او ابتلاء اعظم من امر هذه الشجرة؟ وعنها تكون الكون كله ببلاياه ومآسيه وفواجعه ثم جاء الخير يزاحمه ويدافعه ويريد اثبات وجوده !!

وتوجد شجرة اخرى في الارض يقال انها « سروة بست » كانت بقرية كشمير في مقاطعة نيسابور بخراسان ، وكانت من السرو الضخم لم ير مثلها طولا وعرضا واستواء ونضارة ، وكانت من مفاخر خراسان اذ لم يكن لها شبيه في الحسن في جميع الآفاق وكان يضرب بها المثل في الحسن والاعجوبة ، وكانت ظلالها فرسخا . فجرى ذكرها غير مرة في مجلس المتوكل العباسي فاحب ان يراها، ولما لم يستطع النهوض الى خراسان لرؤيتها كتب الى طاهر بن عبد الله يأمره بقطعها ، وبعث اقطاع جذعها واغصانها كلها في لبود وحملها على الجمال لينصبها النجارون بين يديه حتى لا يفقد منها أوراقها، فاشار عليه جلساؤه بالعدول عن قطعها وخوفوه عاقبة امرها واخبروه بما في قطعها من الطيرة ، فكأنهم اغروه بها، ولم ينفع السروة شفاعة الشافعين، ولم يجد الامير طاهر بدا من امتثال امر المتوكل . وانفذ النجارين لقطعها والجمال لحملها ، ويذكر ان اهل مقاطعة هذه الشجرة قدموا لطاهر مالا جزيلا ليعدل عن قطعها فابى وقال لو ضمنتم مكان كل درهم قدمتموه دينارا لم اقدر على مخالفة امير المؤمنين فلما قطعت الشجرة عظمت المصيبة بها على اهل ناحيتها وارتفعت ضجاتهم بالبكاء عليها وقال شعراؤهم في رثائها ثم عبيت اللبود وحملت على ثلاثمائة جمل الى المتوكل فتفاءل بها علي بن الجهم ضد المتوكل فقال :

قال (1) سرى بسبيله المتوكل
فالسرو يسري والمنية تنزل

ما سربلت الا لان امامنا
بالسيف من اولاده متسربل

فجرى الامر على ما تفاءل به ، وقتل المتوكل قبل وصول شجرة السرو اليه ، وتذاكر الناس البيتين بعد قتله (2) ، وقد قتله ابنه المنتصر .

وهناك مثل يتمثل الناس به يقولون « جهد البلاء » وقد اتي عبد الله بن معاوية ابن جعفر بن ابي طالب برجل قد استحق القتل فاقيم لتضرب عنقه ودعا بالسيف فقال رجل من جلسائه هذا والله جهد البلاء فقال عبد الله لا تقل هذا فوالله ما هذا وشرطة حجام بمحجمه الا سواء ولكن « جهد البلاء » فقر مدقع بعد خير موسع .

وقال الجاحظ : ليس جهد البلاء مد الاعناق وانتظار وقوع السيوف لان الوقت قصير والحس مغموز ولكن جهد البلاء ان تظهر الخلة وتطول المدة ، وتعجز الحيلة فلا تجد صديقا مؤنسا الا ابن عم شامتا وجارا حاسدا ووليا قد تحول عدوا وزوجة مختلفة وجارية مضيعة وعبدا لا يحترمك وولدا ينهرك .

واختبر الله عباده تارة بالمسرات ليشكروه ، وتارة بالمضرات ليصبروا وصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء . فالمحنة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة اعظم البلاءين .

وبهذا الاعتبار قال عمر بن الخطاب : بلينا بالضراء فصبرنا ، وبلينا بالسراء فلم نصبر !!

ولهذا قال علي بن ابي طالب : من وسع عليه دنياه فلم يعلم انه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله ، وقد قال الله تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة، والينا ترجعون » .

الرباط ــ محمد الناصر الكتاني

---

(1) ديوان علي بن الجهم ص 167 تحقيق خليل مردم بك .
(2) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص 470 .



- 3 -

انتهجنا في المقالين السابقين ، سبيلا للكلام عن المعاني الروحية في الشعر الجاهلي ؛ بأن جعلنا الشك الذي يخامر بعض النقاد ، في نسبة ذلك الشعر الى الجاهليين ؛ يحتم بالتثبت من صدق نسبته اليهم ، قبل ابداء الراي في محتواه .

وقد اعتمدنا في المقال الثاني ، آي القرآن الكريم ، التي تعرضت لمعتقدات الجاهليين ، فيصلا في تقويم المعروف من الشعر الجاهلي . فما طابق من الشعر آيات القرآن ، اعتبرناه شعرا موثوقا من نسبته الى ذويه ، ممثلا بحق ، لمعاناتهم الوجدانية . وذلك باعتبار أن تدوين الشعر الجاهلي يوجد من يشك في امانته ، بينما تدوين القرآن ، لم يشك في حفظه ناقد، كما التزمنا بأن نردف القرآن الكريم بما ذكره التاريخ المتحدث عن عقائد العرب قبل الاسلام ، على أساس ، ان التاريخ دعم للحجة القرآنية . ثم يلي ذلك الشعر والشعـراء .

— × —

وبسبيل ما يفضي بنا الى الغاية من المنهج المتبع، فان من بين ما بين ايدينا الآن من مصنفات التاريخ ، كتاب الأصنام لهشام ابن الكلبي . وهو اقدم مصدر ، واوسعه في هذا المجال .

عرف مؤلفه العقود الأخيرة من قرن التدوين ، وتوفى في العقد الاول من القرن الثالث الهجـري . وترجمته عند ياقوت ، وابن النديم ، حافلة بمآثر هذا الاخباري الواسع الاطلاع . وقد نعته أحمد زكي — من المحدثين — عند تقديمه لكتاب الاصنـام ، بأن ابن الكلبي من جهابذة العلماء الذين تفتخر بهم الحضـارة العربية في تدوين طائفة من المعلومات . بيد أن شكوكا تعتور رجال الحديث فيه — من بينهم الامام أحمد ابن حنبل — من شأنها حملنا على مناقشة المعلومات التي يقدمها ابن الكلبي في الاصنام ، على ضوء ما قد كنا انتهينا اليه من معلومات ، مصدرها القرآن الكريم ، ورجال التفاسير .

فقد روى ابن الكلبي تفسيرات لوجود الاصنام ببلاد العرب بسبب واحد من هذه الاسباب الخمسة :

— اولها : أن شخصا يدعى عمرو بن لحى ، سافر الى بلاد الشام للاستشفاء بحمة البلقاء — تقع اليوم في جنوب شرقي المملكة الاردنية — فوجد بعض اهلهـا يعبدون الاصنام ، فحمل منها الى بلاده . واصبحت من ايامه تعبد .

— ثانيها : ان ودا ، وسواعا ، ويغوث ، ويعوق، ونسرا المذكورة في القرآن (1) اسماء أصنام ، كان يعبدها العرب ؛ هي في الاصل اسماء رجال كانوا في قومهم صالحين . فلما ماتوا ، جعل لهم محبوهم اصناما يشخصونهم بها . وسرت عادة التعلق بهم حتى تملكت نفوس من جاء بعدهم من الخلف . وغدت هذه الاصنام ترقى درجة العبادة .

(1) سورة نوح مكية 71 \ 23 .

— وثالث أسباب الاصنام ، كما يرويها ابن الكلبي: ان آدم عليه السلام عندما ، مات وضع له ابناؤه من بني شيث صنما يأتونه فيعظمونه ويتبركون به ، فجاء الخلف ، فقلد السلف ، واصبحت عبادة قومية .

— ورابع الاسباب التي يرويها كتاب ابن الكلبي : ان عاشقين مسخا في الكعبة لاثمهما فيها ، فاصبحا موضوع عبادة .

— وآخر الاسباب فيما يرويه ابن الكلبي : ان العرب كانت تحترم الكعبة ، فاذا ما ودعها منهم مودع، صحب معه حجرا من ارضها ، استئناسا به ، وصبابة بمصدره ، حتى صار ذلك عبادة .

— × —

تلك هي التعليمات التي يقدمها ابن الكلبي في سبب عبادة الجاهليين للاصنام .

والاربعة الاخيرة منها ، نراها تؤول الى تفسير واحد ، غايته البعيدة : عبادة الله .

* ذلك أن المرء اذ يخاص تعلقه بشيء ما ، فانه يرى بعد بعاده عنه ، يسعى الى أن يترك منه لديه ما يؤنسه ، ويذكره بما تعلق به . وهذا ينطبق على السبب الاخير وارد الذكر . وتكون الكعبة بهذه المثابة مذكرا لهم في عبادة الله .

* كما أن العاشقين — في السبب الرابع — اللذين مسخا في الكعبة ، واصبحا يعبدان ، انما عبدت فيهما العظة التي جلاها الله عليهما ، مجسمة ، لكونهما اثما في اعظم بيوت الله قدسية . وانا اذ نتشخص كيف كان العربي يهرع الى اللذين مسخهما الله فيعبدهما مثالا على ما يجب تجنبه ، فانما نتصور احساسا كان لديه بالطمانينة . ناتجا عن عبادة الله الغاية القصوى من عبادة العظة .

* ولكن قصة صنم وضع لآدم بالذات — حسب السبب الثالث — لا يقوي الظن بصحتها . اذ لو كان قد تم لذلك حدوث لكان له صدى في القرآن، ولا سيما وعن آدم ما يصور عصيانه وأكله من الشجرة ، ثم هبوطه مع زوجه الى الارض التي غدت مستقرا لهم ومتاعا الى حين .

* بيد أن وضع أصنام لاولئك القوم الصالحين — حسب السبب الثاني في كتاب ابن الكلبي — رواية يؤكد ما جاء فيها ابن جرير الطبري وابن كثير كلاهما ، حينما قرأ الآية (1) **« ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا »** . فقصة وضع الاصنام لقوم صالحين ، ليست ممتنعة بين بعض الناس ، كان الحرص على انشائها وما يزال جاريا ، على الرغم من مرور آلاف السنين ، وما يميز بين الانشاءين ان السابق كان ينبعث عن عاطفة دينية ، بينما المعاصر ناشيء عن عاطفة قومية . ولعمري ان القديم منهما انبل قصدا ، فقد كانوا فيه — برغم انحراف عبادتهم — بسببه لديهم بساطة تصورهم لجلال الله وهو الذي لا تدركه الابصار . بينما ادعياء كمال التصور من الوثنيين المحدثين يمثلون بالاصنام المعاصرة ، جلال الانسان لفكرة ابتكرها ، أو عمل قام به ، وما اعظم ذلك في تقدير من كان تصوره واهيا . والحق اننا لا نعرف من من النسلين أبسط تصورا واوهى بصيرة .

* اما التعليل الاول لدى ابن الكلبي في اقامة الأنصاب بين الجاهليين . بكون عمرو بن لحي اتى بها من حمة البلقاء ، فانها وان بررت نفسيا بكونها وردت من بلد استشفاء ، فنالت التقديس تعلة بذلك ؛ فانها من الناحية التاريخية ، قصة ضعيفة النسج ، لان ابن الكلبي في نفس الكتاب يروي بأن العرب انما عرفناهم يعبدون الانصاب والحجارة ، ويحملونها معهم ، فينتقون مما حملوه احسنها ، فتوضع قبلة عبادتهم . وثلاثا مما بقي ، يضعونها اثافي للقدر . فاذا رحلوا ، تركوا الاثافي والمعبود على حد سواء ، وهكذا دواليك . فالجاهليون لم يكونوا يشترطون في الحجارة لان تعبد شرطا، ولم يكونوا يعنون بتمثيل الفم، والعين والراس. والروايات التي تزعم بان بعض الاصنام كانت كهيئة الشخص ، روايات قليلة ، واغلبها مدخول ، نصراني ، الغاية منها نسبة ما تتضمنه من فنية التمثيل الى التاثير النصراني .

ويقول صاعد الاندلس في طبقات الامم ، بأن العرب لم تكن تعبد الاصنام لذاتها مثلما يعتقد بعض الجهال . ولم تكن تراها آلهة حقا ، ولا مصدرا لطمانينتها الروحية ، فلم يعتقد قط هذا الراي صاحب فكرة ، بدليل ما ورد في القرآن من انهم انما كانوا يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى .

وفكرة نشأة الاصنام من قلب بلاد العرب ، او مما هو داخل عليها ، ليس امرا مدهشا في ذاته ، مثله في ذلك كمثل فكرة انشاء التماثيل للابطال القوميين في بعض بلاد المسلمين اليوم . فان اقامتها موجودة على اي حال ، سواء كانت من صميم القوم أنفسهم ، أو

انما تسربت اليهم مع ما تسرب من الخارج . منشأها لدى اولئك وهؤلاء ، عاطفة متأججة ، تكـــون دينيـــة احيانا ، وقد تكون قومية احيانا اخرى ، وباعثها في جميع الاحوال ضعف في القدرة على التصور بـدون واسطة . ولكنها في حد ذاتها ، لا تعني عبادة مخلصة وجهها للصنم . وقد قال الله تعالى في سورة لقمان : **« واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور ، (1) »** وقد علق ابن كثير بعـــد ان فسر الآية بسنده : بان المشركين عنـد الاضطـــرار يدعونه وحده ، لا شريك له .

والاضطرار ههنا ، وفق ما نفهمه ، انمـــا هـــو احساس بالتحرر من التبعية للجماعة في عـــادة ، أو تقليد ، مبعثه لدى الفرد ، شعور خاص بالوحدة في الحال ، او بالغربة في المفاهيم ، أو باليتم من الابعـاد الموروثة . ويوقظ في المرء احساسا من هذا النوع ، رغبة،أو رهبة ، تملأ عليه منافذ سواها من الاحاسيس. ولذلك كانوا يدعون الله مخلصين له الدين اذا غشيهم موج كالظلل .

— × —

واذا نحن قارنا عبادة العرب للأصنـــام ، بعبادة غيرهم من الاغريق ، وجدنا بونا شاسعا بينهما ، يدل على اننا لا نخطيء حيث نصف عبادة العرب الجاهليين لها بانها استئناس . فان تاريخ عبدة الاصنام حافـــل بذكر الاختصاص المنوط بآلهتهم . الامر الذي لا نجد له نظيرا عند العرب . فليس لهم توسل ، أو استجداء، أو استمطار لرحمة من الاصنام . ونحن نصـادف في انساب العرب الى جانب عبد العزى وعبد الشـــارق أسماء عبد الله وعبد الرحمن . وهذا دليل على أصالة التوحيد بين ما كانوا يعبدون .

وثمة في حياة الجاهليين قصص تخفي خلفهـــا دلالات روحية ، من ذلك مثلا ما يتضمنه جواب عبـــد المطلب لمن جاءه منذرا بهجوم الحبشة على الكعبـــة ، حيث قال : « ان للبيت ربا يحميه » ومنها تلك التـي تصف حزن ابي احيحة وهو على فراش المـــرض ، متخوفا من أن لا تعبد العزى بعده ، اذ يرد عليه محدثه « والله ما عبدت حياتك لأجلك . » ومنها كذلك قصة الصنم سعد . فقد أتاه نفر بابلهم ليتباركوا به ، وكان ساعتها قد اهرق عليه دم ، فنفرت الابل من مشهده ، وشردت من صاحبها ، فقال يصف احساسه :

أتينا الى سعد ليجمـع شملنـــا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعـــد

وهل سعد الا صخـرة بتنوفـــة
من الارض لا يدعى لغي ولا رشد

ومن ذلك ايضا ما يروى عن امريء القيس بأنه جاء الصنم المدعو ذا الخلصة يستقسم في أخذ الثأر لأبيه القتيل فلما طلعت الأزلام بالعدول عن ذلك ، احتد الرجل وقال :

لـــو كنـــت ياذا الخلص الموتـورا
مثلـــي وكان شيخـــك المقبـــورا
لم تنـــه عن قتـــل العـــداة زورا

ويستدل بهذه القصة على ضحالة وثوق الرجـل بالصنم ، بل على ضحالة مجرد الاستئناس به .

ولديهم حكاية القبيلة التي أكلت صنمها المصنوع مما يشبه العجوة ، وقد كانت يومئذ في مجاعة . فانها ايضا دليل على عين التفاهة التي كان بعضهم ينظر بها الى اصنامهم ، بانها لا تعز ، ولا تذل .

— × —

اما تعدد الاصنام بينهم ، يومئذ ، فانه ليـــس دليلا على توغل في الوثنية ، بقدر ما يدل على تقليـد اجتماعي ، بين القبائل ، فيما بينها . ودليل كذلك على الباعث الروحي فيما بينها وبين ما يرمزون به الى الله. وقد علل الشهرستاني في هامش الفصل بين الملـل والنحل سبب تعدد الاصنام عند العرب بما كان هؤلاء يقولونه : من أنها تقربهم الى الله زلفى . فلما رأت بقية قبائل العرب ذلك في البيت الحرام ، اتخذت هي ايضا لنفسها أصناما لتقربها الى الله .

ثم ان من بينهم من لم يكن محدود التصـــور ، فاستطاع ان ينبذ شكل الاصنام نهائيا ، منهم ابن نفيل القائـــل :

---

(1) لقمـــان 31 \ 32 .

تركت اللات والعزى جميعـــــا
كذلك يفعل **الجلد الصبـــــور**

فلا العزى أديـن ولا ابنتيهـــــا
ولا صنمي بنـــي غنـــم ازور

ولا هبـلا ازور وكـــان ربــــا
لنا في الدهر **اذ حلمـي صغيـر**

وهم مع ذلك ، برغم احساسهم القوي بوجـــود الله ، وبقدرته ، ووحدانيته ، فانهم لم ينفكـــوا مـــن جاهليتهم ، مصداقا لقول الله عنهم في سورة يوسـف : « **وما يومن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** . » (1)

---

(1) مكيـــة 12 \ 106 .

وبعد ، فبالنتيجة من هذا ، ومما سبق ، نستطيع ان نقدم صورة عما برسمه الشعر الجاهلي من معـان روحية معتمدين في ذلك شكلا على ما سبق ان ذكـر من مصادره ، ومقرين بصدق انتمائه لذويه مضمونا ، ان هو عكس من معتقداتهم ما يطابق آيات القرآن التي تخص هذا الجانب من حياتهم .

وقد عرضنا التاريخ في هذا المقال دعما للكلمـة السابقة التي كانت مخصصة لمعان الآيات الكريمة وما يزال للحديث بقية .

الرباط : جعفر الكتاني

المسجـد المحـزون

مررت بالمسجد المحـــزون أسالــه	هل في المصلى او المحراب مـروان !
تغير المسجد المحـزون واختلفت	على المنابـــر احــرار وعبـــدان
فلا الأذان أذان فـــي منـــائــره	اذا تعــــالى ، ولا الأذان آذان

احمــد شوقــي

مهمة أستاذ اللغة العربية
في الطور الأول من التعليم الثانوي

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

(المعلم الممتاز هو الذي لا يقتصر على ايصال المعارف الى اذهان تلاميذه بل يضع لهم الخطط للدراسة بحيث يمكنهم ان يستغنوا عنه وان يعلموا أنفسهم مستقلين مدى حياتهم) .

سلامة موسى

يعتبر التعليم بالطور الثانوي الاول مرحلة انتقال من التعليم الابتدائي الذي اعتاد فيه التلميذ اخذ معلومات بسيطة تتلاءم مع مستواه قبل مرحلة المراهقة وبين تعليم جديد يجب أن يكون متصلا بنموه العقلي والجسمي ومنسجما مع الطفرة الانتقالية في اطاره النفسي .

ولذلك كانت مرحلة التعليم الثانوي فى الطور الاول اهم مرحلة فى تكوين التلميذ ، اذا وفق فيها انفتحت امامه آفاق الفكر واتسعت امامه الآمال واذا لم يوفق فيها أصيب بقلق واضطراب وقد يكون ذلك سببا فى اخفاقه فيما يستقبل من الزمان .

ومن المعلوم أن الطفل فى هذه المرحلة يكون فى حاجة الى التوجيه السليم والتعويد على النظام والاشعار بالواجب فى اطار حريته وشخصيته فلا تفرض عليه الآراء فرضا ولكننا فى الوقت نفسه لا نترك له مجال الحرية مفتوحا على مصراعيه وهنا يأتي دور الاستاذ الماهر الذى يستطيع ان يعلم ويربي فى آن واحد .

ليست مهمة الاستاذ اذن ان يجعل من التلميذ خزانة للمعلومات والقواعد ولكن مهمته ترجع الى تنمية الشعور بالواجب لديه والى تحبيبه فى المادة التى يقدمها اليه والى ارشاده الى طريق صلاحيتها فى الحياة .

ومن الواجب على استاذ اللغة العربية فى هذه المرحلة ان يعرف هذه الحقائق وان يطبقها ما أمكنه ذلك فليست مهمته تقتصر على تزويد المتعلم بالقواعد المقررة وانما تهدف الى خلق انسجام بينه وبين هاته القواعد ليستغلها فى الاطار التعبيري عن آرائه وخواطره وليتذوقها فى مجال التعبير الفني ولتصبح اللغة عنده وسيلة لا غاية فى ذاتها .

واذا استطاع الاستاذ ان يفعل ذلك احس التلميذ بضرورة وجود استاذه فى الحياة وشعر بأنه

(1) اعتبر هذا المقال توجيها لطلبتي بالمركز الجهوي التربوي ــ قسم اللغة العربية

محتاج اليه يهديه اذا ضل ويصلح خطاه اذا اخطأ ويربي فيه ملكة التفكير اذا فكر ويصقل ذوقه اذا قرأ او عبر . وحينئذ تصبح العلاقة بين التلميذ والاستاذ علاقة مبنية على الجاوب الروحي من جهة وعلى الشعور بقيمة الاستاذ فى خلق الفكر وتهذيب الذوق والاعدادة للحياة من جهة اخرى .

ان مقدار النجاح فى مهمة الاستاذ مرتبط تمام الارتباط بالقدرة على خلق هذا الشعور فى التلميذ المتلقي فاذا لم يوفق الاستاذ فى ذلك تعذر عليه تحقيق مهمته وصعب عليه اثبات شخصيته .

وبناء على ما تقدم يمكننا ان نحدد فيما يلي مهمة استاذ اللغة العربية فى هذه المرحلة من التعليم سواء من الناحية الثقافية او من الناحية التربوية او من الناحية التعليمية ويتجلى ذلك فى مسائل كثيرة نذكر منها ما يلي :

اولا — تعليم قواعد اللغة وتعويد التلميذ على الاستفادة منها . وهنا نجد ان هذه القواعد يقدمها الاستاذ فى مرحلتين اولاهما مرحلة القواعد المقررة التى تفرض وزارة التعليم على الاستاذ تقديمها فى سلسلة متناسقة تربط بين البرامج القديمة والبرامج المقبلة وثانيتهما مرحلة التطبيقات العملية التى تحقق الغاية من هذه القواعد وهذه لا يختص بها درس النحو وانما تكون جميع الدروس التعبيرية والنظرية سبيلا اليها .

وهنا يجب على الاستاذ ان يكون فطنا قوي الملاحظة فى دروس المطالعة او فى دروس الانشاء لان الغاية ليست فى استظهار تلك القواعد التى حفظها فى ابانها بل الغاية هي تعويد التلميذ على التعبير السليم والتفكير السديد وربط المعاني بالالفاظ .

والقواعد هنا ينبغي ان تخرج من اطارها الضيق المخصص بقواعد الصرف والنحو ولكنها يمكن ان تدخل فى اطار قواعد البلاغة ايضا من غير الاشعار بهذه القواعد لان البلاغة فى هذه المرحلة لا تصلح علما وانما تصلح فنا يلقن عن طريق التذوق وعن طريق الحواس والملاحظة سواء بالنسبة الى قواعد المعاني او البيان او البديع اذ ليس من الصعب على الاستاذ فى هذا الطور ان يخلق تجاوبا بين تلاميذه وبين الادباء الافذاذ سواء من حيث الاتجاه الفكري او من حيث الجمال الاسلوبي .

وهنا يجب استغلال دروس المطالعة الى أبعد حد فنجعلها سبيلا الى تنمية الذوق والى التعويد على تنسيق الافكار والى الاشارة الى طريقة التعبير والى الموازنة بين الجمل والعبارات والى ايضاح الفرق بين الحقيقة والمجاز .

وكم من نقص يمكن ان تصاب به اللغة العربية اذا اخل استاذها بهذه الطريقة واقتصر على تقديم القواعد المجردة جافة خالية من كل رواء .

ان القواعد فى الحقيقة انما تعين على النطق السليم وعلى التعبير بلغة فصيحة سليمة لا خلل فيها ولا تعقيد . ولكن التعبير فى حد ذاته لا قيمة له اذا لم يكن هناك ما يعبر عنه .

ان اللغة ليست الا ترجمانا لما فى النفس من افكار وخواطر ونظم الكلام ليس الا صورة لنظم المعاني وهذا هو السر الذي دفع الامام عبد القاهر الجرجاني الى شرح هذا المبدأ فى كتابه دلائل الاعجاز وهو الذى دفعه الى ربط اعراب الكلمات بالمعاني العامة وجعل معرفة قواعد النحو ضرورية للعالم بالبلاغة لان التقديم والتاخير والحذف والاثبات والتعريف والتنكير كل ذلك لا ياتي فى الكلام عفوا دون قصد ولا غاية ، اذ لا تتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال الا بالقدرة على التعبير المتلائم مع المعاني المقصودة .

ومن المعلوم أن هذه المطابقة يجب ان يعود عليها التلميذ منذ صفره اما باشعاره بها عند من وفقوا فى استغلالها — وهذا شيء يستفيده التلميذ من دراسة النصوص الادبية ومن كتب المطالعة — او بتاليفه على نهجها ولو فى مستوى يتلاءم مع افكاره وعمره — وهذا شيء يتعلق بدروس الانشاء والتعبير .

ومن هنا اصبح من الواجب على استاذ اللغة العربية فى هذه المرحلة من التعليم الا يقتصر فى ملاحظاته على تصحيح الاخطاء النحوية والرسمية فقط وانما يضيف الى ذلك كل ما يتعلق بالاسلوب والفكر وترتيب الكلام ترتيبا منطقيا بحيث يرشد التلاميذ الى مواطن الجمال واسبابه والى الابداع فى الخيال والى القدرة على التشبيه وأن يربط بين تعابيرهم وبين ما لاحظوه من مجازات وتشبيهات واستعارات عند الادباء الذين درسوا انتاجهم الفني.

هذه بعض ملاحظات يمكن ان يطلع عليها استاذ اللغة العربية فى هذه المرحلة حينما يريد ان يلقن دروس القواعد .

ولكن من الضروري التنبيه على امر آخر نجعله تابعا لما يحتاج اليه الاستاذ فى تحقيق مهمته وهو الامر الثاني بالنسبة الى ما جرى الحديث عنه فيما تقدم وهذا الامر يتعلق بربط هذه القواعد بالاطار التربوي العام .

وهنا يجب ان تكون الامثلة العامة التى يوحي بها لتلامذته او يلقنهم اياها او يطالبهم بالاتيان بها داخلة فى المنهاج العام ومرتبطة بالتربية الوطنية وحينئذ لا يشعر التلميذ وهو يقرأ قواعد اللغة انه بعيد عن مجتمعه او واقعه وهذه طريقة سديدة لتحبيب اللغة فى النفوس ولجعلها ضرورية ومتصلة بالحياة .

ان اقرب تعليم الى الفشل تعليم لا يحس فيه التلميذ بتواصل مع مجتمعه ومع واقعه وكم من درس فى اللغة العربية ضاع بسبب عدم صلاحية الاطار الذى وضع فيه .

وهذه الملاحظة يجب ان تكون متصلة بتربيتنا الوطنية وتربيتنا الدينية وبقواعد الاخلاق المنسجمة مع سلوكنا وفلسفتنا كامة مغربية اسلامية ذات مجد وحضارة ومتطلعة الى تحقيق وجودها فى العصر الحديث .

وان استاذ اللغة العربية حينما يرتبط بالحياة فى تقديم قواعده وفى تطبيقها يصبح قريبا الى تلامذته فينسجمون معه ويقبلون على دروسه بنشاط ويقدرونه تقديرا يدفعهم الى حبه وحب المادة التى يقدمها اليهم .

ويمكن للاستاذ فى هذه المرحلة ان يستغل القطع المستعملة فى التطبيقات فيختار اقربها الى تحقيق هذه الغاية من الناحية التربوية وفى الوقت نفسه يجعلها سبيلا الى الاطلاع على أحسن الاساليب واجملها .

ان مواد التعليم متكاملة وهذه الحقيقة اذا آمن بها استاذ اللغة العربية فى هذه المرحلة فانه يسعى فى تنفيذها ويفيد بسببها افادة كبرى ويحقق بواسطتها ابعادا لا يتصور مدى نفعها فى هذا العصر .

ومن ثم يعيش التلميذ لحظات من النشوة الادبية تضاف الى التطبيقات المقصودة والى الاهداف التربوية فيصبح درس النحو والقواعد اللغوية وسيلة لتهذيب النفس وصقل الاساليب من جهة وطريقا الى تصحيح الاوضاع اللغوية من جهة اخرى .

وهناك نقطة ثالثة اريد ان اتعرض لها تتعلق بربط القواعد بالاطار الانساني . وهذا امر يتعلق بالثقافة العامة للاستاذ وبسعة افقه الفكري وباطلاعه على مختلف الثقافات وبتطعيم فكره بالقراءات المتواصلة سواء فيما قدر على قراءته من الكتب المؤلفة فى لغته او المترجمة اليها او فيما استطاع ان يقراه فى لغات اخرى اذا استطاع الى ذلك سبيلا .

ومن الواضح الثابت ان الاستاذ كلما اتسع أفقه الفكري وتنوعت معارفه الا واضفى على دروسه نشاطا قويا يدفع تلامذته الى الاعجاب به والى تقديره .

وفى هذا المجال نستطيع خلق المواطن العالمي الذى يتصرف فى مختلف الثقافات دون ان يجد فى ذلك تحجيرا .

ومن المعلوم ان هذه الظاهرة يستغلها كثير من الاساتذة فى هذه المرحلة من التعليم فى القصص والامثال المترجمة عن الآداب الغربية والهادفة الى اقرار المكارم فى النفوس والمنسجمة مع الميول العامة للاطفال فى هذه الفترة من حياتهم ويتجلى ذلك فى امثال لافونطين التى ترجمت الى اللغة العربية باسلوب سهل لين ونظمت اشعارا رقيقة خفيفة الوزن ميسرة العبارة .

ومن المعلوم ان اختيار قطع صغيرة من الادب الحديث يعين على تحقيق هذه الغاية نظرا للالتحام الفكري العالمي الذى اصبح صورة للادب الانساني فى العصر الحديث سواء فى ذلك الادب الشرقي او الادب الغربي .

ولا بأس هنا ان تؤلف هيات من الاساتذة لاختيار قطع ادبية صالحة لتحقيق الغاية من التعليم فتجمع بين القطع المفيدة سواء كانت مؤلفة من ادبائنا العرب أو كانت مترجمة عن الادب العالمي وبذلك تكون ثقافة الشخص العربي متسعة الجوانب صالحة لخلق مواطن عربي مسلم متسلح بالمعرفة والاخلاق .

وهناك نقطة رابعة لابد من الحديث عنها فى هذا المجال الا وهي العمل على تنمية القدرات الفكرية عند التلميذ ويتجلى ذلك فى خلق روح الحوار فى نفسه وفى تقديم القواعد العامة تقديما يعتمد على التعليل والبرهان .

وهذا هو السر في ان احسن الطرق في تعليم القواعد هي الطريقة الحوارية التي يدرس فيها الاستاذ جزئيات يتوصل بواسطتها الى الحكم الكلي بمساعدة التلاميذ انفسهم .

وهنا ينبغي للاستاذ ان يربط بين بعض الكلمات التي اعتاد التلاميذ حفظها وبين معانيها لتصبح عندهم جلية لا تغيب عن اذهانهم ابدا

ومن ذلك مثلا الربط بين منع الحركة للتعذر ومنعها للاستثقال ومنها تعليل بعض القواعد المتعلقة بالابدال والاعلال ومنها الاخبار بمنع تقديم المفعول به على الفاعل ان وقع التباس .

وخير ما نقدمه هنا محاولة اظهار الفروق بين المعاني اذا كان ذلك ناتجا عن فروق بين الحركات بحيث يجب ربط المعاني بتغير الحركات فيما يجوز فيه هذا التغير كالجملة الجوابية مثلا اذا عطف عليها بالواو أو الفاء فان الفعل المعطوف يجوز فيه اوجه ثلاثة : الرفع والنصب والجزم .

ولكن رغم جواز هذه الاوجه في النطق فهي مقيدة بالقصد بحيث اذا ظهر القصد وجب اختيار طريق واحد وامتنع الوجهان الآخران فاذا كان القصد هو المصاحبة فان النصب يصبح واجبا باعتبار ان الواو للمعية وان الفاء للسببية ولا يجوز غير ذلك فان قصد مجرد العطف كان الجزم واجبا وان قصد الاستئناف وجب الرفع .

ولا شك ان السامع او القارىء يعرف القصد بواسطة سياق الكلام ومن هنا كانت الحركة سبيلا الى معرفة المعنى المقصود فاذا علل الاستاذ ذلك سهل على التلميذ ان يربط بين التعبير والمعنى وهذا امر يتضح ايضا في شرح بعض الكلمات العربية التي يقع التشابه في لفظها ولكن لا يقع التشابه في معانيها ومن ذلك لفظة حتى فهي قد تكون للتعليل وقد تكون للغاية وقد تكون للاستثناء وهنا نرى ان التلميذ يجب أن يعرف متى تخصص لمعنى من هذه المعاني وهذا امر يدفع الاستاذ دفعا الزاميا الى اخبار التلميذ بذلك فيقول له مثلا انها تكون للتعليل اذا كان ما بعدها مسببا عما قبلها كقولك تحرص الامم على نشر العلم حتى تنهض وتقوى فالنهوض والقوة مسببان عن حرص الامم على نشر العلم وبذلك كانت حتى للتعليل وتكون للغاية اذا كان ما قبلها فعلا ينقضي شيئا فشيئا فاذا جاء الفعل الموجود بعد حتى دل على انقضاء ذلك التسلسل الموجود في الفعل السابق كقولك تسرع السفينة الفضائية حتى تصل الى القمر فالسرعة لا شك انها كانت مستمرة دون الامر ولكنها كانت تنقضي شيئا فشيئا حتى تصل السفينة الى القمر وبوصولها ينقضي ذلك الفعل السابق وتنتهي السرعة التي كانت متصلة بالسفينة الفضائية فالوصول كان هو الغاية وحتى كانت دالة عليها ومن ثم كانت حتى للغاية في كل تعبير شبيه بهذا فاذا لم تكن للغاية او التعليل فان السياق قد يقتضي انها تكون للاستثناء كأن تقول مثلا لا يصلح الاستاذ حتى يكون نقه فليس التكوين مسببا عن الصلاحية وليس غاية لها وانما التكوين استثناء من الجملة السابقة المنفية بحيث اذا كون الاستاذ نفسه أصبح صالحا .

وهنا يمكن للاستاذ ان يقول بان حتى لا ياتي الفعل بعدها منصوبا بأن مضمرة وجوبا الا اذا دلت على تعليل او غاية او استثناء فان لم تدل على هذه المعاني كانت لمجرد العطف ولا ينصب الفعل بعدها الا بسبب آخر فاذا لم يوجد سبب آخر كان الفعل مرفوعا .

وبناء على هذه الطريقة لا تبقى الدراسة النحوية مرتبطة بابراز الحركات ولكنها تعود الى ابعادها الاولى التي تجعل الحركات اعرابا عن المعاني وابرازا لها .

وليس من الصعب على الاستاذ رغم انه في المرحلة الاولى من التعليم الثانوي ان يعلل ويشرح وبذلك يدخل في خلد التلميذ المتعلم ان التعبير في اللغة العربية لا ياتي اعتباطا وانما ياتي وفق قواعد مقررة وان الالفاظ انما تكون مرتبطة بمعنى من المعاني وان الحركات تفصح عن المعاني وهنا يكون التلميذ جد حريص على ان يبتعد عن اللحن في تعبيره لانه يعلم حينئذ ان اللحن في اللفظ يؤدي الى تغيير المعاني وانحراف الكلام عن قصده وغاياته وسيحتاط عند فهم النصوص ايضا وسيبتعد عن وصف لغته بالقصور والضعف والعجز والصعوبة والاضطراب والتناقض لانه سيكون متمكنا من ناصيتها عالما بمضمونها يتصرف فيها كما يشاء ويستعملها وفق معانيه كلما اراد التعبير .

ولكن الاهداف سهل معرفتها وصعب تطبيقها فاذا كنا نعرف ان الاهداف العامة من تعليم اللغة العربية التي لا تتصل بالقواعد المجردة المحضة وانماتتصل

ايضا بالجانب التربوي والجانب الانساني فان الواجب يقتضي تهييء الاستاذ الصالح للقيام بهذه المهمة المثلى التى لا يستطيع القيام بها الا من تسلح لها بالسلاح الكافي وهذا سبب من اسباب ايجاد المراكز الجهوية التربوية التى ستعنى بخلق الاستاذ المثالي الذى لا يقتصر على اكتساب معلومات ولكنه يضيف الى ذلك ثقافة عامة وطريقة يقدم بها علومه واطلاعا على المناهج التربوية وقواعد علم النفس حتى لا يكون غريبا عن معرفة الغرائز البشرية التى يستغلها فى مهنته حينما يريد الربط بين قواعد علم النفس وقواعد التربية ووسائل التلقين العلمي حسب الطرق الصالحة الموفقة .

وفى حلقة اخرى من هذا المقال سنبين ما يحتاج اليه الاستاذ لتحقيق مهمته. فالى اللقاء ان شاء الله.

فاس ـ محمد بن عبد العزيز الدباغ

انعدام الشعور ... من اصحاب الشعور ..!

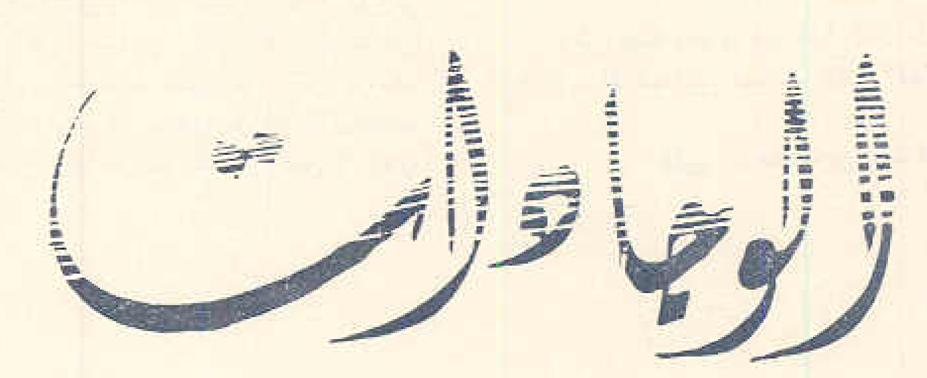
هذه السوالف جزء لا يتجزا من محاولة الصهيونية العالمية للضحك على القطعان الضالة الضائعة ، والتلاعب باهدائها وتوجيهها الى التيه والضياع ، لقد كنا نقول عن اليهودي « يهودي ابو سوالف »

ذلك لان الذكور من يهود ـ خاصة المتدينين منهم ـ كانوا يطيلون سوالفهم ، كما يفعل الشباب اليوم تطوعا وعن طيب خاطر .

وقصة سوالف اليهود معروفة ... فقد سبى بختنصر ملك بابل عام 587 ق. م بني اسرائيل واخذهم اسرى الى بابل فى ارض الرافدين ، حيث انتشروا فى العراق وفى الاقطار المجاورة ، واراد بختنصر ان يجعل لهم علامة فارقة يعرفهم بها الناس ، ليتجنبوا شرهم ويأمنوا مكرهم ، فامرهم ان يطيلوا سوالفهم والزمهم بهذا التقليد .

وبدا حاخامات يهود يكتبون (التلمود) وهو الكتاب الديني ليهود ما بعد التوراة ، فسجلوا فى التلمود عادة اطالة السوالف وجعلوها شعيرة من شعائرهم الدينية لتبرئة ساحة بختنصر من الزامهم بها من جهة ، ولرفع معنويات يهود بجعلها سنة دينية من جهة ثانية ..

وهكذا اتخذ اليهود فى سوريا ومصر وشمال افريقيا وأوربا وامريكا واستراليا وفى جميع اصقاع الدنيا منذ ذلك التاريخ حتى اليوم اطالة سوالفه اذا كان متمسكا بتعاليم التلمود ، ويعتبر ذلك سمة من سماته ، وميزة من مميزاته .



للأستاذ : عبد القادر زمامه

369 ـ الزجـاء لي ...!

وجدت ابن خاتمة فى مخطوطة « ايراد اللئال من ارشاد الضوال » يورد تعليلا طريفا لتسمية الاسرة الشهيرة فى الاندلس باسم اسرة الزجالي ..! فيقول ما نصه :

« الزجاء لي : وزير من وزراء اهل الاندلس واعيانهم .. اصل هذا الاسم ، أن بعض ملوك بني امية بالاندلس سيق اليه جوار من السبي فامر اصحابه أن يتخير كل واحد منهم جارية لنفسه ..!

فقال بعضهم : الزجاء لي ..! فسمي بقوله هذا .. »

(وفى اللغة : زج الحاجب رق وطال فهو أزج. وهي زجاء) .

370 ـ ابو سعيد المريني وابن ابي زرع ..!

وجدت فى مخطوطة ابن مرزوق « المسند الصحيح » لما ذكر نسب بني مرين قال ما نصه :

« وقرات بين يدي المرحوم (ابي الحسن المريني) ما كتبه ابن ابي زرع فى ذلك . ومنهم سمعت أن كثيرا من أخبار ابن أبي زرع انكرها والدهم المرحوم المولى ابو سعيد ..! واكذبه فيما ادركه مما حكاه على خلاف ما وقع عليه .. »

371 ـ الحضرة ..! وآلاتها ..!

وجدت فى كتاب : « الاجوبة الناصرية . فى بعض مسائل البادية » الذى جمعه محمد بن ابي القاسم الصنهاجي . وهو مطبوع بفاس طبعة حجرية سنة 1319 هـ ص 103

« واما الحضرة فلا فائدة فيها .. واما ضرب الرباب بالعود المسمى عند البرابر صبدا وغيره من الالات المعروفة عند المداحين والمتصوفة الجاهلية . فقد انكره الشيخ رضي الله عنه غاية الانكار ..! »

372 ـ الطعام ثلاثة

ووجدت فى الكتاب المذكور ص 53

« وسئل ما معنى قولهم : الطعام ثلاثة : طعام مخلوف ، وطعام مسلوف ، وطعام متلوف ..!!

فاجاب : لا ادري ما معناه ، الا انه كلام عامي، والله اعلم .. ! »

373 ـ زجل القرشي ..!

وجدت فى مخطوطة كتاب (ثمرة انسي فى التعريف بنفسي) لابي الربيع سليمان الحوات عند ذكره للحسين بن الحسين المعروف باخزاي .. قال فيه انه من ذرية :

« زجل دفين بومنار من القبيلة التى تنتسب اليه ببلاد غمارة شرقي شفشاون . قدم على المغرب مع موسى بن نصير سنة تسعين بتقديم المثناة من الهجرة ، فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، واسمه محمد ، وزجل لقبه . وكان خيرا عالما شاعرا نزل اولا بفحص طنجة بصف الجرة ..! ولما ارتد كثير من قبائل المغرب فر بدينه من شاهق الى شاهق . الى ان بلغ وادي الامان ..! وبقي فيه مدة . ثم صعد منه الى ان بلغ بومنار . وتقرر هناك . وبنى مسجدا باقية رسومه الى الآن .. وتوفي هناك، وقبره مزارة معروفة . وتواترت الاخبار خلفا عن سلف ان نسبه قرشي ..! »

374 ـ من اجل صحبتهم ..!

وجدت هذه الابيات فى كناشة احد العلماء الثقاة منسوبة الى الشيخ ابي عبد الله عبد السلام جسوس :

صاحب ذوي الفضل تسعد من كرامتهم
واخدمهم صادقا . واصدقهم خبرا

كم صحبة الحقت من شرها ضررا
وصحبة طوقت من يمنها دررا

وشاهدي كلب اهل الكهف مع فتية
من اجل صحبتهم فى الوحي قد ذكرا

375 ـ طنجة اخرى ..!

وجدت فى كتاب « حسن البيان » لمؤلفه المؤرخ العلامة الشيخ محمد النيفر التونسي المطبوع بتونس سنة 1353 هـ ص 11

« ... والمراد بطنجة هذه هي ثغر افريقية ..! وهي بلدة كان بينها وبين القيروان مسيرة ثمانية ايام. قاله العلامة ابن ناجي فى اثناء فتوح افريقية .. وقال الشيخ البناني فى كتابه ـ مغاني الوفا ـ بعد نقل كلام ابن ناجي هذا : وليست هي طنجة التى بقرب سبتة من المغرب ... اهـ »

376 ـ المنصورتان ...!

وجدت فى كتاب (المسند الصحيح) للخطيب ابن مرزوق :

« وبنى (ابو الحسن المريني) بلدين مستقلين انشا جميعهما بما اشتملتا عليه من جوامع وحمامات وفنادق وهما : المنصورة بسبتة ..! ومنصورة تلمسان »

377 ـ مدينة ملف ..!

وجدت ابن حوقل فى كتابه صورة الارض ص 68 و 184 يذكر مدينةملف التى يصنع بها الثوب المعروف بهذا الاسم فى المغرب والاندلس . ويقول ص 184 من طبعة بيروت .

« ومدينة ملف اخصب بلدان ـ الانكبردة ـ (يعني ايطاليا) وانظفها واجلها احوالا واكثرها يسارا واموالا . وتتصل ارض ملف بارض نابل وهي مدينة صالحة الحال دون ملف في اكثر احوالها واكثر اموال اهل نابل من الكتان . وثياب الكتان . وبها منه ثياب ليس بسائر الارض مثلها ولا ما يشاكلها . ولا ما يستطاع ..! »

378 ـ الرعادات ..!

وجدت فى النسخة الخطية من رحلة الكاتب ابن عثمان المكناسي المسماة « البدر السافر » مقامات جعلها خاتمة لرحلته ووصف فيها رفقاءه الاربعة الذين امتنعوا من اداء شهادتهم على ما عاينوه من دفع ابن عثمان للمال الذي فدي به الاسارى .. وسمى تلك الخاتمة هكذا :

« خرق العادات . فى اختلاق الرعادات على كتمان الشهادات لقبض الرشا المعتادات ..!! »

379 ـ حفظ الصفر ..!

« وكذلك القاضي ابن جمسوس (كذا) وهو القاضي ابو الحسن الذى الف فيه ابن الخطيب كتابه (خلع الرسن فى وصف القاضي ابي الحسن)

فقد روي عنه انه قال : ان امه مذكورة فى القرآن ..!! فقيل له في اي موضع ..؟

فقال : قال تعالى : ولا تجمسوا ...!

فقيل له : لم يقل الله تعالى كذلك .. وانما قال : ولا تجسسوا ...!

فقال : يا فقيه .. حفظ الصفر ..!! »

380 ـ الحرم يا رسول الله ..!

الحرم يا رسول الله ..! قصيدة من الشعر الملحون . شهيرة على السنة (الاشياخ) وكذلك (الشيخات) بالمغرب

وقد وجدت نصها الكامل فى ديوان الشاعر التلمساني الحاج محمد بن مسايب عاش مدة طويلة فى المغرب. والديوان منشور بتلمسان سنة 1370 هـ بمطبعة ابن خلدون مع مقدمة قصيرة (بالفرنسية) كتبها الاستاذ (بخوشة محمد)

والقصيدة نظمها ابن مسايب فى المدينة المنورة لما ذهب حاجا ..!

381 ـ مدينـة قلمـان ..!!

وجدت فى كتاب مفردات ابن البيطار العالم النباتي الاندلسي المتوفى بدمشق سنة 646 هـ ج 4 ص 106 . عند كلامه على النبات المسمى لحاء الفول:

« وينبت كثيرا بالمغرب الاقصى بفحص مشيون ..؟ بين مدينة قلمان ..؟ ومدينة فاس . وهو بهذا الفحص كثير جدا ...! ويعرف هناك بلحية مشيون ..؟ »

382 ـ ... من عثمان الا لابن عثمان ..!

وجدت فى النسخة الخطية من كتاب (المسند الصحيح) للخطيب ابن مرزوق هذين البيتين وهما من نظم ابي الحجاج يوسف الطرطوشي . من قصيدة فى أبي الحسن علي بن عثمان المريني يذكر فيها «الربعة» التى كتبها ابو الحسن وهو بتلمسان سنة 740 هـ وارسلها لتحبس على مسجد المدينة المنورة ...

يا مصحفا ما راى الراءون من زمن
شبها له مصحفا من نسخ سلطان

فضيلة مثلها فى الدهر ما عرفت
من عهد عثمان. الا لابن عثمان

383 ـ ابن حزم فى نظر ابي حيان النحوي ..!

ووجدت فى النسخة المذكورة: ابن مرزوق يتمثل فى السلطان ابي الحسن . بما كان انشده شيخه ابو حيان النحوي فى مصر فى شأن الامام علي بن أحمد ابن سعيد ابن حزم الظاهري ..

وظاهرية ابي حيان شهيرة ..! لما كان بالاندلس فلما استوطن مصر مال الى مذهب الشافعي ..!

لا تلمني ان كنت اهوى عليا
واراه احق بالتقديم

فعلي امام كل امام
وعلي عظيم كل عظيم

384 ـ كانه قد تنسك ..!

وجدت فى قلائد العقيان طبعة باريز ص 72 ان الفتح بن خاقان حكى عن الرئيس ابي عبد الرحمن ابن طاهر انه لقيه بباب الحنش فحدثه بما كان يشاهده فى هذه الباب وختم مشاهداته بقوله :

« ... فخرجت اليه ليلة . والمتنبي الجزيري واقف . وامامه ظبي آنس . تهيم به المكانس . وفى اذنيه قرطان ..! كانهما كوكبان . وهو يتأود تأود غصن البان ..! والمتنبي يقول :

معشر الناس بباب الحنش
بدر تم طالع فى غبش

علق القرط على مسمعه
من عليه آفة العين خشي

فلما رآني امسك ..! وسبح كانه قد تنسك..!»

385 ـ فعاشت عيش الملوك ...!

وجدت فى تاريخ الدولتين لمؤلفه الزركشي ص 10 ـ 11

«ولما نهض عبدالمومن للجهاد، واحتل بسلا قدم عليه هنالك وفد الاندلس سنة 553 هـ وفيهم حفصة الاديبة المعروفة بابنة الحاج الركوني وكان سمع عنها وعما توصف به من الجمال الباهي والادب الظاهر فامر باحضارها فاحضرت فقال لها : انت حفصة الشاعرة ..! فقالت نعم خادمتك وصلت لتتبرك بغرتك السعيدة ..! ودنت فقبلت يده ثم انشدته تستدعي منه ظهيرا لموضع ..! فسئلت عنه فقالت :

يا سيد الناس يا من
يؤمل الناس رفده ...!

امنن على بصك
يكون للدهر عده ...!

تخط يمناك فيه
الحمد لله وحده ...!

فاعجب عبد المومن بها . ووقع لها بالقرية المعروفة (ببركونة) واليها تنسب ..! فعاشت عيش الملوك ..!! »

386 ـ البستونية ...!

وجدت فى فهرسة الشيخ التاودي اثناء ذكر من زارهم وتبرك بهم :

« انه زار السيدة المباركة منانة البستيونية فى دارها قبالة مسجد السمارين وذلك سنة 1161 هـ وكان معه فى هذه الزيارة القاضي بوخريص ..! وطلب منها الدعاء ..! »

ولها ترجمة فى السلوة . وقد توفيت سنة 1164 هـ

387 ـ يا بابا ...! يا بابا ...!

ووجدت فى الفهرسة المذكورة فى ترجمة الشيخ احمد الشرابلي المراكشي . ان له ديوانا من الشعر الملحون. وانه لما صحب شيخه احمد السوسي الى الديار المقدسة . سمعه شيخه المذكور يدندن مع راسه ..! وهو بالمحفة يقول :

قولوا لمكة مع المدينا
خيرهم بان علينا يا بابا ..!

من بغى يزور يجينا يطلب لنا
الوقت راه لنا يابابا ...!

فاس ـ عبد القادر زمامه



بطل الاستقلال

للشاعر : محمد بن علي العلوي

صاغك الله في الصمود مثالا اي أرض اعز منك مثالا
وبراك الاله للمجد والعز عرينا بطلل الاشبالا
وكساك البها وقلدك المجد واولاك عزة تتوالى
قال : كوني فكنت جنة قوم يستلذون في رباك الظلالا
وجرى فوقك اللجين معينا بين در الحصى يسيل زلالا
والربى والزهور تضحك فيها كثغور الحسان حين تلالا
تتغنى بها العواطف نشوى وتميس الغصون فيها اختيالا
ويناجي بها الكنار هزارا وتناغي الظباء فيها الغزالا
اي أرض كارضنا تنبت الاسد اباة وتنجب الابطالا
تتجلى روائع الفن فيها تسعد القلب والنهى والخيالا
اينما سرت فالبهاء يناديك جنوبا او مغربا او شمالا
يتجلى للناظرين اماما ووراء ويمنة وشمالا
كيف نامت اسودها عن لصوص عبروا البحر ينشرون الضلالا
نهبوا الارض والمواطن نهبا واذاقوا حماتها الاهوالا
أصحيح ان المطامع واليا س وباء يحطم الاجيالا ؟
لست ادري وما اظنك تدري كيف حطت بها اللصوص الرحالا
غير أن الاله شاء لها النصر فأحيا بملكها الآمالا
وارانا بها ابن يوسف يعطي لبني الارض في الفداء المثالا

ثار لله والحمى فتعالت صرخة الحق توقظ الابطالا
لم يدع للدخيل فوق ثراها (جنرالا) يتيه أو (مرشالا)
اوقد الثورة التي قد اعادت لحمانا بفضله استقلالا
قال : والله لو منحتم يميني كرة الشمس ما تركت النضالا
قد وهبنا نفوسنا لحمانا كيف نخشى السلاح والانذالا
كيف ارضى بقاء قوم طغاة جلبوا الشر للحمى والوبالا
كيف ارضى وكيف يقبل شعبي منكم اليوم ذلة واحتلالا
انا للشعب ما حييت وبعدي حسن للعلى يقود الرجالا
صنته للحمى وربيت فيه لبلادي مكارما وخصالا
قد عقدت الرجا فكان كما شئت جديرا ان يسعد الاجيالا
فدعوا عنكم الغرور فاني لست والله من يهاب النزالا
نحن قوم لشعبنا نتبارى فيه حبا ولا نخاف القتالا
وقضى الله بانتصار همام قد حبانا كفاحه استقلالا
حطمت كفه الكريمة عنا كل قيد وكسرت اغلالا
وأتى يحمل الوثيقة بالنصر مبينا ضياؤه يتلالا
سنة الله ان اراد انعتاقا لبلاد اتالها الابطالا
اي عيد كعيدها اليوم لما حقق الله للحمى الآمالا
يا لها من مسرة عمت النا س وتاهت بها النفوس اختيالا
فرحة هزت القلوب وبشرى عمت السهل والربى والجبالا
بزغ الفجر بالمنى واستقلت امة فى الحياة تهوى الكمالا
يا مليكا سما على النجم قدرا وعلا مقصدا وطاب خصالا
أنت من حقق الجلاء واعطى هذه الارض رفعة وجمالا
قد ورثت الامجاد عن خير ملك وبذلت الجهود والاعمالا
كم أياد أسديت للقطر والنا س واعليت مفخرا يتلالا
واليك السدود فى القطر تعزى وأياديك كل يوم توالى
عش لهذا الحمى فانك فيه بطل المجد يصلح الاحوالا
وليعش للحمى واوج المعالي ولي العهد يضرب الامثالا

فاس ــ محمد بن علي العلوي

بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لعودة الأسرة المالكة من منفاها التي توجت باستقلال المغرب



هي الافراح تثمرنا فتونا ... وتبدي من مباهجنا شؤونا

شؤونا قد كتمناها زمانا ... واخفينا ملذتها سنينا

كتمناها نغالب من شجاها ... براكينا تؤج هوى دفينا

واحلاما تهز النفس شوقا ... وتغمر بالسنا القلب الحزينا

لقد رات ابن يوسف آب حرا ... وابناء ابن يوسف مكرمينا

وبشر بالهنا الحسن المفدى ... وقال ابوه: عدنا فائزينا

لقد عادوا فهللت الاماني ... بعودتهم وارقصت الشجونا

لقد عادوا، وكان العود حمدا ... ونصرا قطع الاعدا الوتينا

— * —

وزغردت الحشود وقد تبدى ... ابو الاحرار اشراقا مبينا

يبدد ليلنا بهدى وصدق ... ويدحض ترهات الكاذبينا

وقول بغاتهم: هلا نسيتم ... احاديث الالى تتعلقونا

نراكم تقتفون بصدق فعل ... هداهم بالرزايا ساخرينا

جعلتم نهجهم مثلا ورمزا ... وفى اذيالهم تتشبثونا

تخلوا واعدلوا عنهم فليسوا ... سوى حلم يقض الهاجعينا

وخلوا عنكم الذكرى فليست ... سوى حزن الالى يتذكرونا

— * —

ولكن ابن يوسف في الحنايا | مقيم وابنه الحسن الامينا
فتعسا ان كبحنا نار حب | قوى حالف العهد المكينا

— ❊ —

وخيل اذ هزمنا كل باغ | وارغمنا الليالي ان تلينا
وغالبنا الحوادث والرزايا | ونلنا من دنانا ما رضينا
بانا سوف نسكت ذي الحنايا | وننسيها ادكار المبعدينا
ولكن في جوانحنا أوار | من الاشواق يذكيها حنينا
يثور مزمجرا ويفور يبدي | جموحا يهزم الكبت المرينا
ويرقص ، والحنايا في انتشاء | تناغيه الهوى عهدا ودينا

— ❊ —

لقد هاجته عودتكم وبشرى | حملتم للبنات وللبنينا
وهاج ، وقد تبدى في شموخ | محيا ابيك يا حسن رزينا
يدغدغ ما نؤمل من زمان | وما نرجو ونطمع ان يكونا
وقال — وقد اصاخ الكون قسرا — | : الله انجز وعده وحمى العرينا
لقد بزغ الصباح بيوم عيد | وولى الليل مدحورا مهينا
وما ضاعت حقوق ان حماها | اباة لا يهابون المنونا

— ❊ —

فهذا الشعب يهزج بالاغاني | ويرقص فرحة اللقيا فنونا
يسبح بالثنا وقد تجلى | بعودتكم ضياء شع فينا
يقوي في النفوس اجل عزم | وينفث في الحنا هديا مبينا
لقد رات الوقود وفاء عرش | فبادلت الوفاء وفا ثمينا
رات ؟ ماذا رات ؟ بالله قل لي | رات دنيا تطارحها الحنينا
رات عرشا يواكب مبتغاها | ويغمرها جذى وهوى مكينا
رات فيه سناء عاش يسبي | بحب يملأ الدنيا فتونا
رات فيه الذي بهر الليالي | واخلب لبها وشفى العيونا
رات فيه زعيما مشمخرا | ابي العزم فداء امينا
رات فيه أخا سمحا عطوفا | واما برة وابا حنونا

— ❊ —

وماذا العرش؟ لست أرى القوافي ... تفي والله حق الخالدينا

وما تجدي القوافي والمباني ... بدنيا الخالدين الملهمينا ؟

ولكن هو ذا الحسن المفدى ... تملوه يخبرنا اليقينا

تعالوا فانظروا عينيه اني ... أرى عينيه هدي الحائرينا

نظرتم ؟ ام شموس الحق تعشي ... اشعتها ، فل يهواه رضينا

اذن فلنسأل الاعداء عنه ... فهم والله نعم المخبرونا

وقالوا في عيونك نار بغض ... فقلنا للعدا المتكالبينا

وما انتم مليكي غير نور ... الى الايمان يهدي الصادقينا

— ❋ —

بذرتم بذرة فأتت بأكل ... تغص به حلوق الطامعينا

ومن اخلاصكم ودماء شعب ... سقيناها فطابت للبنينا

تعهدتم بأنفسكم نماها ... وكنتم قدوة للمخلصينا

وظلتم تدفعون بصدق فعل ... ذئابا – عن حماها – ماكرينا

اذا نامت اسود الغاب عنه ... عثت فيه ايادي المفسدينا

ولكن كنتم – ملكي – درعا ... وقى الاوطان شر العابثينا

وشيدتم لها بالعزم حصنا ... به تزهو حصون الظافرينا

وخلدتم من الامجاد سفرا ... له تعنو جباه الكاشحينا

وتتلوه الدهور نشيد خلد ... كما يتلو الكتاب المؤمنونا

— ❋ —

وكنتم في مبادئكم رسولا ... يبشر بالخلاص القانطينا

وناديتم الى العلياء قومي ... فهبوا لها وهاموا ناشدينا

وكانت دعوة لبى نداها ... جنود زلزلوا الدنيا قرونا

جنود ان ترد ملكوا البرايا ... بايمان وعزم لن يهونا

جنود بأسهم حق وصدق ... واخلاص وصبر لن يلينا

فمرهم ان تشا تبصر عجابا ... فهم دوما لامرك سامعونا

وحرضهم فهم والله جند ... يلبون النفير ويصدقونا

وسل حربا صلوها كيف كانوا ... جموعا حشدا يتذامرونا

فما خافوا ولا رهبوا المنايا ... ولكن شمروا يتهالكونا

وكانوا قوة تعنو الليالي ... لهيبتها وتصمي المعتدينا

وامسوا رجفة عصفت لظاها ... بآمال الجناة المفرضينا
فأحيوا فى النفوس رجاء شعب ... أبى شمما حمى المستعمرينا
فكافح ـ والدماء له شهود ـ ... أكاذيب البغاة الغاصبينا
رمى فارعبهم بصبر ... به دكت حصون الظالمينا
واشربهم كؤوسا من بلاه ... سموما قطعت منهم وتينا
لقد آلوا واليتهم دماهم ... بأن يبقى الزمان لهم خدينا
وان تبقى مبادئكم طريقا ... عليها للمفاخر يهرعونا

— * —

ستنتم سنة كنا فداها ... وما زلنا عليها سائرينا
وآمنا بشعب كان دوما ... على الباغين حربا لن تلينا
بشعب كله عزمات صدق ... يفل بها جيوش المعتدينا
أتعذيب وسجن واعتداء ... علينا ثم يرجى أن نلينا
فلا والله سوف نرى الاعادي ... ونوقدها كما شاءوا زبونا
سنوقدها ونجعلها جحيما ... وهم فيها ـ وربك كالحنونا ـ
فسل عنا الوقائع كيف كنا ... أسودا لا تهاب الجائرينا
صبرنا اذ رمونا بالمنايا ... وكنا فى المنايا راغبينا
ونيران القنابل شاهدات ... بأنا كنا نعم الرابضونا
رصاص يملأ الاجواء أزيزا ... ونار شبها الاعداء فينا
وافواه المدافع قاذفات ... لظاها تحصد المتظاهرينا
وتقذف لا ترى شيخا ضعيفا ... ولا بيتا ولا اما حنونا
ولكن تقتل الاطفال عسفا ... ويجرم جيشها جرما مبينا
هنا جرحى تئن وثم قتلى ... نجيعهم يهيج الثائرينا
يهيجهم الى الهيجا اسودا ... تخطفت الاعادي الناكثينا
وهذا صارخ يدعو اخاه ... اخي هيا فما احلى المنونا
وتي ، تسخو بأبناء عزاز ... وقد كانت بهم ابدا ضنينا
دعاها واجب الوطن المفدى ... فالفتم على الاعدا اتونا
وكان النصر نصر الحق اشهى ... اليها من مداعبة البنينا
اذا الايمان والحق استقرا ... بقلب لم يرعه بلا السنينا

— * —

سل الاقدار ان شهدت باننا — اباة لا نقر الضيم فينا

علام نطاول الدنيا بصبر — وايمان وعزم الايدينا ؟

تخبرك المقادر انا قوم — لاعلاء العدالة طامحونا

فتحنا الارض والدنيا ملكنا — وكان العدل رمز الفاتحينا

فتحناها فقدينا الايامى — وذدنا عن حقوق المرملينا

وواصلنا الفتوح فما أبحنا — بها عرضا ، ولكنا حمينا

وسالمنا فكنا رمز حب — وصادقنا فاخلصنا اليقينا

وعاهدنا فما نقضت عهود — ولكنا بها أبدا وفينا

— * —

ملكنا الكون آمادا طوالا — فسله هل قتلنا العاجزينا

وهل دسنا سوى عتبات قوم — طغوا ظلما وكانوا ظالمينا

وهل دكت سنابكنا سواها — وهل دسنا حقوق الكادحينا

ابدنا الشر فى دنيا البرايا — وطاردنا الخيانة والظنونا

لقد كنا لهذا الكون درءا — وحفظا للمفاخر أن تهونا

فصلوا للألى ضحوا وكانوا — مثالا خالدا للخالدينا

فاس — عبد الكريم التواتي

يا فلسطين ...

للشاعر محمد الحلوي

يسير الناس من حولي سكارى ... وامشي هائما فى كل درب !
وفى نفسي جراحات دوام ... وفى روحي ، وفى أعماق قلبي
احس مرارة ، واحس نارا ... وبركانا ، واشواكا بجنبي
وفى عيني حزيران تراءت ... هزيمته تثير فظيع رعبي
بوجه كالح كالموت تبدو ... ملامحه فيشرد منه لبي
حكايا الستة الايام شؤم ... واغنية تساير كل ركب !
وعار فى جبين العرب باق ... وخطب لا توازنه بخطب
مشوا فى حربنا وهم جميع ... وسرنا نحوهم فى ألف حزب !
فذاب حديدنا من غير نار ... واجفل جيشنا من غير ضرب !
قلوب شعوبنا شتى خراب ... موزعة الى شرق وغرب !
مريضات فليس لها اساة ... ومجدبة خلت من كل حب
خلافات واحقاد اذا ما ... توارت ابرزت فى شر ثوب
فلا القمم الشوامخ قربتنا ... من الاهداف يوما اي قرب
ولا الخطب البليغة والاماني ... بقادرة لتمحو عار شعبي
ولا روجرس حقق مبتغانا ... ولا يارينغ ذلل كل صعب
وخلف خطوطنا الكبرى بنونا ... اسارى طغمة اسلاب نهب
يعانون المنايا كالحات ... بعزم صادق وثبات قلب
مدافعهم تزلزل كل ركن ... وفتيتهم تصول بكل درب

كفانا هدنـــة وكفـــى كلامـــا فلا سلم هناك بغيـــر حـــرب
كرهنا حربهـم فاستضعفونـــا ونادانا الجهـــاد فلـــم نلبـــي
ولولا بنية ضعفـــت وشيـــب وعود فى الكريهة غير صلـــب!
لخضت غمارها واطعت نفســي وذقت نعيمها فى خيـــر صحب
ولست بمسلـــم ان لم اقلهـــا مدوية تزلـــزل كـــل خـــب
اذا لم تركبوا متـــن المنايـــا ولم ترموا اليهـــود بشر حـــرب
فلـــتم مسلميـــن كما زعمتـــم ولستم ما تخاذلتـــم بعـــرب !
اذا لم تغضبوا كحمـــاة ديـــن ولم تك غيـــرة لرضـــاء رب !
فثوروا للحفـــاظ على حمـــاكم وصدوا عن بنيكم كل ذئـــب !

تطوان : محمد الحلـوي

ضع لي أصبعـــك فى هذه النـــار !!

قال ابن سيرين : كنا عند ابي عبيدة بن ابي حذيفة فى قبة له وبين يديه كانون له فيه نار ، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه فساره بشيء لا ندري ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضع لي اصبعك فى هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني ان اضع لك اصبعي فى هـذه النـار ! فقـال لـه ابـو عبيـدة : اتبخـل علي بأصبع من أصابعك فى نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله فى نار جهنم ! قال : فظننا انه دعاه الى القضاء .



سلا – لو ترى – بهجة الناظر ... وفى ربعها سلوة الخاطر

تذكرني كلما زرتها ... بمجد لها تالد غابر

كاني بها لم تزل امة ... لشاطئها عزة القاهر

سفائنها بالردى ابحرت ... الى كل مستأسد جائر

تشق العباب الى وقعة ... بهول بعيد الصدى ماخر

بوارج عائمة اشبهت ... جبالا تسير على مائر

قلاع اذا ركدت حصنت ... ديارا بسور لها دائر

وان سبحت عجلت غارة ... فعادت بنصر لها باهر

غنائمها اثقلت حملها ... فسارت على مهل حاذر

تلوح من البعد ان اقبلت ... بروجا على جبل عابر

وابطالها كليوث الشرى ... لهم صولة الجحفل الظافر

لأسر العدى احكموا خطة ... تطيح بشيطنة الشاطر

فلا يتقي كيدها باسل ... يراوغ فى مكره الماكر

فليس لمن قصدت صوبه ... سوى حظه الانكد البائر

يموت اذا شاء مستقتلا ... والا ففي قبضة الآسر

ليوث سلا مجدهم خالد ... يجول بصيت لهم طائر

فكم من اساطيل قد اغرقوا ... وصالوا على معتد كافر

وكم حطموا من سفين العدى ... على لجج الهائج الهادر

قراصنة الروم من بأسهم ... على فزع دائم حاضر
فليس لهم ان راوا فلكهم ... سوى نفرة الهارب النافر
يرون الردى خلفهم طاردا ... ومستأصلا شأفة الدابر
فلله من عصبة اخلصوا ... جهاد عدو لهم واتر
وقاموا بصون الحمى عندما ... رأوه على خطر فاقر
تصون تواريخنا فضلهم ... فليس بنسي ولا داثر
ونذكر ما قدموا من يد ... ونجعلها عدة الذاخر
وناخذ من درسها عبرة ... فنمشي على منهج الباصر
فما كالعزائم ان جردت ... فان لها حدة الباتر
ولا كالتواكل من آفة ... تعود بعجز على قادر
وما كان آباؤنا عالة ... تضعضعهم صيحة الزاجر
ولا يسلمون الحمى ان دهت ... خطوب بمستكره تاحر
ولكنهم معشر برزوا ... بعز رفيع الذرى ظاهر
وسادوا وشادوا وكانت لهم ... مواقف في ملتقى شاجر
ونحن بنوهم ، على نهجهم ... مشينا ونمشي الى آخر
نصون مفاخر احسابهم ... بعزم حديد الشبا ساهر
ونحفظ من ارثهم عادة ... بايمان ذي همة صابر
بمثل «العياشي» في عزمه ... تسر المشاعر من ذاكر
ويقتبس النور من مجده ... فيمشي على جدد نائر

— * —

لقد ذكرتني سلا صفحة ... من الحسب الارفع الفاخر
بعزم بنيها واقدامهم ... تحدث بالسند العاطر
تؤلف في مجدنا حقبة ... ستبقى مدى دهره الداهر
أتطوي واحفادهم بيننا ... على الدرب في موكب سائر ؟
تأسوا بآبائهم في العلى ... فلا من كسول ولا سادر
تنادوا الى نهضة بشرت ... بيمن جميل المنى وافر
فتلك معارفهم اطلعت ... زهورا بروض لها زاهر
وتلك صناعاتهم تستبي ... بفن بديع الحلى ماهر
وتلك الخطى منهمو اسرعت ... الى كل مستحسن نادر
بهمة ذي نخوة صامد ... بواجب تاريخه شاعر

ومسجدهم لم يزل آية — تذكر بالزمن الناضر
زمان الجهاديين : في حلقة — من الدرس كالدملج الدائر
وفي معرك الحرب ان سعرت — بكل فتى باسل ثائر
جهاد تواصل مستبسلا — فليس بوان ولا فاتر
به امة اتعبت دهرها — واعيت يد الكاتب الساطر
فيا لهف نفسي على حقبة — لها فرحة المبهج السامر
ترصع تاريخنا عزة — وتبعث فيه يدي ناشر
ترى هل تعود بأيامه — مطالع للفلك الساخر ؟
وهل يلحق القوم اخلافهم — ام انقطع السير بالسائر ؟
وهل دربهم لم يزل معلما — بصواه ، أم هو كالداثر ؟
فوا اسفاه ! ويا حسرتا ! — اذا الكسر اعيي يد الجابر
وطال المساء على ركبنا — وبدد في فدفد شاغر
ولكنني آمل نعشة — وان ابطا الدهر بالعاثر

— * —

ديار سلا ! طبت من اربع — ومن معهد بالسلى عامر
فكم بارك المجد تلك الربى — وكم عمر العلم من غامر
وكم وطئت ارضها ارجل — تسير بهدي لها طاهر
ذكرت « ابن عباد » المرتضى — فريع الدهور بلا ناكر
وبحر التصوف بل قطبه — ومنهل وارده الصادر
رسائله لم تزل آية — واعجوبة الدارس الخابر
هي الوتر في بابها لم نجد — له شافعا ليس بالقاصر
صحائفها من سلا ارسلت — الى سائل باحث سابر
وكم عالم نام في حضنها — وذي حكمة شاعر ناثر
وكم من ولي به حصنت — من الشؤم والعطب الجازر
ولا مثل «موسى» بشاطئها — ولا كابن عاشر الزاخر
ولا كابن حسون في تربة — ثلاثتهم بقية الحائر
وما انصف « ابن الخطيب » ولا — رعى ادب الوافد الزائر
تقلب في خيرها ناعما — فما كان بالحامد الشاكر
وما قلت مستقصيا فضلها — فانه في كثرة الكاثر
ولكنها قطرة نزرة — وومضة برق الى ناظر

ورنــة شعــر لهــا سكــرة بخمــرة مجــد لنــا فائــر

تحيات شعــري الى ثغرهــا وتاريخها المعجــب الساحــر

حديث ســلا شائــق رائــع من النمــط المدهــش النــادر

وللشعر من وحيــه سلســل تتابــع كالهاطــل الهامــر

فعذرا سلا ان تكــن مدحتــي بايجازهــا نقــرة الناقــر

فما هــي الا صــدى هتفــة تحييــك مــن عابــر زائــر

الرباط ـ المدني الحمراوي

بكيــت حتى يخــرج ...

يقال انه لما مات حاتم تشبه به أخــوه ، فقالت له أمــه : لا تتعبن فيما لا تناله ، فقال : وما يمنعني وقد كان شقيقــي واخي من أمي وابي ؟ فقالت اني لما ولدته كنت كلما ارضعته أبى أن يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدي الآخــر ، وكنت اذا أرضعتك ودخل صبي بكيت حتى يخرج !!



اناجيك بالقلب **ياذا الجلال** … وعين الجمال ، وكل الكمال

اذا انت بالفضل عني رضيت … فلست أخاف ، ولست أبالي

مريد قدير على كل شيء … **سميع بصير عليم** بحالي

وليس بخاف عليك افتقاري … وما سوف القى ، وما قد جرى لي

اليك الشكاة ، ومني الدعاء … لانسى انعزالي ، وانسى انخذالي

لسان السجود يبلغ عني … اذا لم يبلغ لسان المقال

ودود **عطوف** ، واصدق **هاد** … واكرم **كاف** عليه اتكالي

عفو فليس يؤاخذني … بما ليس فى طاقتي واحتمالى

تساوى لدى **العدل** سر وجهر … فليس تفيد صنوف احتيال

وذو العرش مقتدر وغني … وليس بذي ولد أو عيال

ولم يولد **الله** سبحانه … فكان كما هو فى كل حال

تعالى فليس كمثله شيء … وما خطر الشكل لحظا ببال

سريع متين مبين له الـ … ـكبرياء التى هي فوق المعالي

فيا **قابضا مالكا شاكرا** … ويا **قائما فاطرا ، ذا الجلال**

ومن كان **اول** قبل البرايا … ومن هو **آخر** دون انتقال

فلست تحول ولست تزول … اذا كان خلقك اهل انفعال

انلني بفضلك حسن الختام … وجدلي بعفوك عند المئال

واحسن لقائي يا سيدي ! … فيا سعد من نال حسن اقبال !

فكيف اوفي بشكري لمن   اليه اجدد اوفى ابتهالي ؟

وفى **الجوهر الفرد** خير انيس ،   فيا حبذا لحظات اتصال !

ارى فى **الحبيب الطبيب** شفائي   وفيه سروري بدا واحتفالي

اذا صرت فيمن احب اسيرا   فيا حبذا فى الغرام اعتقالي

وقلبي خلو سوى من حبيب   على ذكره قد ادمت اشتغالي

فسبحانه اذ هداني فى   زمان اباحية وانحلال

هو **الطيب** فى العود عند احتراق   ونور الدياجير عند اشتعال

مقاومة النفس اقسى كفاح   واهدى سلوك ، واسمى نضال

وفى **الله** كانت كفايتنا   فيا حبذا من **ولي** نوالي

وذكرك يا سيدي ثروة   تجاوز كل نفيس وغال

تدبر هذا الوجود العجيب   فليس يصاب بأدنى اختلال

لك الكبر وحدك فى الكائنات   اذا اغتر شخص بكذب اختيال

عزيز حكيم شهيد وكيل   **قوي نصير شديد** المحال

فيا **واحد احد صمد**   ويا **فرد** يا **وتر** فوق المثال

ويا من تعاليت فوق الظنون   لانت **العلي البديع** الجمال

وقلبي يقول بنطق فصيح :   لحبك يا رب طاب احتلالي

تروق الدموع ، ويحلو الخشوع   اذا العين قد هطلت بانهمال

فيا **ظاهرا** فى شهود المعاني   ويا **باطنا** فى عيون الوصال

ويا **مبديء** الخلق من عدم ،   لانت **المعيد الكريم** النوال

الا فاسق عين فؤادي بعين   لذاتك فوق الرحيق الحلال

ازيد شرابا ، فازداد شوقا   بقلبي وروحي لنبع الزلال

ويا **نور** انت **الجليل المجيد**   ويا **باعث** الكون بعد الزوال

تميت وتحيي كما قد قضيت   وامرك ذو حكمة واعتدال

وانت **الرحيم الجواد الحنين**   وانت **الصبور** لاهل الضلال

وانت **الرؤوف الحليم العظيم**   وانت **المجيب** لكل سؤال

ويا **حق** يا **ملكا** لا يضام   لانت **المغيث** بيوم النزال

وانت **القهير** الذى بأسه   يبيد العداة بساح القتال

وانت **اللطيف الخبير الكبير**   وانت **المحيط** بكل مجال

وانت **الحفيظ المنيع السلام**   وانت **المهيمن** فوق المنال

ويا هو **حي قديم الاه**   **غفور شكور حميد** الفعال

مصورها البر كان وباق ... ورحمانها منعم بالتوالي

وجبارها قاهر لا يرام ... وقدوسها فوق قيل وقال

وفتاحها واسع ذو امتنان ... **ووهابها باسط للظلال**

مؤلفها فى عبادته ... **ومقسطها جامع** للأهالي

وحنانها واهب باليمين ... **ومنانها مانع** بالشمال

ورزاقها غافر للذنوب ... **وستار** كل العيوب الخوالي

وعلامها بالغيوب خبير ... بكل الامور القصار الطوال

وذو **الطول** فيها **شديد العقاب** ... **وحنانها دافع** للوبال

وخلاقها صادق وارث ... **مقيت قريب** بغير انفصال

رقيومها لا ينام ، ولا ... تصاب مقاديره بالكلال

ومؤمنها امن الخائفين ... فلذت مناجاته فى الليالي

وكان **رفيعا حسيبا رقيبا** ... تلبي مشيئته فى امتثال

هو **الله اعلى** واسمى واسنى ... هو **الله** فوق النهى والجدال

له الحمد والشكر دون سواه ... وعصيانه كان عين الخبال

لهيبته تستكين البحور ... وتعنو له شامخات الجبال

يدوم ويبقى **اله الوجود** ... وتفنى عوارض جاه ومال

به وحدة العز عز مقيم ... وحبل **الاله** أشد الحبال

فكل كمال له واجب ... وفى حقه النقص عين المحال

فما احسن الشعر فى حقه ، ... ففيه النفائس فوق اللآلي !

اذا رمت بيت القصيد ففيه ... اجل الرؤى فى صفاء الخيال !

فسبحان **باريء** هذا الوجود ! ... فمن فضله صح حسن الكمال !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

أوامر متبوع تبلغ جهرة ...

للشاعر الحاج أحمد بن شقرون

مليك همام نابه الذكر والقدر ... يسل حساما باترا شارب الخمر

ويوعد ندمانا بشر عقوبة ... يبيت بها الندمان من عبر الدهر

يقيم بها حدا على كل طائش ... يميل بسكر فاقد العقل والفكر

فيحمي الحمى من سادرين ، تخلفوا ... عن الرشد، وانساقوا مع الاثم والوزر

وعاثوا فسادا فى البلاد ، وتابعوا ... مسيرا الى الويلات فى حماة الكفر

فمن يقترف خمرا يكن غير مومن ... متى بخمار بات متصل السكر

وذا عن رسول الله جاء فلذ به ... ولا تسع فى تقويض ايمانك النضر

ودع عنك زلزال الغواية انه ... يؤول باخلاق الشعوب الى الكسر

أوامر متبوع تبلغ جهرة ... بمؤتمر «الحمرا» ـ الى الساد الغر

فيهتز « جمع » معجبا ببشارة ... سرت سريان الروح فى يانع العمر

واهدت لهم عطرا ، وخير تحية ... من الحسن الثاني المظفر بالنصر

فاس ـ الحاج احمد ابن شقرون



بين التأهب والحذر   شدوا الرحال الى القمر
طاروا اليه يحثهم   منه الغموض وما استتر
والمقربات اجنسنا   من كل نفع او ضرر
نبش التراب امدهم   بالصافنات مع الشرر
قدوا الحديد لأجلها   فالصلب منه قد انفطر
لم تثنهم شهب ولا   برق لسيرهم حصر
العقل نسق ما ترى   ان العقول لها خطر !
قالوا : الكواكب نبتغي   كل الكواكب ... لا نذر
هذا الفضاء مجالنا   أين القناعة بالقمر ؟!

— ❋ —

والآن ها هو ذا خبر   من شاعر شجي الوتر !
من عشقه طال ليله   فارتد يأنس بالقمر !
ان هل يبشر باللقا   والبعد ان وافى الكبر !
كان الضياء براءة ،   يذكي الفؤاد اذا ظهر
طهرا بوجه حبيبة   في جفنها سكن الخفر
والمحو ، في جنباته ،   حزن له ملس الوبر
والنجم يغمز بالرضا   ممن لها عرش القمر

— ❋ —

والآن ، لا تبك شاعري ! … اذ حط غاز على القمر

ان كان للقلب خفقة … فالعلم ما به من ضرر

حسب العلوم واهلها … بعض العدالة فى البشر

فى الارض جهل ضارب … والناس تنزل فى القمر

الارض ضعف جهنم … والارض لفمها الخطر

الارض ضاق فسيحها … عن ذي البصيرة والبصر !

فاس ــ عبد الحق حموش



لا شك ان الاسرة المغربية خاصة ، والاسرة العربية ــ الاسلامية عامة ، والاسرة البشرية بصفة أعم ، تستحق من الباحثين الاجتماعيين كل عناية واهتمام . ولعل هذا هو ما حدا بالدول والشعوب الحديثة من ناحية وسائرة فى طريق النمو ، الى الاعتناء بهذا الموضوع ، وبحثه فى مختلف المناسبات ، وعلى مختلف المستويات ، ودعاها فى الوقت ذاته الى عقد المؤتمرات من أجله بين الفينة والاخرى .

وغير خاف ان كلا الامرين (الاهتمام بالاسرة، والتشاور من اجل الصالح العام) لم يكونا يوما ما بالشيء الجديد على الحياة العربية أولا ، والحياة الاسلامية بعد ذلك . فعقد المؤتمرات والمشاورات فى مختلف الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، هو من صميم الحياة العربية والاسلامية ، وشارة من اهم شارات الديمقراطية العربية منذ اقدم العصور . فزيادة على ما نعلمه جميعا عن طريق القرآن الكريم (سورة النمل الآيات 20 ــ 44) مما قامت به ملكة مملكة سبا العربية (950 ــ115 ق . م) حينما جاءها كتاب سليمان عليه السلام ؛ اشير هنا الى واقعة احدث عهدا من تلك ، وقعت فى عهد النبي محمد عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة ؛ ويمكن ان نسميها اول مؤتمر نسوي اسلامي ، او اول اضراب قامت به نسوة النبي صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته الاجلة رضوان الله عليهم .

ذات يوم تاخر الرسول عن الصلاة ، ولم يخرج لها فى وقتها ، وتساءل المسلمون عن سبب تأخره ، فما كان من ابي بكر رضي الله عنه الا ان اقبل يتحرى الامر ، ويستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤذن له ، ثم اقبل عمر للتحري ايضا ، فاستاذن فلم يؤذن له . ثم اذن لهما ، فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو ساكت واجم ، فقال عمر : « لاكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك » . فقال عمر : « يا رسول الله ، لو رايت ابنة زيد (امراة عمر) سالتني النفقة آنفا ، فوجأت (لكزت وضربت) عنقها » . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا ناجذه (أقصى ضروسه) وقال : « هن حولي يسالنني النفقة » .

فقام ابو بكر الى عائشة ليضربها ، وقام عمر الى حفصة ليجا عنقها ايضا ، وكلاهما يقول : « تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ! » فقلن : « والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا شيئا ليس عنده » .

(*) عقدت جمعية الطالب المغربية بتطوان فى نهاية الربيع الماضي (17 ــ 6 ــ 1971) ندوة حول الاسرة المغربية ، ودعت كاتب هذه السطور الى الاسهام فى الندوة ، فكان هذا بعضا مما اسهم بـه .

اجل ، كان عند الرسول الاعظم الشيء الكثير ، لكنه لم يكن يملك منه الا الشيء اليسير ، كان له خمس الغنائم الحربية ، وكان له الفيء ، وكان بيت مال المسلمين وخزينة الدولة تحت تصرفه . ومع ذلك كان يؤثر غير اهله على اهله، فكان يعطي اليتامى والفقراء والمساكين وامثالهم ويحرم اهله، ويكتفي معهم بالتمر والماء وخبز الشعير . قالت عائشة رضي الله عنها : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقال عمر رضي الله عنه : « دخلت يوما على رسول الله وهو مضطجع على حصير خشن ، فجلست ، فاذا الحصير قد اثر في جنبه ، واذا عليه ازار ليس عنده غيره ، واذا انا بقبضة من الشعير بمقدار صاع في ناحية من الغرفة ، فابتدرت عيناي بالبكاء . فقال صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يا نبي الله ، وما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك ، وهذا ملبسك عليك ليس عليك غيره ، وهذه خزانتك لا ارى فيها الا هذه القبضة من الشعير ، وذلك كسرى وذلك قيصر يعيشان في الثمار والنعيم والثياب الفاخرة ، وانت نبي الله وصفوته ؟» فاجابه الرسول الكريم قائلا : « يا ابن الخطاب ، اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ »

هذا منتهى الزهد، بل منتهى العظمة في الزهد. الخير موجود وفير ، لكنه مقسوم قسمة ربانية لم ترض عنها زوجات النبي ؛ لانهن — من جهة — طمحن الى تحسين مستوى معيشتهن وهذا شيء طبيعي في النفس البشرية التي تتوق دائما الى ما هو افضل ، ولان النبي (ص) عودهن — من جهة اخرى — على الحرية والتعبير عنها ، ورفع من قيمة المراة في الاسلام الى درجة لم تكن تحلم بها النساء الجاهليات .

كيف امكن حل هذه المشكلة او هذا الاضراب الذي شنته زوجات الرسول عليه السلام ؟ جاء الجواب من الله سريعا شافيا مؤيدا لموقف النبي الكريم اذ انزل عليه آيتي الخيار ، فبدأ النبي (ص) بعائشة وقال لها : اني ذاكر لك امرا ما احب ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك » . قالت (ض) : « ما هو ؟ » فتلا عليها الآيتين 28 — 29 من سورة الاحزاب : «يا أيها النبيء قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن (1) واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما».

وجاء جواب عائشة أسرع من لمح البصر، قالت: « افيك استأمر ابوي ؟ بل اختار الله ورسوله » .

أليس هذا عين ما يحصل الآن من حركات اضراب او اعتصاب مما تستدعيه الحياة الديمقراطية في العصر الحديث ؟ نرجع ان موقف امهات المؤمنين هذا ، تقرر بعد الثمار واجتماع عقد لبحث قضية الزيادة في النفقة ، وان النبي (ص) وصاحبيه (ض) فوجئوا بهذا القرار ، فتصرف كل حسب اجتهاده وعلى طريقته الخاصة ، وبقي النبي العظيم الذي يملك كل شيء ولا يملك شيئا ، ينتظر الارشاد من ربه الاعلى الذي لم يخيب امله فاوحى اليه بما حل المشكلة ، وحل الاضراب في آن واحد ، مع الرضى التام بالنتيجة .

— * —

كانت الاسرة — لا الفرد — هي خلية المجتمع الاولى في العصور والامم البدائية، وفي شبه الجزيرة العربية ايام جاهليتها . وكانت الاسرة العربية الجاهلية هي القبيلة كلها ، ففي هذه القبيلة لم يكن اعتماد الفرد على نفسه كبيرا ، بل كان يعتمد على الاسرة اي القبيلة ، فهذه كانت هي المسؤولة عنه سواء من الناحية القانونية ام من الناحية الاجتماعية، فهي التي تطالب بحقوقه المهضومة، وهي التي تاخذ بثاره ، وهي التي تدافع عن جريمته التي ارتكبها ، وهي التي ترث ممتلكاته بعد وفاته . كل هذا لان البنية الاجتماعية بشبه الجزيرة العربية في العهد الجاهلي كانت تقوم على اساس قرابة الدم ولحمة النسب. حقيقة ان ابناء القبيلة العربية المنحدرين من اصل واحد ، المتحدين اجتماعيا من اجل الدفاع المشترك ، هم مرتبطون فيما بينهم بعبادة مشتركة ،

(1) اعطكن متعة الطلاق وهي بعض الهدايا (من قميص او ازار او ملحفة) التي تاخذها المراة بعد تطليقها .

وبعادات وتقاليد معينة ، ولكنهم اولا وقبل كل شيء كانت توحد بينهم رابطة الدم وصلة القرابة (2) .

— ※ —

ولما جاء الاسلام قام بتحويل جذري في تأليف الاسر ، فجعل رابطة الدم غير ذات اهمية كبيرة ازاء رابطة العقيدة، فالمومنون اخوة ، وهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى. ثم ان المعنى الظاهري لنصرة الظالم الواردة في قولهم : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » اوله الاسلام ففسر نصرة الظالم تفسيرا جديدا هو كفه عن ظلمه .

وقام الاسلام ايضا بتحويل خطير آخر ، حيث رفع من قيمة الفرد ، فبعد ان كان مندمج الشخصية، مغمورا في القبيلة ، برزت شخصيته بعد الاسلام ، وصارت له الحرية الكامنة في العمل والتصرف في ظل القانون ، فالمسلمون كلهم سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على اسود الا بالتقوى . « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » و « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » . ثم ان الاسلام زاد فرفع قيمة الشخص درجة اخرى ، حيث جعله ذا صلة مباشرة مع الله ، لا واسطة بينه وبين ربه . ففي استطاعته ان يصلي ويعبد الله في كل مكان ، وان يدعوه ويناجيه كيف شاء ومتى أراد . وهذا اسمى تعبير عن ثبوت الشخصية والحرية الفردية للمسلمين .

يقول الاستاذ سانتلانا الآنف الذكر (المصدر السابق ص 292) ما يلي :

« الحاجة الى التكاثر دعت المسلمين الى الترابط الجنسي ، وكذلك دعت الى تكوين الاسرة . ومن ثم كانت الرابطة القانونية منبعثة من الزواج . القانون حقيقة اجتماعية : قسم منها يرجع للمجتمع، وقسم آخر للفرد . فالقسم الاول الذى لا يتعلق باهتمامات الفرد الخاصة يدعى حق الله . ومن حقوق الله القواعد المتعلقة بالحرية ، بالرعاية ، بالزواج ، بالنسب ، بالحلال والحرام ، بقانون الجزاء . فهذه الحقوق لا يمكن الاستخفاف بها لانها تختص بالصالح العام او بالنظام العام . اما القسم الآخر فيتعلق بالحياة الخاصة للافراد ويدعى حقوق الانسان .

وانطلاقا من الحرية كقاعدة أساسية للقانون ، توصل فقهاء الاسلام الى نتيجتين هامتين :

1 ــ الحرية تجد حدها في طبيعتها هي ، لان الحرية غير المحدودة تعني تحطيم النفس ، وذلك الحد هو القاعدة القانونية او القانون .

2 ــ انعدام الحد هو في الواقع استبداد ، ذلك ان القانون شرع للمصلحة العامة أو للخير الاعظم للفرد وللمجتمع على حد سواء . »

هذا هو الاطار العام لصورة الاسرة العربية ــ الاسلامية ومن ضمنها الاسرة المغربية . ولاستكمال هذه الصورة اورد هنا ما جاء متعلقا بالاسرة المغربية في بحث نشرته الجمعية الفرنسية المضادة للرق ونصه :

اولا ــ « الاسرة في المغرب تتألف من الاب ، الام ، الابناء ، الاحفاد ، وبصفة عامة ، من كل اولئك الذين يحملون نفس اللقب ، سواء كانوا يعيشون معا او منفصلين . في البادية توجد حالات يكون فيها رئيس الاسرة : الاب او الجد أو العاصب الاكثر نفوذا .

ثانيا ــ العبيد والمعتقون والخدم ، ولو انهم يعيشون في دار سيدهم ، لا يكونون جزءا من الاسرة، لانهم معتبرون بمثابة اشياء (3) وخاصة العبيد .

ثالثا ــ نظام الرياسة في الاسرة هو اولا الاب، وعند عدمه الابن الاكبر ، وفي حالة ما اذا كان هذا الابن معيبا ، تؤول الرياسة الى الجد للأب .

(2) دافيد سانتلانا استاذ النظم الاسلامية السياسية والدينية بجامعة رومة : في فصل له عن « القانون والمجتمع » حرره بكتاب The legacy of Islam الذى كتبه عدة مستشرقين ونشره الانكليزيان : سير توماس ارنولد والفرد كيوم ، مطبعة جامعة اكسفورد ، الطبعة 10 ، سنة 1968 ، ص 284 .

(3) استعمال هذه الكلمة هنا استعمال ماكر وخال من الجمال الذى نحسه في مثل قول لبيد بن ربيعة :

الا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

رابعا — رئيس الاسرة له الحق المطلق على اقربائه ، ما عدا الحكم عليهم بالاعدام . وفي مقابل هذا الحق المطلق، عليه واجب النفقة، وتلبية حاجيات الجميع ، طبقا لحاله ووسائله المالية .

خامسا — رئيس الاسرة مستقل في داره التي يزاول فيها كل سلطة ، ولكنه في الحياة الاجتماعية هو تابع لرئيس القبيلة .

سادسا — من هذه السلطة يستثنى — كما اشير سابقا — حق الحياة او الموت الذي لا يمكن ان يزاوله لا على زوجته ولا على اولاده ولا على خدمه وعبيده .

سابعا — كذلك لا يستطيع رب الاسرة ان يقدم لا زوجته ولا أولاده في مقابل الديون ، ولا أن يبيعهم، ولا ان يؤجر خدماتهم لشخص ثالث من اجل تادية اشغال معينة . ولكنه يستطيع كل ذلك فيما يتعلق بالعبيد » .

بعد هذا كله نتساءل فيما بيننا عن وجود الاسرة المغربية : فهل توجد هذه الاسرة حقا ؟ جوابنا هنا سيكون بالايجاب والاجماع لا محالة ، لانه اولا وجود الاسرة المغربية لما وجدنا نحن ، ولما امكننا الاجتماع هنا لبحث ظاهراتها الاجتماعية ومشكلاتها . اننا هنا لمناقشة موضوع نظام الاسرة المغربية لا لخلق الاسرة المغربية !

لكن يوجد من يكاد ينكر هذه الحقيقة على المغرب والمغاربة زاعما ان ليس بالمغرب اسر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . يقول ادواردو دي ليون وراموس (4) :

« ان نظام الاسرة المغربية التي يصفها احد الاختصاصيين في مشكلات افريقية بانها أبوية السلطة (5) Patrarcal ، يتضمن مفتاح مبادىء الشريعة الاسلامية المطبقة واقعيا .

« لا شيء يبعد الاسرة المغربية من نظام السلطة الابوية مثل تراكم عدد الافراد الذي ينتجه الزواج في المغرب . ان نظام السلطة الابوية يفترض مسبقا وجود رابطة من العواطف ناشئة من لحمة القرابة الطبيعية ، تحت سلطة رئيس محترم ومحبوب ؛ وهو بدوره يحب ويعتبر اولئك الذين يوجدون تحت امرته . والبطريق بسبب الدم هو الاب ، المعلم ، المدير ، المستشار الذي يمثل قلوب اولاده واقربائه وسائر من بالمنزل ...

« اما الاب المغربي فهو مخالف للبطريق تمام المخالفة ، هو في داره يزاول سلطة استبدادية ، كما لو لم يكن هناك اي قانون سوى ارادته ، او اي حق غير متعته وما يوافق هواه . لا يحب ولا يحب . كل اهتماماته تقتصر على اعطاء الغذاء والكساء — على ندرة ذلك وقلة الاحتياج الى هذا — لاولئك الذين يؤويهم حرم المنزل الذي اسسه .

« ونتيجة لهذا ، يمكن التاكيد بأن المعنى الذي تحمله كلمة الاسرة ، خاصة في اوربا وامريكا ، لا وجود له في المغرب البتة . حيث فيها (اي في الاسرة المغربية) الاب فقط هو الذي له كل الحقوق ، وهو الذي يتمتع بشخصية . ان سلطة الاب التي يزاولها على أولاده القاصرين باسم القانون . هي هناك (اي في المغرب) كما كان الامر في رومة القديمة — تتمثل في الاستبداد والطغيان .

« المسلم ابا كان او زوجا هو رب الاسرة وسيدها المطلق . حينما يدخل الدار يتحرك فيها ببطء وبعظمة مع رزانة ووقار واعتبار شبيه بما يمنح للكاهن الاعظم ! يقف لبضع دقائق ، ودون اية حركة ، وفي صموت تام وسط رعيته ، يسمح بان يقترب منه نساؤه واولاده وان يقبلوا يديه . وبعد هذا ينسحب الجميع الى اطراف المنزل مبرهنين بذلك على الخضوع والاحترام التام . ليس هناك — حينئذ — ما يقال حيال حقوق الاسرة المشار اليها آنفا » .

ثم يدخل المؤلف في تفاصيل تافهة ، فيتحدث عن طريقة تناول رب الاسرة عشاءه المتمثل في « الكسكس » مع لحم الدجاج او الغنم ويقول : « انه يتناول حبات الكسكس واللحم بالاصابع والاظفار، لان القرآن يحرم استعمال السكين (كذا !) ثم يضيف: « قد يتجرأ الولد الذكر فيتناول من قصعة الطعام،

(4) Marruecos : su suelo, su población y su derecho, 2ª edi., Madrid, 1915, p. 109 ss.

(5) رب الاسرة أو البطريق El Patriarca اسم اطلق في التوراة على اشخاص كانوا رؤساء لاسرات موسعة عديدة الافراد .

فيبتسم له ، بينما الفتاة اذا تجرأت على ذلك صدت تماما ، وطردت لتنزوي في ركن من الغرفة ، مشيعة بنظرات الازدراء .

« وحينما » يملأ رب الدار بطنه » كما يقول المثل العربي (كذ !) يرتاح قليلا ليشرب . تأتيه بالماء احدى بناته : أما الذكور فلا يمكن ان يقوموا بمثل هذا العمل . وبعد الانتظار الطويل المشفوع بالخضوع من جانب النساء والاطفال والكلاب ! يعلن كلماته المقدسة : « الآن ، كلوا انتم » ، وفي نفس الوقت يبتعد عن القصعة بعد ان يقذف فيها كل العظام وفضلات اللحم الذي اكل » .

هذا بعض ماقاله هذا الكاتب الذي عاش في المغرب فترة من الزمن حيث مثل بلاده في لجنة التحكيم التي الفت سنة 1910 للنظر في الشكاوي المرفوعة ضد « المخزن » (الحكومة المغربية) ، ثم في الشكاوي الاسبانية ـ الفرنسية سنة 1913 ، وقد نشر كتابه هذا لاول مرة سنة 1910 ثم اعاد طبعه وتوسع فيه سنة 1915 ، اننا لو فكرنا في الرد عليه وعلى امثاله، لاحتجنا الى سنوات ومجلدات، ولكن لنتركه يشهد كتابه على مدى ما يكنه للمغرب والمغاربة من كره وضغينة .

ان الاسرة العربية الكبيرة المتمثلة في القبائل العربية الجاهلية ، والتي تحولت بعد الاسلام الى امة متحدة ومتحدية لامم غيرها ، كانت تعبد غير الواحد الاحد ، هذه الامة التي كانت الموئل الوحيد للعدالة والايمان على وجه الارض مصداقا لقوله تعالى «كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله . »

هذه الاسرة العربية الكبيرة ، تعرضت ـ مثل الاسرة المغربية ـ الى القذف والقدح في أعز مقوماتها من جانب بعض المتعصبين .

نعلم جميعا ان الانساب هي اعز ما يعتز به الفرد العربي ، واهم ما تحافظ عليه الامة العربية . هذه قضية مسلمة لا غبار عليها ، فكل فرد عربي في القبيلة يعتز بنسبه ، وكل قبيلة عربية تحفظ انسابها وتفاخر باجدادها ، وتضع بينها وبين غيرها سياجا حصينا يحول دون اي تدليس او ادعاء . . .
ولكن بعض المستشرقين وفي مقدمتهم روبرتسن سميث في كتابه : النسب والزواج في شبه الجزيرة العربية القديمة

Kinship and Marriage in Early Arabia

يرون ان انساب العرب كلها اكاذيب ، وان نظام الاسرة في الجزيرة العربية كان قائما على نظام الامومة الذي تراسه ام كثيرة الرجال ، ويجهل فيه الاب تماما .

ويرى هؤلاء المخادعون ان اسماء القبائل العربية، ليست اسماء رجال عاشوا حقيقة ، وانما اكثرهم شبيه بما يسمى بالطوطم (6) Totem عند الامم المتوحشة . وقد تصدى للرد على هذه الفكرة الخاطئة العلامة جرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي (ج 3 ص 240 ـ 277) فلا حاجة بنا الى تفنيدها هنا .

وكل ما نود الاشارة اليه في هذا المجال هو ان الاسرة المغربية ـ وهي عربية مسلمة في الصميم ـ اصابها من الترهات والاراجيف ما اصاب الاسرة العربية قبل الاسلام وبعده ، وذلك لاغراض قد تتباين في ملامحها الخارجية ووسائلها ، ولكنها متحدة ـ او متشابهة على الاقل ـ من حيث الجوهر والغايات البعيدة التي ترمي الى تحقيقها .

واري ان الكاتب دي ليون كانت تحدوه في اقواله تلك عوامل يمكن اجمالها في ثلاثة :

أ ـ حقد وحنق دفين كان يكنه لهذا الشعب الذي آواه فترة من الزمان ، وقدم له ـ على عادة الكرم المغربي ـ الحفاوة وحسن الضيافة وحتى الوسام الفاخر ، فاضطلع من ذلك على محاسن كثيرة استحال بعضها في نظره الى مساويء . وان من الناس من يجعل الحبة قبة او يعكس لقضاء حاجة في نفسه ، كما ان منهم من لا ينظر الا بعين السخط ، وهذه لا ترى الا المساويء .

ب ـ خدمة هدف سياسي كان يرمي اصحابه الى التقليل من شان المغرب والمغاربة ، والحط من قيمتهم ، وتشويه سمعتهم ، واظهارهم بمظهر

(6) هذا اصطلاح حديث يرجع تاريخه الى سنة 1881 ، ويعني ان قبيلة متوحشة ما ، نسبت نفسها الى طوطم ما (حيوان او نبات او غيرهما) واتخذته ابا لها يحميها وتحترمه وتقدسه ، فان كان حيوانا امتنعت عن اكله ، وان كان نباتا امتنع افرادها عن قطعه وهكذا .

المتاخرين المنحطين اجتماعيا ، ليبرروا ما كانوا يروجونه من قيادة مزعومة نحو الحضارة الاوروبية الحديثة، بينما كان هدفهم الحقيقي الاستعمار واستغلال الثروات ، وتمزيق وحدة تراب البلاد . وقد تم لهم ما ارادوا بسبب اتحادهم في تآمرهم ، وصدق تكالبهم من اجل اخضاع هذا البلد الذى ظل امدا طويلا جدا وهو كالصخرة الصلدة امام قرني الوعل.

ج ـ جهل او تجاهل لتاريخ الاسلام ولتاريخ المراة المسلمة وتحررها عبر العصور والاجيال ، فقد رد الاسلام للمراة ـ المغربية والمشرقية على السواء ـ اعتبارها كمخلوقة لها حقوق على المجتمع ، وواجبات تؤديها خدمة للمجتمع ، فلم تعد مخلوقة توأد او تورث أو تحتقر لا لشيء الا لانها انثى ، بل صارت فى ظل الاسلام ، تسهم ايجابيا فى خدمة المجتمع ، والعمل على ترقيته والنهوض به اجتماعيا .

وليس فى مقدورنا استقصاء الامثلة فى هذه العجالة، ولا حتى الاشارة الى نساء بارزات لعبن ادوارا هامة فى تاريخ الامة العربية سواء فى المدينة المنورة او بغداد أو مصر او قرطبة او مراكش او فاس ، وانما حسبنا الاشارة الى مغربية واحدة كان لرجاحة عقلها ودهائها السياسي اثر كبير فى دفع زوجها الى قنة المجد ، ونعني بالمغربية زينب زوجة يوسف بن تاشفين ملك المغرب وامبراطور الاندلس .

تطوان ـ د. عبد الله العمراني

قول بقول .. فنعم

كان محمد بن بشير ولي فارس ، فأتاه شاعر فمدحه فقال : احسنت ، واقبل على كاتبه وقال :اعطه عشرة آلاف درهم ، ففرح الشاعر ، فقال : اراك قد طار بك الفرح بما أمرت لك ، يا غلام اجعله عشرين الفا ، فلما خرج قال الكاتب: جعلت فداك هذا كان يرضيه اليسير فكيف امرت له بهذا المال ، فقال : ويحك وتريد ان تعطيه ذلك انما قال لنا كذبا سرنا ، وقلنا له كذبا سره فما معنى بذل المال ؟ اما قول بقول فنعم ، واما بذل بقول فمحال !



تعمدت ان اقول الزجال ، لان ابن الخطيب من الشخصيات الموسوعية ، كالجاحظ والمعري وابن خلدون ، هؤلاء المفكرون الذين تعددت مناحي حياتهم ، فخاضوا فى فنون متعددة ، وكان يكفي – بالنسبة لغيرهم – ان تقول : جرير ، او البحتري ، او المتنبي ، حتى ينصرف الذهن الى ما اختصوا به وهو الشعر ، وبه عرفوا فى اوساطهم الاجتماعية ، وفى كتب الادب والنقد .

اما ابن الخطيب فقد عرف بالشاعر والكاتب الناثر ، والوشاح ، والمؤرخ ، والناقد ، والمتصوف (1) ونضيف له الى جانب هذه الالقاب لقب : الزجال . فهل يصح هذا اللقب ، وما الدافع لابن الخطيب للقول فى اسلوب الزجل ؟ .

اذا اردنا الاختصاص – طبعا – لا يصح بالنسبة لشخصية كابن الخطيب ان يلقب بالزجال ، اذ انه بالكتابة والشعر والتاريخ الصق واشهر ، ورغم ذلك فقد لقبه احد المعاصرين : بامام الزجل (2) ، وان لم يكن ابن الخطيب يحلم بهذا اللقب ، ذلك انه قد نظم ما نظم فى هذا الباب سبرا للقريحة ، ومشاركة للجمهور فى فنه ، وبلغته التى يجيدها ، وقد كان ابن الخطيب يعلم هذه الحقيقة ، فقد آثر ان يكتب اصدقاؤه الى اهل سلا رسالة بالنثر المرسل ، وذلك لكي يستطيع الشعب السلاوي فهم الغرض من الرسالة التى بعثها اليه السلطان تاشفين ابن ابي الحسن المريني ، قال ابن الخطيب : « ووصل الكتاب المنبيء عن الكائنة ، فاستدعي الناس لسماعه وقريء على المنبر منه ، كتاب مرسل القاطع عادل عن السجع ، اوجب ذلك من اصحابنا المنشئين مكاني من سكنى المدينة وايثاري لهذه الطريقة . » (3)

وكان نفي ابن الخطيب فى المغرب محكا فرض عليه التنازل من برجه العاجي ليتصل بطبقات الناس على اختلاف مستوياتهم ، ولا شك ان لهذا الامتحان اثرا كبيرا فى محاولته القول بلغة يفهمها الناس عامة ، كالنثر المرسل احيانا ، والزجل ، وبعض الظهائر التى كان يوجهها على لسان سلطانه الى الجمهور الغرناطي ، اذ نجد هذه الظهائر بلغة قليلة السجع نسبيا ، اذا ما قورنت برسائله الاخرى للملوك والعلماء (4) .

(1) انظر : روضة التعريف بالحب الشريف – لابن الخطيب .
(2) هو الدكتور محمد عبد الله عنان الذى كتب بحثا فى مجلة العربي العدد (103) يونيو 1967 تحت عنوان : « ابن الخطيب امام الزجل » .
(3) انظر : نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب ج 2 ص 314 . تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي .
(4) قارن مثلا بين الظهير الذى وجهه الغني بالله الى الجمهور من انشاء ابن الخطيب . (نفاضة الجراب الجزء الثالث المخطوط تحت رقم 256 د بالخزانة العامة) ، وبين رسالته الى صديقه ابن خلدون عندما تزوج « هند » المرجع السابق لوحة 167 .

علاوة على اعجاب ابن الخطيب بهذه الطريقة، اذ كان معجبا بابن قزمان، وكانت نفسه تميل الى المداعبات والمساخر، ولا ادل على ذلك من رسالته التي بعث بها الى صديقه ابن خلدون عندما تزوج بكرا من بنات الروم في الاندلس (5)، يضاف الى هذه العوامل التي جعلت ابن الخطيب يلجأ الى الزجل كوسيلة للتعبير، ما يتحلى به ابن الخطيب من حب للتفنن والخوض في جميع المجالات، وليس هذا جديدا عن دارسي ابن الخطيب. فقد عودنا ذلك في الموشحات، اذ عارض موشحة ابراهيم بن سهل الاسرائيلي في موشحته :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى
قلب صب حله عن مكنس

بموشحته الرائعة :

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس

ولنترك ابن الخطيب نفسه يشرح لنا اسباب خوضه في هذه المواضيع فيقول « ونظمت في هذه الايام موشحتين استطردت فيهما الى مدح السلطان تنويعا في الوسائل وسبرا للقريحة » (6).

ولا يفوتنا ان نلاحظ هنا، ان ابن الخطيب كان ماهرا في معارضاته، لدرجة ان قصائده التي يعارض بها غيره، تأتي — في غالب الاحيان — اجود وارقى من القصائد المعارضة. وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان ابن الخطيب يتمتع بموهبة شعرية نادرة جعلته بحق امام النظم والنثر في الملة الاسلامية كما يقول ابن خلدون.

هل هذا الزجل لابن الخطيب حقا ؟

قرات في «نفاضة الجراب» (7) قول ابن الخطيب، وهو يقدم لازجاله بقوله « وصدر عني لهذا العهد من المنظوم في فن الزجل أزجال على طريقة الصوفي المحقق ابي الحسن الششتري » (8).

فتوقفت عند هذا الزجال الصوفي وتشوقت للاطلاع على ديوانه، اذ قلت في نفسي بانه سيكون مفتاحا لفهم ازجال ابن الخطيب، وقد فوجئت وانا أطالع الديوان اذ وجدت هذه القصائد الزجلية، التي سجلها ابن الخطيب لنفسه في نفاضة الجراب، منشورة في ديوان الششتري ومنسوبة اليه، وكم كان اندهاشي كبيرا، فكيف استطيع التوفيق بين ما في هذا الديوان الذي اعتمد صاحبه على ما يقرب من سبعة عشر نسخة (9)، وبين ما في النفاضة ؟

وقد سبقني للاشارة للعلاقة بين ابن الخطيب والششتري الدكتور محمد عبد الله عنان، غير ان الدكتور اشار الى هذه العلاقة من خلال قولة ابن الخطيب السالفة الذكر، ولم يطلع على ديوان الششتري المنشور (10). وعلى كل حال، القضية الآن تطرح امام الدارس عدة تساؤلات :

اولها : هل هذا الزجل لابن الخطيب ام للششترى ؟

وثانيها : واذا كان هذا الزجل لابن الخطيب حقا، فهل معنى ذلك ان ازجالا أخرى له، لا زالت ضائعة في دواوين الزجالين الآخرين ؟

اما بالنسبة للسؤال الثاني فالعذر فيه ظاهر، والوسيلة اليه الآن مستحيلة، ذلك ان الزجل لحد الآن لم يلق الدراسة الكافية من الباحثين، ولان بعض الدواوين لا زالت مفقودة، وبعضها الآخر مخطوط لم ير النور بعد (11).

---

(5) نفس المصدر واللوحة.
(6) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ج 2 ص 167.
(7) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب الجزء الثالث المخطوط لوحة 203.
(8) نفس المصدر واللوحة.
(9) انظر مقدمة ديوان الششتري ص 21.
(10) والدليل على ذلك واضح اذ انه نقل حياة الششتري من بعض كتب التراجم، ولم يشر الى ان هذه الازجال التي ادعى انها لم تر النور من قبل، قد نشرت في ديوان الششتري.
(11) انظر مقدمة : الزجل في الاندلس — للدكتور عبد العزيز الاهواني وكذلك كتاب : تاريخ الادب الاندلسي : عصر الطوائف والمرابطين للدكتور احسان عباس ص 252.

واما السؤال الاول فهو موضوع هذا البحث، وقد عمدت الى طريقتين للاجابة عنه ، لهما غاية واحدة ، وهي اثبات هذه الازجال لابن الخطيب :

الوثائق اولا :

1 ـ المخطوط (12) الذى بين ايدينا صحيح النسبة لابن الخطيب، كما ان الموضع الذي اثبتت فيه هذه الازجال غير مضطرب ولا قلق ، فالشك فيها يؤدي الى الشك فى المخطوط كله .

2 ـ نعمد الى اقرب الناس الى ابن الخطيب وهو معاصره وصديقه ابن خلدون فنقول :

تعرض ابن خلدون للشعر والموشحات والازجال فى مقدمته ، وبعد ان ذكر جماعة من الزجالين قال : « ثم جاء من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب ، امام النظم والنثر فى الملة الاسلامية غير مدافع ، فمن محاسنه فى هذه الطريقة :

امزج الاكواس واملأ لي نجدد
ما خلق المال الا أن يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري منهم :

بين طلوع وبين نزول
اختلطت الغزول

ومضى من لم يكن
وبقي من لم يزول

ومن محاسنه ايضا قوله فى ذلك المعنى :

البعد عنك يا بني
اعظم مصائبي

وحين حصل لي قربك
نسيت اقاربي (13)

فهاتان القصيدتان منسوبتان للششتري فى ديوانه وهما ضمن الازجال الموجودة فى النفاضة .

واذن نستنتج من هذه القولة العابرة لابن خلدون :

اولا ان لابن الخطيب أزجالا اخرى لم يوردها فى النفاضة ، وكانت معروفة لدى معاصريه .

ثانيا ـ وهو المهم ـ ان القصيدتين لابن الخطيب .

بالاضافة الى ان المقري نقل هاتين القصيدتين فى نفح الطيب (14) وأزهار الرياض (15) ، ونسبهما لابن الخطيب دون ان يشير الى اي خطا فى نسبتهما له ، وذلك على الرغم من ان المقري متاخر فى الزمن عن ابن خلدون وابن الخطيب .

3 ـ ختم ابن الخطيب القصيدة الخامسة المشتركة بينه وبين الششتري بقوله :

تم هذا الزجيل
وج والله حسن

سقت لك فيه ذا الاسرار
ولا نطلب ثمن

والى القاضي ندعيك
الفقي ابن الحسن

او الى ابن جزيء ، ان لم اس تدر قدر ، ونسميك فلي (16) .

قال الدكتور علي سامي النشار محقق الديوان :

الفقيه ابو الحسن فى البيت (20) غير معروف ـ ولعله قاضي معاصر للششتري ـ اما ابن جزيء فى البيت (21) قاضي مالكي معروف فى غرناطة وشمال افريقيا (17) .

والحقيقة أن هذين الشخصين قاضيان معاصران لابن الخطيب فأما الاول فهو : القاضي ابو الحسن

(12) اقصد مخطوط نفاضة الجراب ج 3 المخطوط والذي يضم ازجال ابن الخطيب .
(13) انظر مقدمة ابن خلدون : آخر فصل فيها : بعنوان : الموشحات والازجال للاندلس .
(14) ج 7 ص 17 ، تحقيق الدكتور احسان عباس
(15) ج 2 ص 218 .
(16) انظر الجزء الثالث المخطوط من نفاضة الجراب لوحة 209 وانظر ديوان الششتري ص 291 .
(17) انظر ديوان الششتري ص 291

علي بن عبد الله بن الحسن المالقي النباهي ، ويعرف بابن الحسن ، وهو صديقه الذى افتى بحرق كتب ابن الخطيب واتهمه بالزندقة بعد فرار هذا الاخير من غرناطة فى المرة الاخيرة ، مما دعا ابن الخطيب أن يؤلف فيه كتابه : خلع الرسن فى ذم القاضي ابن الحسن » ولقبه فيه بجعسوس (18) .

واما الثاني فهو : ابو جعفر بن جزيء (19) الذى تولى القضاء فى غرناطة بعد عودة الغني بالله الى مملكته بعد سنة 764 هـ .

وواضح انه بغير نسبة القصيدة لابن الخطيب يعيينا البحث فى العثور على هذين الشخصين فى عصر الششتري ، وهذا ما يؤكد نسبة القصيدة لابن الخطيب .

4 ـ اشار ابو العباس احمد بابا التنبكتي « فى نيل الابتهاج » الى طغيان نحل القصائد الزجلية للششتري فقال : « وقد نسج الناس على منواله كثيرا ، فما ابرقوا ولا ارعدوا ، ولا قاموا ولا قعدوا ، الا من قل وندر ، لانهم ان اصابوا علما اخطأوا حالا ، وبالعكس ، وقد نسب اليه كثير مما ليس له ، وجملة ما يوجد من المنسوب اليه نحو سبعين مقطعة » (20) .

5 ـ بحر الشك الزاخر الذي يخيم على الديوان من مقدمته الى نهايته (21) ، وقد تنبه المحقق الى بعض القصائد المشكوك فيها فافردها وحدها ، كما نبه على اختلاط ازجاله بازجال غيره ، غير ان النساخ وكتاب التقييدات والمجاميع لم يكونوا يهتمون بصاحب النص بقدر ما يهتمون بالمعاني التى يحتويها هذا النص ، وغالبا ما كان المسمعون فى الحفلات الدينية ينتقلون من زجل لآخر ، دون فاصلة او تنبيه لصاحب الزجل ، ولا زالت هذه العادة معروفة بين العامة لحد الآن .

وربما اقتنع القاريء من هذه الدلائل الحية الى ان هذه الازجال لابن الخطيب ، واقتنع ايضا بأن ديوان الششتري لا زال مضطرب الترتيب يحتاج الى اكتشاف مخطوطات أخرى تلقي الضوء على ما نسب للششتري من ازجال ليست له .

استنطاق النص ثانيا :

على الرغم من هذه الدلائل التى قدمتها ، فاني اردت ان استنطق النص لعله يضيف للقاريء تأكيدات اخرى تزيل عنه كل شك ، ورغم قلة النصوص المتوفرة لدي من ازجال ابن الخطيب فقد اتضح لي ان هناك فروقا يرجع بعضها للشكل ويرجع البعض الآخر لمضمون النص :

اولا : من حيث الشكل :

1 ـ نلاحظ ان لغة ابن الخطيب أعلى مستوى فى العربية، والكلمات العامية المستعملة فيها كلها اندلسية ، بينما اغلب ازجال الششتري بلغة سهلة بسيطة مفهومة للجمهور ، يقول ابن الخطيب :

من عول على صقل
ولم يلتفت عقل (22)

واتحذق ، اذ ينتلف
فصل بتحقق

ومهما يسر النقطا
تريد أن تكون دارا (23)

يتحرز من الفلطا
ان الحال غرارا

ويمشي على الخطا
ويجعله سيارا

(18) انظر « الكتيبة الكامنة » لابن الخطيب ص 146 .
(19) انظر الاحاطة ج 1 ص 163 . وازهار الرياض 187/3 .
(20) انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 190 .
(21) انظر مقدمة الديوان ص 18 .
(22) نفاضة الجراب الجزء المخطوط لوحة 203 وديوان الششتري ص 225
(23) رسمنا هذه الكلمات حسب نطقها الصوتي اما معانيها فهي على التوالي : النقطة ـ دارة ـ الفاطة ـ غرارة ـ الخطة ـ سيارة .

غد يمتـــــــزج شكـــــــل
وبـــــــطـــــــردو فى ركـــــــل

يتمزق يثبـــــــت كثيـــــــر
رجـــــــل او يـــــــزهـــــــق

ويطلـــــع مع التركيـــــــب
على الـــــــسلوم العالى (24)

ويرجع على الترتيـــــــب
الى المركـــــــز التالـــــــي

ويقول الششتري فى احدى قصائده المشهورة:

شويـــخ من ارض مكنـــاس
وسط الناس يغنـــي (25)

اش علـــي مـــن الـــنـــاس
واش على النـــاس منـــي

اش علـــي يـــا صاحـــب
مـــن جميـــع الخلائـــق

افعـــل الخيـــر تنجـــو
واتبـــع هـــل الحقائـــق

لا تقـــل يا بنـــي كلمـــة
الا ان كـنـــت صـــادق

خذ كلامـــي فى قرطـــاس
واكتبـــو حـــرز عنـــي

اش عليـــا مـــن النـــاس
واش على الناس مني ...

فواضح من النموذجين السابقيـــن ان اشعـــار الششتري لا تدل على مهارة فنية كما هو الحال عند ابن الخطيب ومسألة اللغة هذه عند الششتري تعرض لها القدماء ، بل تعرض لها ابن الخطيب نفســـه ، وذلك ان المقري فى ترجمة الششتري ذكر مقطعا من نونيته المشهورة ثم قال : واشار ابن الخطيـــب « فى الاحاطة » الى انها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان ، وضعف فى العربية ، قال : ومع ذلك فهـــي غريبـــة المنزع .. » (26) .

2 ـ تؤدي بنا مسالة اللغة الى مسالة اخرى متممة لها ، وهي أن ازجال ابن الخطيب غير صالحة للغناء فى الاسواق كما كان يفعل الششتري ، ذلك انها رفيعة المستوى اللغوي ، ولانهـا مركـزة بكثـرة المعاني التى تحتاج الى فهم ، وبعبارة اخرى ينقصها طبع الششتري فى ازجاله . فأما ان الششتري كان يغني بازجاله فى الاسواق فهـذا امر لا يشك فيـه دارس لحياته وحيـاة شيوخـه وتلاميـذه ، يقـول الدكتور علي سامي النشار :

« وقد اعطاه ابن سبعين علما ، وطلب منه ان يتجول فى السوق مغنيا:

بديـت بذكـر الحبيـب
وعيشـــي يطـيـــب

وقد اطاع الششتري شيخه، ومضى يغني فى الاسواق هذا البيت ، ولكن لم يستطع فى اليومين الاوليين ان يضيف شيئا الى مطلع الزجل الذى علمه اياه استاذه ، وفى اليوم الثالث فتح الله عليـه واكمله :

لمـــا دار الـــكـــاس
مـــا بيـــن الجـــلاس

عنهـــم زال البـــاس

سقاهم بكاس الرضـــا
عفـــا اللـــه عما مضى

واستمر الششتري يتجول فى الاسواق ينظم الموشحات والازجال وبيده آلـة موسيقيـة يعـزف عليها » (27) .

ثانيا من حيث المضمون :

1 ـ ابن الخطيب فى ازجاله الصوفية لا يتخذ موضوعا واحدا وحالة واحدة يعبر عنهـا ببسـاطـة

---

(24) لمعرفة هذه المعاني الصوفية انظر: روضة التعريف بالحب الشريف ص 610 .
(25) انظر ديوان الششتري ص 272 .
(26) نفح الطيب ج 2 ص 187 ـ تحقيق الدكتـور احسان عباس
(27) مقدمة ديوان الششتري ص 9 ـ 10 .

الصوفي وطبعه ، وانما يبحث عن حالات صوفية يجمعها فى قصيدة واحدة ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن ابن الخطيب قد اطلع على ثقافات الصوفية ـ وهذا أمر لا شك فيه (28) ـ ثم حاول بشاعريته ومهارته الفنية ان يصوغ هذه الحالات سبرا للقريحة وصقلا لها كما ذكرنا سابقا .

ويمكن للقاريء ان يطلع على قصيدته التى مطلعها :

بين طلوع وبين نزول
اختلطت القزول (29)
ومضى من لم يكن
وبقي من لم يزول

او قصيدته :

البعد عنك يا بني
اكبر مصائبي
وحين حصل لي قربك
سيبت آقاربي (30)

ليتيقن مما نقول .

2 ـ هناك شيء يلفت الانتباه فى ازجال ابن الخطيب وازجال الششتري ، وهو أن ابن الخطيب فى ازجاله الصوفية لا يطلب من المريد ان يدع الدنيا الفانية ، وبعبارة اخرى لا نجد الدعوة الى الفقر والتيه والسياحة فى الارض ضمن ازجال ابن الخطيب ، وهذه السمات من اخص خصائص الششتري (31) وتلاميذه وشيوخه ، بل نجد فقط ـ عند ابن الخطيب ـ حالات صوفية مجردة غير واضحة المذهب .

3 ـ ابن الخطيب فى نهايات ازجاله ـ يتفق مع ابن قزمان فى نهايات ازجاله (32) ، اكثر من اتفاقه مع الششتري ، فعلى الرغم من أن هذه الازجال لا تتعدى ستة قصائد عدا ، فقد ختم ثلاثا منها على لسانه ، اذ يعلن هو للقاريء نهاية الزجل على طريقة ابن قزمان :

يقول فى ختام الاولى (33) :

قد تم الزجل حقا
والوقت مليح مجموع

ويقول فى الثانية (34) :

تم الزجل فاعا
وج كما تري

ويقول فى الثالثة (35) :

تم هذا الزجيل
وج والله حسن

---

(28) لان كتابه : روضة التعريف بالحب الشريف يدل على اطلاع واسع على تاريخ التصوف ومذاهبه.
(29) انظر : نفاضة الجراب الجزء المخطوط لوحة 204 وديوان الششتري ص 216 .
(30) نفاضة الجراب المخطوط لوحة 207 وديوان الششتري ص 99 .
(31) انظر مثلا صفحات الديوان : 58 ـ 64 ـ 68
... اذ يقول فى صفحة 58 :
واجعل الفقر شفيعا لك تفنى　　حبذا الافتقار دينا وملة
(32) يكثر ابن قزمان من هذا ومن ذلك قوله :
هـ مليح ونعشق والكلام فى ذا يطول
أنت يا عبد الله فشانك ذاب تقول
اي زجيل قلت فيك ومليح جا والرسول
انظر الزجل فى الاندلس للدكتور عبد العزيز الاهواني ص 35 .
(33) نفاضة الجراب الجزء الثالث المخطوط لوحة 204 .
(34) نفس المصدر لوحة 208 .
(35) نفس المصدر لوحة 209 .

وهذا فى الوقت الذي لا نجد فى باقي قصائد الششتري الموجودة فى الديوان مثل هذا الختام ، اذ ان الششتري مشغول بحاله ، مشغول بما يعتمل فى نفسه ، لا يهتم بالزجل لذاته بقدر ما يهتم بالتعبير عما تموج به نفسه ، اما ابن الخطيب العالم ، ابن الخطيب الصانع فهو يهتم بذلك كل الاهتمام ، يهتم به لانه يريد ان يسبر قريحته ، ويظهر براعته امام الناس ، ولا تطغى عليه الحالة النفسانية للمتصوف لتشغله عن راي الناس فيه .

الى هنا كان حديثنا عن القصائد التى نسبت للششتري وضمت الى ديوانه ، ولعل القاريء بعد هذا تاكد له انها لابن الخطيب بدون شك ولا ريب .

وهناك قصيدتان اخريان فى الزجل ايضا ، توجدان فى نفاضة الجراب (36) ، ولكنهما لا توجدان فى ديوان الششتري :

اما الاولى فموضوعها التصوف ايضا ، وان كان يطغى عليها التكلف والتلاعب بالفاظ الصوفية ، وهي عبارة عن تجميع لحالات صوفية جاهزة ومنها :

انت معنى العشق
لولاك سلا بشر وهند

انت معنى للمعاني
انت كل انت بد

اين اين بين
اين قبل اين بعد

واما القصيدة الثانية فهي تختلف من حيث موضوعها عما سبقها من ازجال صوفية ، يقول ابن الخطيب فى التقديم لها : « وقلت من الهزل بطريق الرجوع » (37) . اي الرجوع من سلا فى المغرب الى الاندلس وبالذات الى غرناطة حيث ينتظره الغني بالله بعد ان استرجع عرشه ، وهذه القصيدة توضح لنا مرة اخرى ان ابن الخطيب قال الزجل فى مواضيع اخرى غير التصوف ، كما توضح لنا : الفرحة التى غمرت ابن الخطيب اثناء عودته الى الاندلس وهو يدندن فوق راحلته ، موليا ظهره لعهد النفي والتشرد والطواف بين الاولياء والمعاهد المقدسة (38)، وان كان ابن الخطيب فى كتبه النثرية يخفي عنا هذه الفرحة بل يدعي انه قد زهد فى الرياسة ولم يعد يحفل بالجاه والمال (39) ، وقد ابتداها بقوله :

افرحوا وطيبوا ، قد مضى عدو الله ، وانجبر حبيبو .

وهكذا نصل الى النتيجة التى نريدها من هذا البحث ، وهي ان ابن الخطيب زجال ماهر ، وان ازجاله كثيرة متعددة المواضيع ، غير ان اغلبها قد نسب الى غيره من الزجالين المشهورين لان ابن الخطيب قد طغت على شخصه صفات : الكاتب والشاعر والمؤرخ ، وبقي الزجل يمثل جانبا من الجوانب الكثيرة لابن الخطيب ، التى لا يعرفها الا القليلون، وقد تنبه المقري ـ اكبر مغرم بابن الخطيب ـ الى هذا الجانب اذ قال :

« واما موشحاته وازجاله فكثيرة ، وقد انتهت اليه رياسة هذا الفن » . (40)

الدار البيضاء ـ السرغيني بناصر

(36) نفس المصدر اللوحتان : 209 ـ 210 .
(37) نفس المصدر لوحة 209 .
(38) يمكن للقاريء ان يطلع فى نفاضة الجراب على زيارات ابن الخطيب التى قام بها لمراكش وشالة وغيرهما من الاماكن المقدسة ليتاكد من هذا الراي .
(39) انظر مثلا الجزء الثالث من نفاضة الجراب المخطوط لوحة 122 ـ ولوحة 123 .
(40) نفح الطيب ج 7 ص 5 ، تحقيق الدكتور احسان عباس .

في تاريخ المغرب الدبلوماسي

دولة الأدارسة وإمارة الرستميين الكسروية.. العلاقات السياسية الأولى لمملكة فاس

173 هـ - 790 م

للأستاذ عبد الهادي التازي

يجد المواطن المغربي العادي صعوبة في ان يتصور ان فرنسا وبريطانيا مثلا واسما اخرى في شتى جهات العالم ، هي اليوم غير تلك الامم بالامس ... ومرد ذلك الشعور الى ان المغاربة منذ فتحوا عيونهم على كتب تواريخهم وهم يتخيلون بلادهم على ما هي عليه الآن ، ملوكها من داخل البلاد تسلسلوا كابرا عن كابر ، واستطاعت ان تتخطى سائر المراحل وتتغلب على مختلف الصعاب لتحتفظ بشخصيتها وطابعها .

وعبثا كانت المحاولات عبر التاريخ لاذابة هذا الكيان او النيل منه فقد برهنت الايام على انه فعلا كان من القوة والتعالي بمكان لا يرقى اليه ...

واذا كان هناك من شعر اكثر من غيره بهذه المائرة فهي تلك الممالك والامارات التى كانت تتواجده على صلة به او على مقربة منه فهي وحدها التى كانت تقدر صلابة عوده ونفوذ عزمه منذ الايام الاولى من استقلاله عن الخلافة فى المشرق . وكما نسمع اليوم عن السياسة الخارجية لدولة ما من الدول ازاء جهة من الجهات فقد عرفنا عن الادارسة : اول دولة حكمت فى المغرب ، مواقف معينة على الصعيد الافريقي ، وسياسة محددة ازاء الاندلس ، وسلوكا معروفا مع خلفاء بغداد ...

على الصعيد الافريقي :

امتدت دولة الامام ادريس الاول من المحيط الى قلب القطر الجزائري ولم يستثن من كل هذه المساحات سوى امارات بني عصام بسبتة ، وبني صالح بنكور وبني مدرار بسجلماسة ..

وقد تميزت الصلات بين الادارسة من جهة وبين هذه الامارات من جهة اخرى بأنها كانت على ما تقتضيه تقاليد الجوار نظرا لما عرفت به تلك الامارات من تمسك متين بأهداف الشريعة وتحاشيها عن الرغبة فى تسلط بعضها على البعض الآخر .

وعندما أطمأن الامام ادريس على الاحوال فى المغرب الاقصى اخذ يخطط ليجعل منفذا لدولته على المشرق ، ومن هنا اتجه نحو تلمسان حيث بايعه فى رجب (172 — 788 م) عن طواعية واختيار امير تلمسان ابو عبد الله محمد بن خزر بن صولات المغراوي ، الامر الذى كان له أثر قوي فى فصل الشمال الافريقي كله عن الخلافة العباسية منذ هذا التاريخ .

وهنا وجد نفسه وجها لوجه مع دولة الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الفارسي الذى

كان على رأس ثاني امارة استقلت عن بغداد في هـذه الجهة (1) .

ولم يكن يهم الامام ادريـس الاول مـن دولـة الرستميين ان تبسط نفوذها على المنطقة التي كانت تحكم فيها بقدر ما كان يهمه ان يكون هدفها البعيد مما يتفق وهدفه هو ، فقد اصبح بحكم الواقع جارا لها ولابد حينئذ من ان يطمئن على رفقة الطريق .

ولهذا فانـنا لا نستغـرب حديـث المؤرخيـن القدامى عن العلاقات الممتازة التي كانت للادارسة بالكـرويـيـن ، وعن المثاليـة الفذة في حسـن الجوار الامر الذي استدعى تبادل الراي وتبادل الزيارات بين الامارتين الشقيقيتين منذ ايامها الاولى .

ويظهر ان قبيلة زناتة التي كانت تتحكـم في المغرب الاوسط آنئذ لم تجد ما يـبـرر بقاء الدولـة الرستمية مع ظهور الدولة الادريـسـيـة ، ولذلـك نراها تعلن تمردها على تلك ، باسطة يدها لهـذه ، الامر الذي دفع الرستميين الى مواجهة الزناتييـن اصحاب السيادة في البلاد (2) وبخاصة منهم بطنـا مغراوة وبني يفرن بالرغم من الروابط العائلية التـي كانت تشد بعضهم الى البعض الآخر (3) .

لقد أصرت القبيلتان على طلبهما الى الرستميين ان يندمجوا في الادارسة كما الحوا في ضغطهم على الادارسة لكي يشهروا الحرب ضد الرستميين .

وبالرغم من وجود هذا العنصر القوي الى جانب الادارسة فانهم ظلوا متشبثين بعهودهم التي قطعوها للرستميين منذ البداية وظلوا مع ذلك يحاولون حمل انصارهم الزناتيين على تغيير موقفهم لما انه لم يكن هناك مصلحة في مناهضة جيرانهم الذيـن كانـوا يهيمنون على جل المرافق الاقتصاديـة في البـلاد ، وكانوا من ناحية اخرى حاجزا أمينا بين مملكتهم وبين امارة الاغالبة (4) عملاء خصومهم الطبيعيين فكـانـت لهـم بمثابـة ما يسمـى اليـوم بالمنطقـة الفاصلـة (Buffer State) التي تحميهم وتوفر لهم الامن والاستقرار والعمل بمناى عن التهديدات ..

وعندما لحق الامام سليمان باخيه ادريس نزل ببعض جهات تاهرت ، فاذعنت اليه ، بعد مهلك أخيه ادريس الاول ، سائر القبائل البربرية ولكن ايضا من غير ان تمس الصـلات الوثيقـة التي كانت تربـط الادارسة بالرستميين ، وقد ظهر الحفاظ على تلك الوشائج عندما يفع الامام ادريس الثاني وقام بزيارة الى تلمسان اواخر عام 198 هـ (814 م) عاقدا لابن عمه الامام محمد بن سليمان على تلك الجهة ، وبهذه المناسبة نلاحظ ان العاهل الشاب لم يكتف بما كـان والـده يتمسـك به من حفـاظ على علاقاتـه بالرستميين (5) ولكنه حث على ان تدعم تلك العلاقات اكثر من ذي قبل نظرا لما كان يشعر به من اطمئنـان لاولئك الذين كانوا يشاركونه احاسيسه نحو الذين سعوا لاغتيال والده ..

سياسة الادارسة الشرقية :

بالرغم مما لحق الادارسة من ظلم سياسي في مساقط رؤوسهم فانهم عندما التحقـوا بالمغـرب في اعقاب وقعة فخ انصرفوا لاداء رسالتهـم في هـذه

---

(1) كانت دولة الرستميين فارسية في اصلها وادارتها ، اسلامية في قضائها وشريعتهـا ، عربيـة في علومها ، وآدابها ، بربرية في سداها وعصبيتها . ويعتبر الامام عبد الوهاب من اعلم علماء الاباضية في وقته ، له كتاب في الفقه اشتهر باسم « مسائل نفوسة » وكان من دهاة قادة الرستميين ..

(2) كانت زناتة كل شيء في المغرب الاوسط حتى ليعرف بوطن زناتة ومنها كان ايضا مغراوة وجـراوة قوم الكاهنة ...

(3) لا ننسى ان والدة عبد الوهاب بن رستم الذي كان يقوم بمواجهة الزناتيين هي من زناتة من بطن بني يفرن كما ان زوجته كذلك لواتية .

(4) ابتدا ظهور الاغالبة اواسط جمادى الثانية (يونية 800) عندما كتب العهد لابراهيم بن الاغلب من قبل الرشيد بعد استشارة أصحابه ..

(5) ورد في ابن خلدون أن بني رستم حوربوا من لدى جيرانهم من مغراوة وبني يفرن حتى يدخلوا في طاعة الادارسة لما ملكوا تلمسان ..

الجهات وما كان احد ليثق في ان مخطط الامام ادريس كان يقصد الى الاطاحة بدولة بني العباس في بغداد فان امكانياته من جهة ، وتناءى المسافات من جهة ثانية، كل ذلك مما كان يبعد – في نظر الملاحظين – احتمال التفكير في اخذ وشيك بالثار

وعلى العكس من ذلك فان الخليفة هارون الرشيد قلق جدا من وصول الامام ادريس سالما الى بلاد المغرب ، وقد زاد في مشاعره بالخوف ما بلغه من استجابات تلقائية وجماعية لتوجيهات الامام ادريس ولما تكمل خمس سنوات على نجاته ... وكان مما ارعبه دون شك التقرير اليائس الذى وصله من عامله روح بن حاتم امير القيروان ، وكان الخليفة عهد اليه بمقاومة المغرب الادريسي . لكن الذى فتح عينيه على الخطر ما بلغه ايضا من الفضل ابن روح من ان الجيش تمرد عليه عندما اعطاه الامر بمقاتلة ادريس وان الناس في بلاد المغرب يتهيبون النيل من حفدة رسول الله ..! فهنا جمع الخليفة ديوانه وكان الهاجس الاسود الذى اوحى به وزيره جعفر البرمكي: ان لا وسيلة للاستعانة بالجيوش مهما كانت لاخضاع ادريس ، وان الطريق الوحيد للتخلص من الدولة الناشئة هو في ارسال مبعوث يختلط بالامام ليجهز عليه عندما تسنح له الفرصة ...

وهكذا كانت المؤامرة الدنيئة الرخيصة التى نفذها عميل عرفه التاريخ بعد باسم « الشماخ » وظل اسمه يحمل معاني الغدر والقذارة في كل بيت وعلى كل لسان في مغرب البلاد ومشرقها .

ونعتقد انه لولا ذلك التصرف الاهوج من بلاط العباسيين لامكن للايام ان تعمل على تضميد الجروح التى خلفها قمع القائد العسكري محمد بن سليمان (6) ولامكن ان تجد الادارسة في لقاء محتمل مع قادة بغداد ، ولامكن بالتالي ان لا تزداد العلاقات تقدما وتطورا مع خصوم العباسيين في بلاد الشمال الافريقي وفي الاندلس ..

ونريد ان نستنتج من كل هذا ان اصرار مما زاد في دعم العلاقات بين الدولتين المستقلين الخلافة في بغداد على مضايقة العلويين الطالبين كان لادريسية والرستمية ..

على الصعيد الاندلسي :

ولو ان الخلافة في بغداد كانت على جانب من التدبير والتفكير على نحو ما كانت عليه في سمة الملك ، لعرفت كيف تعمل على امتصاص نقمة خصومها وخاصة منهم الموتورين لكنها كانت عاجزة بالفعل عن التفكير في امر من هذا القبيل ولهذا نراها تمعن في الاستفزاز والاثارة .

ومن هذا القبيل بعث الخليفة هارون الرشيد سنة 184 هـ (801) بسفارة هامة الى ايكس لاشابيل للاجتماع بالامبراطور شارلمان ، اختار كبار اعضائها من شخصية مشرقية وشخصية مغربية افريقية من فوساطوم (7) كانت الاولى احد رجال ثقته من اهل فارس ، وكانت الثانية تمثل ابراهيم بن الاغلب امير القيروان ، وقد تلاقيا قبل ان يلتحقا معا ببلاط الامبراطور ...

وقد اجمعت المصادر على ان الهدف من هذه السفارة هي الاستعانة بالامبراطور شارلمان على

(6) احد كبار القادة العسكريين الذين عهد اليهم الخليفة موسى الهادي باخماد مقاومة الطالبيين الذين ظلوا يتمسكون بالاحقية في تولي الامور.

(7) ورد في المصادر القديمة ان هذه الشخصية وردت من (فوساطوم) ، فذهب بعض الى ان القصد مدينة فاس ، وهو صحيح ، ولكن هذا لا يعني ان منطلق البعثة كان من فاس ، ولكنه من القيروان، وانما حشر اسم فاس لانها كانت من الشهرة بحيث ان اسمها يعبر به عن المنطقة كلها على نحو ما نقل عن ابي عبد الله البنا الذى الف كتابه عام 375 حيث حشر اسم فاس – لشهرتها – مع المدن التى تحد تاهرت . وما نزال نسمع الى اليوم تعبيرالاتراك عن بلاد المغرب كلها باسم فاس ... هذا وقد ذكر ان في جملة الاخبار التى حملتها السفارة البغدادية الى الامبراطور عودة اسحاق ترجمان سفارته السابقة ومعه فيل ضخم عرف باسم ابي العباس ! وقد تبعت هذه السفارة سفارة اخرى عام 191 (807) م وهي التى قدم فيها هارون الرشيد للامبراطور ساعة مائية رقيعة ...

خصوم الخليفة الذين يوجدون على حوض المتوسط : الامويين والرستميين والادريسيين (8) ..

لقد كان ذلك التعنت مما حدا بالاندلس الى ان تستنجد بالمغرب وهكذا فكما وردت بالامس وفادة من يوليان على موسى ابن نصير تستنجد ضد رودريكو (9) ارسل الحكم بن هشام بعثة الى الامام ادريس الثاني منذ سنة 188 هـ (804 م) بمناسبة اعتلاء العرش وليفاتحه بأن يكونا يدا واحدة على خصومهم الاغالبة احلاف العباسيين ، وكان مما حدا بالعاهل الشاب الى الرد على هذه السفارة باخرى ... وكان هذا ايضا مما قوى من عزم الامام عبد الوهاب ابن رستم فداهم بشجاعة أبا العباس عبد الله بن ابراهيم الاغلبي وحاصره بطرابلس عام 196 هـ (811 م) .

لكن الطريف في العلاقات الادريسية الكسروية ان نجد الادارسة يوافقون جيرانهم الرستميين في ان يبعثوا بسفارة لهم الى قرطبة عام 207 هـ (822 ــ 823 م) تصل في يوم مشهور محفوظ في التاريخ، لغرض اظهار التضامن ضد الذين كانوا يحاولون التخلص منهم ...

وباسم الامويين حلفاء الرستميين والادارسة راحت بسفارة عام 225 هـ (839 ــ 840) برئاسة يحيى بن حكم البكري (الغزال) (10) من عبد الرحمن الناصر الى امبراطورية بيزنطة (Theophilus) لاثارته ضد الخلافة ، وذلك كرد فعل لما قام به هارون الرشيد من مساعي مع الامبراطور شارلمان (11) .

— * —

وبالرغم من استسلام الرستميين امام المد الفاطمي فان آثار ذلك اللقاء بينهم وبين الادارسة ترك آثارا بعيدة المدى فقد ظلت السياسة المغربية ازاء الاندلس اقرب الى التفاهم والتعاضد منها مع الذين عوضوا الكسرويين وبهذا تفسر استجابة الامير أحمد بن ابراهيم بن محمد بن ادريس لاستنجاد عبد الرحمن الناصر اثر وقعة 327 هـ (938 ــ 939) فيستفتي قاضي الجماعة بفاس ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي عيسى في شأن استنفار المغاربة للعمل الى جانب حلفائهم في الاندلس ...

لقد دشن الادارسة علاقاتهم الخارجية بعقد حسن الجوار بينهم وبين جيرانهم الاولين الرستميين، وان هذا العقد كان فاتحة لنشاط سياسي تناول جنوب القارة الاوربية وتعداه الى الجهات النائية مما كان رصيدا ثمينا لدبلوماسيتنا العريقة الاصيلة .

عبد الهادي التازي

---

(8) تذكر المصادر التي تحدثت عن هذه السفارة انه في صدر ما عرض على الامبراطور التنازل له عن حق حماية الفلسطينيين بالاراضي المقدسة ضمن الخلافة ، في مقابلة مضايقة بني امية بالاندلس الامر الذي قد يفسره احتلال برشلونة من جانب الافرنج اثر هذا التاريخ ، ويفسره كذلك مداهمة طرطوشا من قبل جيش بقيادة لويز ولد شارلمان عام 192 / 808 م .. وكان هذا بعد ان عجزت عدة محاولات كان في اولها التي قام بها والي القيروان العلاء بن مغيث عام 154 هـ ، والتي قام بها سليمان بن يقظان وابنه يوسف عام 160 عندما اجتمعا بشارلمان في مدينة بادربورن (Paderborn) .

(9) ورد يوليان على المغرب ليرفع شكاة بقصة ابنته فلوريندا التي اعتدى عليها ملك الاندلس وقتئذ لذريق (Rodrge) وقد زين له فتح الاندلس فكان أن بعث موسى بن نصير طارق ابن زياد في خامس رجب 92 (28 ابريل 711) .

(10) الغزال بفتح الزاي الغير المشددة .

(11) عرف بلاط الامويين بالاندلس سفارات عديدة كان من اهمها سفارة صاحب القسطنطينية التي وردت في صفر (غشت 949) .

— * —

المصــــادر :

البكري : المغرب في بلاد افريقيا والمغرب .
ابن ابي زرع : روض القرطاس .

ابن خلدون : العبـــر
ابن الخطيب : اعمال الاعلام .
الناصري : الاستقصا .
المقـــري : نفح الطيب ، وازهار الرياض .
نخلة : حضارة الاسلام فى دار السلام .
توفيـق المدنـي : كتـاب الجزائـر .
الجيلانـي : تاريخ الجزائر العـام .
الميلـي : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث.
قدوري : الصلات الدبلوماطيقية بين هــارون الرشيد وشارلمان 1931 .
ابن تاويت : دولة الرستميين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية 1957 .
كايـي : علاقات فرنسا بالمغرب مجلة تطوان 1961 .
مختار العبادي : تاريخ الاندلس لابن الكردبوس صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1966
ع. التـــازي : العلاقات المغربية الايرانية عبر التاريخ ـ مجلة (المغرب) وزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك ـ العدد التاسع مجلة الاخاء الايرانية يناير 1967 .
ع. التـــازي : تاريخ المغرب الدبلوماسي ـ مطبعة المحمدية 1966 .
Rondat : De Charlemagne à Charles de Gaulle - « Le Monde », 8-9 juin 1969.
Kaddache : L'héritage national repensé et intégré (« Le Monde », 24-25 janvier 1971).
El-Hajji : Andalusian Diplomatic Relations withe Western Europe.
Olagüe : Les Arabes n'ont jamais envahi l'Espagne.



للأستاذ محمد أحمد الغربي

– 3 –

في السجلات البحرية التاريخية التي تحفل بها المتاحف والخزائن الخاصة بالمانيا وهولندا وانجلترا، نقرا الشيء الكثير عن الاسطول المغربي في القرن الثاني عشر الميلادي . وحيث ان تلك الوثائق تعزز عادة بالخرائط التوضيحية البحرية ، فنحن نجد خرائط ذلك الوقت وقد اشير الى شمال افريقيا بالدوائر والخطاطيف اشارة الى تمركز الثقل البحري في هذه الجهة ، وتفوق المغاربة على غيرهم من الامم في ميدان بناء الترسانات وسائر انواع المراكب المقاتلة .

غير اننا نبادر الى القول – ما دمنا في صدد تحديد اهمية ومكانة الموحدين في هذا الجانب من جوانب العظمة في تاريخ العالم – بان الاسطول الموحدي لم يوجد من العدم كما كان الشان في الدولة المرابطية ، التي لم تكن تملك حتى ما يمكنها من حصار مدينة مغربية كسبتة ، تلك المدينة التي بقيت اكثر من نصف قرن ممتنعة عنهم ومنشقة عن حكمهم .

فمن الحقائق المؤكدة ان اساطيل المرابطين انتقلت برمتها ، وانتقلت معها احواضها وذخيرتها وبحارتها الى الموحدين اي ان الامر يتعلق باكثر من 120 قطعة بحرية اغلبها من النوع الجبار كالحراقات التي تحمل المجانيق والكور والنفط المشتعل ، والمسطحات التي تشبه من حيث الشكل والوظيفة بوارج الجيب الحديثة ، والطرادات التي تستعمل في الهجوم على الصقالي والابراج وتلاحق مراكب الاعداء ، واخيرا الشواني وهي عبارة عن قلاع ضخمة عائمة فوق سطح الماء .

وقد راينا في حديثنا عن بطولات الاسطول المرابطي ، كيف عرف أبو عبد الله بن ميمون القائد الاعلى وآمر الاسطول بعدم الدخول في الخلاف المرابطي الموحدي بل انتظر حتى انكشف الوضع بينهما عن تغلب الاخيرين ، وثمة انحاز الى صفهم حفاظا على هذه الاداة القوية والهامة التي يقع عليها وحدها واجب مدافعة الدول الاروبية وكبح جماحها .

ولقد حذا بقية رؤساء البحر حذو رئيسهم واطاعوا امره بالتزام الحياد التام ثم انضموا الى الاسرة الحاكمة الجديدة .

وكان من حسن طالع الموحدين انهم تمكنوا في مدة قصيرة من وضع نهاية للمقاومة المضادة في المغرب والشمال الافريقي ، كما كان من حسن طالعهم انهم استطاعوا توحيد كلمة الجيش بعد أن تفرقت تلك الكلمة مدة طويلة بين امراء وشيوخ المرابطين ، وبعد أن كان كل عامل او ثائر يجد كامل السهولة في استمالة بعض القواد واعلان العصيان في مختلف نواحي المغرب ، وكان من حسن طالعهم اخيرا ان البلاد نعمت ، ولامد طويل بالهدوء والاستقرار مما سمح بالتوسع في تنظيم الدولة سياسيا واداريا وتزويدها بالقوة الحربية في البحر والبر .

ويذهب ابن خلدون في مقدمتـه أن العنايـة بالاسطول في عهد الموحدين لم تظهر الا على عهد الامير عبد المؤمن بن علي ، ويظهر ان هذا المؤرخ كان يعني بالعناية شروع الاسطول في ملاحمه المشهـورة التي قفزت به الى الطليعة. والدليل على ذلك ان ابن خلدون يقرر بأن اساطيل المسلمين وصلت في عهد هذا الامير الى ما لم تصل اليه من قبل ولا من بعد ، وذلك من ناحية العدد الذي ناهز 400 قطعة محاربة ولا من ناحية جودة الصناعة واتقان الحيل الهندسية والعلم بالشؤون البحرية .

وفي هذا العهد كانت المدن الواقعة على البحر في المغرب والاندلس والشمال الافريقي تعج بالحركة والنشاط وكمثال على ذلك نورد نصا نقله الناصري عن جذوة الاقتباس وعلق عليه وهو يخص ترسانـة مدينة سلا : « دار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الاساطيل البحريـة والمراكب الجهادية ، يجلب اليهـا العـود من غابـة المعمورة فتصنع هنـاك ثم ترسـل في الوادي وكان ذلك من الامر المهم في دولة الموحدين ، ودار الصناعة بسلا بناها المعلم ابو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج الاشبيلي ، وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الاجرام ورفـع الاثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية

ومن اهم الاحواض البحـرية ، دار الصناعـة بقصر مصمودة وهي مختصـة بالمراكـب المسطحـة الضخمة الصالحة للقتال ولنقل الجنـود في نفـس الوقت . وترسانة سبتة لترميم واصلاح السفـن ، واحواض باديس ووهران وطنجة والمهديـة بتونـس وعنابة .

ولم يكتف الموحدون بتوسيع وترميم الترسانات والموانيء القديمة فحسب بل اسسـوا ربطا واضافوا اليها حيزا بحريا اقاموا عليه دور الصناعة . ونذكر على سبيل المثال مدينة « المهدية » الغربية من مدينة القنيطرة الحالية ، فهذه المدينة التي اسسهـا بنـو يفرن وتخربت على يد البورغواطيين ادرك السلطان يعقوب المنصور اهميتها الكبرى كمفتاح لوادي سبو وطريقا مفتوحا نحو سهل الغرب بل ونحو فاس . فامر ببنائها من جديد وانزل بها قبائـل بني ريـاح المشهورة بقوة شكيمتها ، وكانت ترسانتها مما يجب ان يفخر به تاريخ المغرب من حيث جدة الآلات وبراعة المهندسين وكثرة اليد العاملة . وعلاوة على ذلـك ،

وبالاضافة الى حوض التدريب والاختبار الذي هياه الموحدون بمراكش لتدريب وامتحان البحارة كـانت المهدية الميدان الرئيسي لما يسمى اليوم بالمناورات .

ويبرز في ميدان اهمية الاسطول الموحدي جانب آخر له وزنه وقيمته ، وهو المتعلق بالقيادة وقائـد الاساطيل الذي خلف ابن ميمون هو عبـد الله بـن سليمان الذي كان يجلسه امراء الموحدين الى جانبهم في المجالس الرسمية والاستعراضات ، لما كان يعلقونه من اهمية علـى دوره الخطيـر في مراقبـة العمـل بالاحواض والاشراف على التدريب وقيادة المراكب الجهاديـة .

وفي عهد ابي يعقوب تولى القيادة احمد الصقلي، وهو تونسي الأصل من مواليد مدينة جربـة وقـد اسره الايطاليون في احدى هجوماتهم على ساحـل تونس واخذوه اسيـرا ، وكان من اكفـا البحارة في التاريخ الوسيط حسب شهادات المؤرخين الطليان. وله مواقف عظيمة في محاربـة الاساطيـل العدوة بالبحر الابيض المتوسط وساحل البرتغـال . والى حنكته وقوة شكيمته يرجع الفضل في دفـع خطـر بني غانية الذين ظلوا متشبثين بالدعوة المرابطية اكثر من خمسين سنة ، ومتحصنين في جزر البليار الواقعة بين فرنسا واسبانيا .

وكان هناك نظام خاص للاسطـول في العـهـد الموحدي يختلف قليلا عما كان موجودا من قبل ذلك انه بالاضافة رؤساء المراكب وضباط الفرق والقائد العام الذي يعود اليه امر اصدار الاوامر ، كان يوجد منصب سام ذو صبغة سياسية يحمل صاحبه اسم « المشرف الاكبر » .

وكان المشرف الاكبر يرافق الاسطول ويكـون همزة وصل بينه وبين قادة الجيش الآخرين

ومن اشهر المشرفين العاملين في الفترة التي تؤرخ لها محمد بن ابراهيم بن جامـع الذي صاحب الاسطول الذي استرد مدينة بجاية من يد بني غانية ، وناب عن امير المغرب في قبول استسلام حاميتها . ثم محمد عطوش وابو العلاء ادريس بن يوسـف بن عبد المؤمن على ما ذكره مصدر وحيـد وهو المعجـب لعبد الواحد المراكشي .

وباستقصاء الاحداث العظيمة التي جرت في ابان ولاية الموحدين ، لا نجد ما تشير الى اي انكـار مني به اسطولهم باستثناء معركة بحرية واحدة جرت في

عرض مياه البرتغال، وكانت القوة فيها غير متكافئة، ووقعت عدة خيانات ، مما حمل النصر الى الاعداء ، وأتى السلطان بنفسه على راس قوة جديدة ، ولكن الوقت كان قد فات ، واسطول الاعداء القريب من مراسيه استطاع ان يجمع امره ويسدد ضربته الاخيرة التى كان من بين شهدائها السلطان ابو يعقوب نفسه سنة 598 للهجرة .

ان هذه الانتكاسة لم تكن لتخل من فائدة ، ذلك ان الموحدين حسنوا فيما بعد من اسلوب عملياتهم ، واعادوا تنظيم قواتهم ، وتغيير اماكن تجمعات الاسطول . وقد اتت تلك التغييرات اكلها بسرعة . ففى عهد السلطان عبد المؤمن بن علي وقع تطهير سواحل البحر الابيض المتوسط من اية قوات بحرية معادية ، وافتتحت المهدية عاصمة تونس .

اما المعركة التاريخية الكبرى فانها وقعت بسواحل طرطوشة بين الكاطالونيين وحلفائهم الفرنسيين والايطاليين وقراصنة الجزر الشرقية الخاضعة للصقالبة ، وبين اسطول الموحدين . كان عدد قطع اسطول الاعداء 200 مقابل 80 قطعة مغربية هي اسطول الشرق .

ان التفوق العددي كان تقابله النوعية والتدريب والتصميم .

لقد اثبت اسطولنا وجوده وسجل اروع الانتصارات ، وحقق لنفسه التفوق لمدة طويلة .

سلا ـ محمد احمد الغربي

وعـــد وأوعـــد

قيل : ان وعـد وفـى وان اوعـد استثنـى .

وانـي وان اوعدتـه او وعدتـه لمخلف ايعادي ومنجـز موعـدي

ولابـن الرومـي :

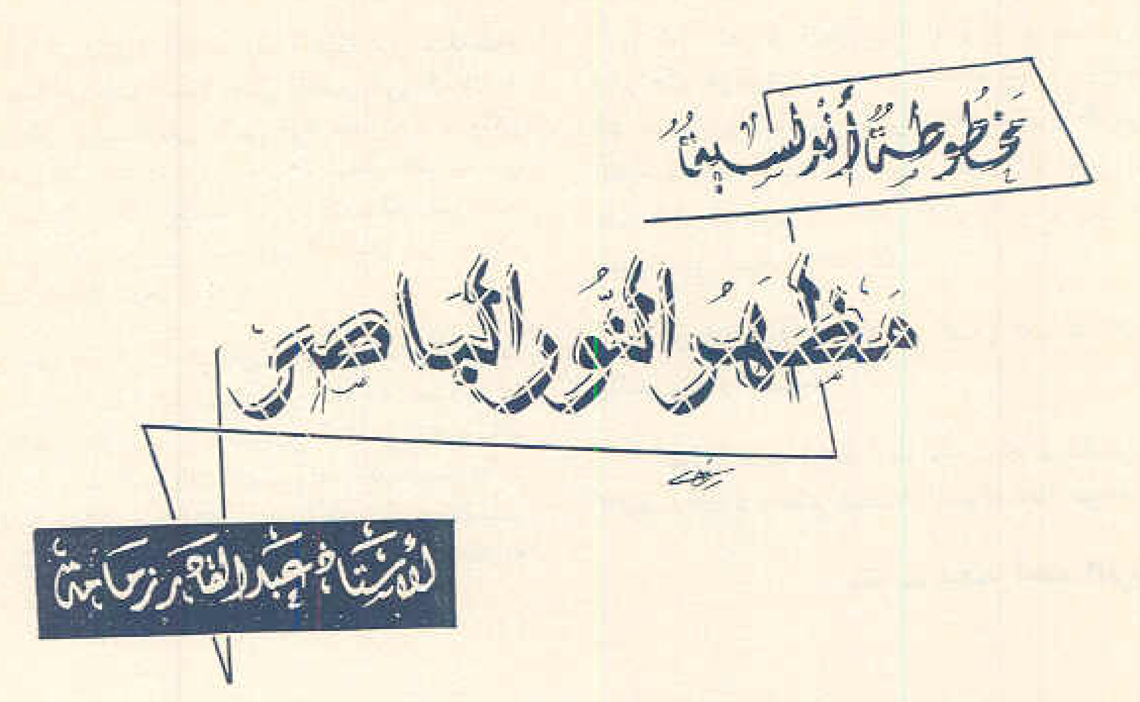
ان خلـف الوعيـد ليس بعـار انما العـار كله خلـف وعـدك

ويقول ابـو تمـام :

قوم اذا وعدوا او اوعدوا غمـروا صدقا ذوائب ما قالوا بما فعـلوا

ويقـول آخـر :

لها كل يوم موعـد غير ناجـز ووعد اذا ما راس حول تصرمـا
فان اوعدت شـرا اتى دون وقته وان وعدت خيـرا اراث واعتمـا



الفصول الاخيرة من تاريخ الاسلام والمسلمين فى الاندلس ، يوم صارت مدينة غرناطة ملجأ البقية الباقية من ابناء الفردوس المفقود .. ما زلنا نتصيد شواردها . ونستطلع اخبارها وقد اشادت يد التبديد التى طوت صفحاتها العالم بما فيه ومن فيه انها حاولت بكل ما ملكته من قوة ، ان تبيد امة ، وتمحو حضارة، وتحرق تراثا ..!

اما الذين مثلوا بمآسيهم هذه الفصول الاخيرة، وتجرعوا غصصها فى اقامتهم مع ذلة ، او نزوحهم الى دار غربة ، فقد حال جريضهم دون القريض ...! ومع ذلك فقد كتبوا ، ونظموا ، والفوا ، ورموا فى كل غمرة من الغمرات ما يرميه الملاح ، عندما تداهمه الامواج ، ويتيقن الهلاك ..! فيكتب اسمه، ونسبه، والوطن الذى ينتمي اليه. ويجعل ذلك فى قارورة زجاجية ويحكم سدها ، ثم يرمي بها فى وجه الامواج العاتية ، لتظل طافية ، تتقاذفها التيارات ، حتى تقع فى يوم ما ، فى يد من قدر له ان يعرف اسم ذلك الغريق ، والوطن الذى ينتمي اليه ..!

وهذا ما فعله ابناء غرناطة المقيمون بها ، والنازحون عنها خلال القرن التاسع الهجري ، والخامس عشر الميلادي ... فقد حملوا مشعل حضارتهم ، وثقافتهم الى اليوم الاخير . ولولا عملية التبديد والتشريد والتحريق لوصلتنا آثارهم ولعرفنا المزيد من اخبارهم ، سواء كانوا من رجال العلم والفكر او من رجال السياسة والحكم ..

ونحن اليوم اذا اطلعنا على خبر فهرسة مخطوطة لعالم اندلسي ، من رجال هذا العصر ، او ما يقرب منه ، اقام بغرناطة او نزح عنها ، الى المشرق ، او المغرب .. او على كتاب الف ، او شعر نظم ، او تاريخ دون .. حددنا النظرات .. وأرهفنا المسامع .. علنا نكتشف سرا ، او نحل لغزا ، او نقتطف علما ، او نجد حلقة مفقودة ، من تاريخ غرناطة ، او تاريخ رجالها فى العلم او الحكم ..! وقد خفي عنا من ذلك شيء كثير .!

وكان من جملة ما لفت النظر منذ مدة اسم مخطوطة اندلسية كانت يوم كتبت ضمن اعلاق ونفائس قصور بني الاحمر فى غرناطة .. فيها شعر احد ملوكهم وهو يوسف بن يوسف المعروف بيوسف الثالث ، الذى حكم من سنة (811 هـ الى سنة 820 هـ) كما ان بها شعر مجموعة من الوزراء والقضاة والعلماء الذين رفعوا شعرهم الى هذا الملك الشاعر.. ايام تربعه على عرش غرناطة ..!

والمخطوطة تحمل هذا الاسم الطويل :

« مظهر النور الباصر ، فى امداح مولانا ابي الحجاج الملك الناصر »

وتحمل رقم 23 ج 2 فى الخزانة العامة بالرباط . وقد كانت ضمن خزانة الكلاوي بمراكش ..!

وكان عنوان المخطوطة يوم اطلعت عليه لاول مرة مغريا الى اقصى حد بالنسبة الي . رغم انني كنت اعلم ان اسم ابي الحجاج يوسف قد تكرر في ملوك بني الاحمر فالمعروف منهم اربعة .. كلهم يحمل اسم ابي الحجاج يوسف ابن الاحمر ..! وربما يكونون في واقع الامر اكثر ..!

فطلبت اذ ذاك المخطوطة وكانت نيتي ان اتصفح هذه « الامداح » لاعرف المقصود بمولانا ابي الحجاج الملك الناصر

ولكنني حينما القيت النظرات الاولى على المخطوطة عدلت عن نية «التصفح» الى نية القراءة والتتبع ، وامعان النظر ، واقتناص ما يمكن اقتناصه من شوارد وأوابد ..! وجلست مع المخطوطة عدة جلسات تخللتها فترات طويلة .. كانت تشغلني فيها الشواغل ، وتصرفني الصوارف .. ولكني لا البث ان أعود اليها .

هذه المخطوطة تحتوي على الجزء الثاني من النور الباصر فقط ، ولا نعلم شيئا عن غير هذا الجزء ..! كما لا نعلم شيئا عن وجود نسخة اخرى لهذا الكتاب ..! ناقصا او كاملا ..!

والمراد بمولانا ابي الحجاج الملك الناصر ، هو يوسف ابن الاحمر الملك الشاعر صاحب (الديوان) وصاحب (البقية والمدرك)

واما جامع هذا الكتاب فهو شخصية غرناطية تنتمي الى اسرة شهيرة وهي اسرة « ابن فركون » وكان متصلا بيوسف ابن الاحمر اتصالا وثيقا وكان شاعرا اديبا ، وكل ما نعرفه عنه هو قوله في هذه المخطوطة :

قال كاتب هذا بامره العلي أبو الحسين بن احمد ابن فركون ..!

اما والد هذا المؤلف ، وهو ابو العباس احمد بن سليمان ابن فركون فهو شخصية معروفة ترجم لها لسان الدين ابن الخطيب في الاحاطة ، وعبر عن نبوغها الفائق بعبارات سامية ... وحشرها في زمرة تلاميذه الذين نالوا رضاه . وآثرهم بالفوائد الجمة ، وسهل لهم اسباب الشهرة والجاه ، والحظوة ، في بلاط غرناطة ، يوم كان الآمر الناهي هناك ..! وارخ ميلاد ابن فركون بسنة 747 هـ (1)

وعاد ابن الخطيب الى ترجمة ابن فركون مرة ثانية في كتابه (الكتيبة الكامنة) فحشره في القائمة السوداء ، وترجم له ترجمة مظلمة (2) . ملاها بكل نقيصة ، وعيب ، وتجريح وكانه كان عند كتابة تلك الترجمة في غيبوبة جنونية ، افقدته التحكم في أعصابه الجامحة ..!

ولم يشف كل ذلك غليل ابن الخطيب بل انه اراد اسقاط اسم ابن فركون من كتاب الاحاطة ، ومحو ما كتبه عنه هناك من عبارات التقدير والتنويه ..!

وقد حدثنا بذلك المقري في نفح الطيب . وقال انه راى بخط الرحالة الوادياشي ، ما يفيد انه راى بخط ابن الخطيب في طرة كتاب الاحاطة ازاء ترجمة ابن فركون ...

« يسقط هذا الساقط من الديوان ..! » (3)

وابو العباس ابن فركون مذكور ايضا في ديوان يوسف ملك غرناطة ، حيث عبر عنه بالشيخ ابي العباس ابن فركون (4) ومذكور في مخطوطة ولده ابي الحسين حيث جاء بشعره في مدح ابي الحجاج الملك الناصر ..! ولا نعلم شيئا عن تاريخ وفاته ..!

وبهذا نكون قد عرفنا عن والد المؤلف ما لم نعرفه عن ابي الحسين . وتظل علامة الاستفهام ملازمة لاسمه الى أن يشاء الله .. وليس هو الوحيد الذي تلازم اسمه عندنا علامة الاستفهام بل ان كثيرا من أسماء شعراء هذه المخطوطة لها نفس الوضع عند الباحثين في التراث الاندلسي ..!

ولنرجع الى المخطوطة بعد ان ودعنا صاحبها والقينا ما في كنانتنا حوله .! من دون أن تظفر بشيء زائد عما في المخطوطة ..!

(1) الاحاطة . ط . دار المعارف المجلد الاول ص 228 .
(2) الكتيبة الكامنة ص 305
(3) نفح الطيب . ط. بيروت ج 7 ص 288
(4) الديوان . ط . تطوان ص 19

تقع المخطوطة في سفر واحد مشتمل على 108 من الاوراق 216 من الصفحات من القطع المتوسط . وقد كتبت بخط اندلسي يحمل سمة الاندلسيين في رسمهم وزخرفتهم وكتابة العناوين بالالوان والحروف الفايطة ..! وليس في اول المخطوطة ولا في آخرها ما يشير الى اسم الكاتب، واكاد اجزم انه خط ابي الحسين ابن فركون نفسه لعدة قرائن تظهر لدارس هذه المخطوطة ..!

وقد قارنت بين خط المخطوطة ، والصورة التي في مقدمة ديوان يوسف ملك غرناطة تبين مخطوطة الديوان وجمال كتابتها .. فتبين لي ان الخط واحد! ..! فاذا كان هذا هو واقع الامر ..! فان ابا الحسين يكون قد كتب بقلمه الديوان كما كتب امداح مخدومه التي تضمها هذه المخطوطة ..!

وبمقارنة الاشعار التي يفتتح بها ابو الحسين ابن فركون ابواب المخطوطة مع شعر ديوان ابن الاحمر يظهر لنا ان عددا من قصائد ديوان ابن الاحمر موجود في المخطوطة ..! بعد هذه العبارات وشبهها ..!

ـ ومما سمحت به فكرته الكريمة . وانعمه العميمة

ـ ومن مقاصده الشريفة ...

ـ ومما شرف به عبده

ويظهر ان ابن فركون كان يكتب هذه المخطوطة في اول عهد يوسف ، وذلك ان تاريخ سنة 811 هـ تكرر في المخطوطة . ولم نجد تاريخا آخر بعده ..!

وهذا التاريخ يفيدنا في معركة حياة الشخصيات الموجودة في هذه المخطوطة ..! حيث انها كانت اذ ذاك حية ترفع امداحها الى يوسف الثالث سنة 811 هـ . ولا يظهر في كلام ابي الحسين ما يدل على وفاتها ...! فهو لا يستعمل اثناء ذكر قصائدها ما يشعر بوفاة اصحابها ..!

وهذه اسماء الشخصيات التي في هذه المخطوطة .. مع حليتها

1) الوزير الرئيس ابو بكر ابن عاصم
2) الشريف احمد الحسني
3) الفقيه الوزير ابو محمد ابن مليح
4) الفقيه الخطيب ابو القاسم ابن سالم
5) القائد المرفع ابو يحيى ابن عاصم
6) الكاتب الابرع ابو عبد الله الشران
7) ابو الحسين ابن فركون **كاتب هذا**
8) الشيخ احمد ابن فركون
9) الفقيه المرفع ابو الحسن ابن هذيل
10) ابو جعفر بن ابي حامد بن الحسن النباهي
11) الشيخ الفقيه ابو عثمان الاليري
12) الفقيه القاضي ابو القاسم ابن حاتم
13) الفقيه العدل ابو جعفر الغريبي
14) ابو زكرياء يحيى بن احمد السراج الرندي
15) الفقيه العدل ابو الحسن الفافقي ..
16) ابو القاسم العرادي
17) ابو عامر بن ابي منصور الحسيني المكي .

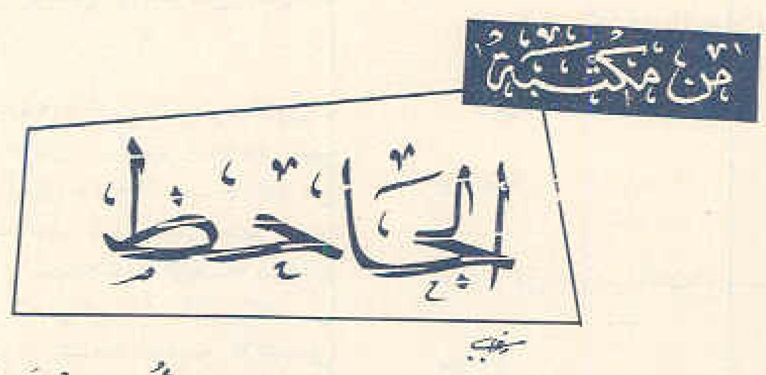
ومن هؤلاء من رفع عدة قصائد وعدة مقطوعات فتكرر ذكره في المخطوطة .

وبعض هؤلاء المذكورين عند ابن فركون تعلم تراجمهم ومصادرها . في حين ان البعض الآخر لا نعرف عنهم الا تلك الاشارات في كتب تاريخية واخرى فقهية او ادبية .. كما يوجد منهم من لا نعرف عنه قليلا ولا كثيرا .. وهذا شأننا مع أهل القرن التاسع قرن الزواحف والروادف ..!

وحيث اننا لا نملك لهذه المخطوطة نسخة اخرى ولم نر من المؤرخين القدامى والمعاصرين من تحدث عنها . ولا من تحدث عن مؤلفها . فان كل الاستنتاجات تظل سابقة لاوانها . غير اننا نعتقد ان كتاب « مظهر النور الباصر » يكون مع ديوان يوسف ابن الاحمر وحدة متكاملة ..! وليس من المستبعد ان يكون ابو الحسين ابن فركون جمع امداح يوسف . كما جمع ـ بأمر مخدومه ـ ديوان شعره ..! لاسيما وقد لاحظنا تشابه بل تماثل خط الديوان وخط « مظهر النور الباصر » .

فاس ـ عبد القادر زمامه





تعليق الأستاذ محمد بن تاويت

بعد تناولنا « آثار الجاحظ » تقديم واشراف عمر ابو النصر ، نتناول هنا « رسائل الجاحظ » تحقيق وشرح عبد السلام هارون كتاب « الوسط البصري وتكوين الجاحظ » لشرل بيلا، ثم « الجاحظ ومجتمع عصره » لجبل جبر

أما رسائل الجاحظ ، وهي سبع عشرة رسالة، فقد نشرها نشرا علميا ، كعادته عبد السلام هارون، بعد ما كان جلها قد نشر نشرات مختلفة ، من حيث التحقيق أو التمام .

وعبد السلام هارون من الذين انكبوا على تراث الجاحظ ، فنشروا له بذلك التحقيق كتاب الحيوان والبيان والتبيين والعثمانية ، وتقمصوا شخصيته التى بدت لنا فى أسلوب التقديم ..

وقد اشرنا فيما سلف الى بعض الرسائل التى توارد عليها النشر فى « آثار الجاحظ » و « رسائل الجاحظ » او اختص بهما احد المجموعين ، ومهما يكن فهذه الرسائل التى تناولها هذا المجموع ، وهي :

1 ـ مناقب الترك
2 ـ المعاش والمعاد
3 ـ كتمان السر وحفظ اللسان
4 ـ فخر السودان على البيضان
5 ـ فى الجد والهزل
6 ـ فى نفي التشبيه
7 ـ كتاب الفتيا
8 ـ الى ابي الفرج بن نجاح الكاتب
9 ـ فصل ما بين العداوة والحسد
10 ـ فى صناعة القواد
11 ـ فى النابتة
12 ـ فى الحجاب
13 ـ مفاخر الجواري والغلمان
14 ـ القيان
15 ـ ذم اخلاق الكتاب
16 ـ البغال
17 ـ فى الحنين الى الاوطان

فالرسائل التى لم ينشر منها شيء فى «آثار الجاحظ» السالفة، هي الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والحادية عشرة والثالثة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة ، بينما وردت فى هذه اخرى لم ترد فى «رسائل الجاحظ» هذه ، كما تقدم ذلك ، فيما نشرنا عنها .

واهم هذه الرسائل على الاطلاق الرسالة الاولى والثالثة والخامسة والسادسة والتاسعة والعاشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة

وفى قراءتنا لهذه الرسائل والتعليق عليها ، استرعى نظرنا ما ياتي :

ان المحقق فى الصفحة 19 من الجزء الاول ، ينص على ان الفتح بن خاقان صاحب الجاحظ غير الفتح الاندلسي ، وهذا الذى ذكره لا يحتاج اليه من هو فى مستوى قراء الجاحظ ، اذ ليس منهم من يلتبس عليه شخص بآخر يفصله عنه اربعة قرون تقريبا ، بله الفواصل الجغرافية ، التى تفصل الاندلس عن العراق ، وما لقب الفتح الاندلسي بالفتح الشرقي الا لما كانا عليه من « تشابه خلقي »..

وانه فى الصفحة 152 يعلق على الابيات :

اني امرؤ مني الحياء الذى ترى
انوء باخلاق قليل خداعها

واخي رجالا لست اطلع بعضهم
على سر بعض غير اني جماعها

يظلون شتى فى البلاد وسرهم
الى صخرة أعيا الرجال انصداعها

بانها واردة فى الحماسة لابي تمام وغيرها ، مع أن الوارد فى الحماسة ، هكذا :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم
على سر بعض ،،، ،،، ،،،

لكل امرىء شعب من القلب فارغ
وموضع نجوى لا يرام اطلاعها

يظلون شتى ،،، ،،، ،،،
و ،،، ،،، ،،،

وفى الامالي :

وفتيان ،،، ،،،
،،، ،،، كان عندي جماعها

الى آخر الابيات كما هي فى الحماسة

وفى الحيوان :

واني امرؤ مني الحياء الذى ترى
اعيش باخلاق قليل خداعها

الى آخر الابيات المثبتة فى « الرسائل »

وفى الكامل للمبرد :

وفتيان ،،، ،،،
،،، ،،، ،،،

يظلون فى الارض الفضاء وسرهم
،،، ،،، ،،،

لكل امرىء ،،، ،،،
،،، ،،، ،،،

فليس فى هذا الا اختلاف طفيف مع ما فى الحماسة والنوادر ، مع تقديم البيت الثالث على الثاني

هذه فروق كان لابد للمحقق من ذكرها ، وقد اشار الى مراجعها ، التى ذكرنا بعضها ، وبقي منها عيون الاخبار وامالي المرتضى ، وهي ليست الآن بايدينا ، وربما يكون فيها خلاف ايضا ، لما هو مثبت فى «الرسائل» وفات المحقق ما فى البيت الاول من كسر للوزن الذى وجدناه مستقيما فى الحيوان الذى حققه المحقق نفسه .

وانه فى الصفحة 167 علق على «بهرام» الذى ورد ذكره فى قصة صيد ، بانه « اسم لعدة ملوك من الفرس ، اشهرهم بهرام جور ،، » ولو كان على علم بما اشتهر به هذا ، لاقتصر عليه فى التعليق ، فانه كان مشهورا بالصيد ، وفيه يقول عمر الخيام :

آن قصر كه جمشيد در او جام كرفت
ذلك القصر الذى تناول فيه جمشيد جامه

آهو بجه كرد وربه آرام كرفت
ولدت فيه الظبية واطمأن به الثعلب (لسعة ارجائه)

بهرام كه كور ميكرفتي همه عمر
بهرام الذى اعتاد كل عمره ان يصطاد حمار الوحش (كور)

ديدي كه جه كونه كور بهرام كرفت

قد رايت كيف امسك القبر (كور) ببهرام !

وكور في الفارسية ، ترد بمعنى حمار الوحش، واضيف اليه بهرام هذا لاشتهاره بصيده خصوصا ، وترد بمعنى القبر ، وبذلك حصل في الرباعية هذا المحسن البديعي (والكاف تنطق كافا فارسية معقودة ولهذا كتبت في العربية بالجيم ، كما كتبت جناح بالضم)

ونلاحظ في الصفحة 235 وهي من رسالته في الجد والهزل ، ان ابن زيدون نظر الى فقرات منها في رسالته الجدية ، كما نظر اليها ابو جعفر بن عطية في رسالته الاستعطافية ، وهي قوله :

« والله لو كنت ابتلعت مزار بابك وابطلت بمر الباطل ؟ ووردت الفظائع كلها ، ونقضت الشروط باسرها، وافسدت نتاجك، وقتلت كل شطرنجي لك، ورقصت من الدنيا فراهة الخيل ، وجعلت المروج كلها حمى ، وكنت صداق المزادين ، وبرسام الاولاد ، ومسخت جميع الجواري في صورة ابي رملة، ورددت شطاط خلقك الى جعودة ابي حثة ، وكنت اول من سن بيع الرجال في النخاسين ، وفتح باب الظلم لاصحاب المظالم ، وحولت اليك عقل أبي دينار ، وطبعت على بيان مانويه ، واعنت على موت المعتصم، وغضبت لمصرع الافشين ، واستجبت للديك الابيض الافرق ، واحببت صالح بن حنين ، واحوجتك الى حاتم الريش ، وكان ابو الشماخ صدسقي والفارسي من شيعتي ، لكان ما تركبني به سرفا ، ولكنت في هذا العتاب متعديا

وهذه الرسالة كانت موجهة منه الى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات .

ومن هذه الرسالة ايضا ، نستفيد ان الجاحظ لم يكن في احكامه البلاغية يحتفل بالالفاظ دون المعاني ، حتى يعد من اصحاب الالفاظ كما هو معروف عند النقاد قديما وحديثا ، بل انه لا يختلف عن اصحاب المعاني ، فيقول في الصفحة 262 :

« الاسماء في معنى الابدان والمعاني في معنى الارواح ، اللفظ للمعنى بدن والمعنى للفظ روح »

فهذه الكلمة هي التي تجدها تتردد عند الجرجاني وابن شرف وابن رشيق وغيرهم ممن قالوا بالمعاني وجعلوا الالفاظ تبعا لها .

وفي رسالة القيان نجد الجاحظ يعرف الحب والعشق ، وكان في تعريفه هذا ، كما في علمنا ، اول من كتب فيه ، ولا شك ان ابن حزم في طوق الحمامة ، قد استفاد من هذه الرسالة ، كما استفاد من غيرها ، وخصوصا مما نجده للجاحظ في الصفحة 166 وما بعدها من الجزء الثاني لهذه الرسائل « والعشق داء لا يملك دفعه كما لا يستطاع دفع عوارض الادواء ،، هو داء يصيب الروح ويشتمل على الجسم بالمجاورة ، كما ينال الروح الضعف في البطش والوهن في المرء ينهكه ،،، والحب اسم واقع على المعنى الذي رسم به لا تفسير له غيره ،،، الا انه ابتداء العشق ، ثم يتبعه حب الهوى ،، الى آخر هذه الآراء والعبارات التي تجد لها صدى في الطوق .

وبالجملة فان هذه الرسائل ، تطلعنا على جوانب ذات أهمية كبرى من ادب الجاحظ الانشائي بالخصوص

ونعود الى المحقق ، فنجده في التعليق 2 من الصفحة 106 للجزء الثاني والتعليق 4 من الصفحة 243 مكررين كما نجده في التعليق 5 من الصفحة 260 يعلق على « البردخت » بانه « لقب له واسمه علي بن خالد الضبي ، ومن الظاهر انه كان معاصرا لجرير » مع ان الجاحظ نفسه يقول فيما وقع عليه التعليق ، البردخت الشاعر ، واسمه علي بن خالد ، وهو الذي كان هجا جرير بن عطية ، فقال جرير : من هذا الهاجي ؟ قالوا : البردخت ، قال : واي شيء البردخت ؟ قالوا : الفارغ . .

اذن ، فلا معنى لهذا التعليق على هذا الكلام ، ولا محل مطلقا، لقوله « ومن الظاهر انه كان معاصرا لجرير » .

واذا كان المحقق قد بذل جهده المشكور في اخراج هذه الرسائل اخراجا علميا ، فان تصحيفات قليلة لم تنج منها هذه الرسائل ، وخصوصا منها ما يتصل بالشكل او النقط ، وهي على العموم نجدها في الصفحات 184 ، 217 ، 221 ، 224 ، 249 ، 236 ، 254 ، 286 ، 381 من الجزء الاول ، وفي الصفحات 15، 60، 74، 133 ، 224 ، 240 ، 111 ، 193 ، 200 ، 269 ، 272 ، 384 ، 402 ، 403 ، 408 من الجزء الثاني

ونتنقل الى الكتاب الثاني ، وهو كما تقدم ليس من نتاج الجاحظ بل انه لمعاصر حول الجاحظ ، وهو كتاب لشارل بيلا عنونه

Le milieu basrien et la formation de Jahiz

ولا شك ان ترجمة هذا العنوان ، هو « الوسط البصري وتكوين الجاحظ » .

ولا ندري لما اقتصر المعرب « الدكتور ابراهيم الكيلاني » على العنوان « الجاحظ » ، مما جعلنا ونحن نقرا هذا الكتاب مترجما ، نقف وقفات عديدة ، متسائلين : هل هذا داخل في «الجاحظ» ؟ ولكننا وقد انتبهنا الى العنوان الاصلي ، لم نعد نقف تلك الوقفات ، وفهمنا ان هذا الاقتصار قد اخل بمضمون الكتاب . .

وشارل بيلا من افذاذ المستشرقين المعاصرين، ومن المخلصين الامناء لدراساتهم ، وقد اجتمعت به في قرطبة سنة 62 بمناسبة اشتراكنا في مؤتمر الدراسات العربية بها ، فعرفته عن كتب معرفة مكنتني منه تمام التمكين ، بعدما كان موقفي منه موقفا استغربه هو ونال من « غروره » العلمي ،، الا تعرف شرل بيلا ؟ كان قد القى قريبا محاضرة بكلية الآداب ، بعنوان «أصالة الجاحظ » ،، ولم تكن المعرفة تتعدى ذلك كثيرا ،، مما اثار غرور الرجل او غضبه لشخصه ، ثم امتد الكلام عن المغاربة ، فكان منهم ابن البشير ، الذى علق عليه بقوله « انه غير مجاز . . »

لقد كانت في الواقع فرصة اجتمعنا فيها بمستشرقين كبار وصغار، من انجلترا وايطاليا وفرنسا واسبانيا وغيرها من أوربا كما كان الاب قنواتي من مصر وآخرون من تركيا، اذكر منهم رئيس الهلال الاحمر، الذى الح الى ان يصلي ركعات بجامع قرطبة ، وان يلقي محاضرة عامرة عن الاسلام وحضارته بأوربا واسبانيا، وكان موضوع شرل بيلا «اسبانيا المسلمة ومؤلفات المسعودي » . .

نعود الى الكتاب فنجد صاحبه قد استهله بدراسة وافية، عن البصرة في القرنين الاول والثاني، تناول في هذا الفصل الاول تاسيس البصرة وموقعها وتوسيعها بضاحياتها وموقعها بين الشرق والغرب في المواصلات التجارية وغيرها ، ثم سكانها من مختلف الاجناس، وفي الفصل الثاني تعرض للجاحظ بالبصرة ونشاته الاولى واصله وتكوينه الديني والفكري، وفي الفصل الثالث تكلم عن الثقافات التى كانت تعج بها البصرة والشخصيات التى برزت فيها من رجال ونساء ، واهتم بالذات في هذا بالوسط الديني السني وخصص الفصل الرابع بالوسط الادبي الذى توسع فيه توسعا تناول فيه لغة التخاطب والفساد الصوتي والدراسات اللغوية والنحوية وارتقى صعدا الى الكلام على الشعر منذ زمن الخلفاء الراشدين الى زمن العباسيين ، وما كان له من اغراض وما جد عليه في المضمون او الشكل ، والتيارات العديدة التى كانت تتسلط عليه وعلى رجاله ، وهذا الفصل هو امتع الفصول واوفاها دراسة بصفة عامة ، وفي الفصل الخامس نجده يتعرض للوسط السياسي الديني ، وما كان يضطرب فيه من عناصر قبلية وطوائف مذهبية ومعتقدات متطرفة ، وفي الفصل السادس، وهو آخر الفصل ، تعرض الوسط الاجتماعي ، فصنف فيه طبقات المجتمع البصري ، وما كان عليه من حياة اقتصادية عامة او خاصة ، والمستوى الخلقي الذى كان يسود هذا المجتمع بصفة عامة ، الى جانب المستوى الخلقي الخاص عند بعض الطبقات ،،

واخيرا يأتي بخلاصة يحاول فيها ان يبين علاقة هذه الدراسات بشخصية الجاحظ ، وهي علاقة على كل حال ، تنقطع ببعض الاستطراد أحيانا وبالخروج عن النطاق الذى يحيط بالجاحظ احيانا اخرى ، وقد تخرج عنه حتى البصرة ووسطها .

ومهما يكن فان الكتاب يعد من احسن ما انتجه المستشرق الفرنسي ، وهو ما جعل وزارة الثقافة والارشاد القومي للجمهورية العربية المتحدة ، تتولاه بالعناية ، ويتولى ترجمته مديرها في الاقليم الشمالي « الدكتور ابراهيم الكيلاني »

وان كانت لنا من ملاحظات على الكتاب ، فهي فيما يلي :

وفي الصفحة 52 يذكر ان المؤرخ الطبري «يعطينا تفصيلات عن المجموعات القبلية الممثلة في البصرة عند تاسيسها . .»

ولا شك ان كلمة « البصرة » هنا وقعت غلطا موقع « الكوفة » كما هو الواقع وما يفهم من سياق الكلام

وفي الصفحة 93 يذكر ان « يموت » خال ام الجاحظ ، مع ان الجاحظ هو خال ام « يموت »، فهو كما قال المعرب في الصفحة 95 خاله الاكبر ، وهذا « الخال الاكبر » ليس الا ترجمة حرفية للتعبير الاوربي ، فليس في العربية «هذا الخال الاكبر» ولا غيره من افراد الاسرة الذين ينعتون بالاكبر، رجالا ونساء ، كما هو معروف في الانجليزية وغيرها ..

وفي الصفحة 127 يذكر ان المقدسي يؤكد ما اتى بين قوسين «ان هذه القراءة ظلت القراءة الرسمية في الجامع الكبير » ولا شك ان هذا يفهمنا كونه نصا حرفيا من المقدسي ، مع ان الوارد فيه هو .. وحروف يعقوب الحضرمي بالبصرة ، ورايت أبا بكر الجرتكي يؤم بها في الجامع ، ويذكر انها قراءة المشايخ ص 128 .

وفي الصفحة 128 يذكر ان الطبري اسبق من الجاحظ ، في مقدمة المفسرين ، مع ان الطبري توفي بعد الجاحظ بنيف وخمسين سنة

وفي الصفحة 132 وردت هذه العبارة التي لم نفهمها « من المستحيل على أي محدث أو فقيه بصري الادعاء بابوة صحيح كبير .. »

وكذلك لم نفهم في الصفحة 138 قوله « اما السرى بن عبدويه .. فهو على الرغم من طمس اسمه في كتاب الانساب للسمعاني .. رجل مجهول » فهذا « الرغم » لا نجد له مكانا في العبارة المذكورة .

وفي الصفحة 157 نجد عنوانا بعبادة الاولياء ، التي هي كما قال « مظهر من مظاهر تعدد الآلهة ، منذ بداية القرن الرابع »

ونحن لا نرى لهذه اللهجة مكانا الا عند الذين يهاجمون الاضرحة وزيارتها هجوما اصلاحيا فيه المبالغات والتنديد بهؤلاء المنحرفين والا فليس من المسلمين من يومن بتعدد الآلهة ، وهو مومن بوحدانية الله الأحد الصمد

وفي صفحة 160 يقول « وهناك منع آخر اكثر رجحانا .. » فلم نفهم لهذا «المنع» معنى ، ولا تقدمه منع ، فكان هو منعا آخر بالنسبة اليه وكل ما ذكر هو « اقدام علي بن ابي طالب على طرد القصاص من مسجد البصرة » فلعله يعني بالمنع الطرد ، وهو غير واضح .

وفي الصفحة 153 ورد ما يلي « ومن المفيد جدا الوصول الى معرفة عن طريق المصادر الموثوقة ما اذا كان الجاحظ قد وقف في مجال الدراسات وصحة العبارة كما نراها هكذا « ومن المفيد جدا الوصول – عن طريق المصادر الموثوق بها – الى معرفة ما اذا كان الجاحظ ... »

وفي الصفحة 208 يذكر ان ابا مخنف جمع في كتابه « وقعة الجمل » بعض الابيات التي ان لم تكن معاصرة لمعركة الجمل ، فهي تنبيء عن اهداف أنصار السيدة عائشة ، وهي

نحن بنو ضبة اعداء علي
ذاك الذي يعرف قدما بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبي
ما انا عن فضل علي بالعمي

لكنني انعي ابن عفان التقي
ان الولي طالب ثار الولي

هكذا ذكر هذه الابيات لاحد بني ضبة ، وكان الاولى ذكر اخرى بدلها ، وهي متصلة بالفكرة والموضوع اتصالا اوثق ومعبرة تعبيرا أوضح :

انا ابو برزة اذ جد الوهل
خلقت غير زمل ولا وكل

ذا قوة وذا شباب مقتبل
لا جزع اليوم على قرب الأجل

الموت احلى عندنا من العسل
نحن بني ضبة اصحاب الجمل

نحن بنو الموت اذا الموت نزل
ننعي ابن عفان باطراف الأسل

ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وهي من أبيات الحماسة لابي تمام

وفي الصفحة 217 وما بعدها يذكر دالية لحارثة ابن بدر الفداني ، ويعلق عليها في الصفحة 218 بانه « من السهل اكتشاف مثيلاتها في نتاج شعراء الجاهلية امثال عدي بن زيد والاعشى او عنترة »

هذا ما ذكره في هذا الاكتشاف ، وكان عليه ان يذكر بالذات دالية طرفة في معلقته ، التي نظر اليها الشاعر ، وخصوصا بقوله :

وقائلة يا حار هل انت ممسك
عليك من التبذير قلت لها اقصدي

ولا تامريني بالسداد فانني
غير كثير المال غير مخلد

ولا عيب لي الا اصطباحي قهوة
متى يمتزجها الماء في الكأس تزبد

وفي الصفحة 287 وما بعدها يأتي بهمزية السيد الحميري المعروفة بعقيدتها الشيعية ، ويجعلها مفصلة لالحاده ، وكثيرا ما يعبر بكلمة الالحاد عن عقائد التشيع او الخارجية ، كما في الصفحات ، 289 ، 291 ، 295 ، 302 ، وما ادعى احد من الدارسين ان هذا ونحوه « الحاد »

وفي الصفحة 349 يكر ترجمة ابان اللاحقي، وقدة قدم له ذكره بذلك، وخصوصا في الصفحة 252 وما بعدها

وفي الصفحة 351 نجد في نهايتها او اول التي تليها سقطا وقع في الكلام ، وعلق عليه بتعليقين 8 و 9 اذ نجد « وفيها نشأت متيم بعشرين الف درهم فرزق منها عدة اولاد ... »

والقصة هي ان « متيم » اشتراها علي بن هشام احد قواد المامون بعشرين الف درهم ، فرزق منها عدة اولاد ، وفي الاغاني ج 7 ص 29 وما بعدها ط التقدم خبرها بأطول مما ذكرنا ، كما ان « عريب » لها ذكر كبير جدا في الجزء الثامن عشر منه ، ولعل التعليق 8 واقع على ما سقط من ترجمة « عريب » لا « متيم » التي يخصها التعليق 9 كما نظن .

ومما لاحظناه من التصحيف في الكتاب ، ما ورد في الصفحات 145 ، 197 ، 217 ، 221 ، 223 ، 251 ، 260 ، 289 ، 319 ، 325 ، 337 ، 339 ، 356 ، 391

ونختم الكلام عن الكتاب ، بهذه الطريقة التي ذكرت فيها لسلم الخاسر .

لقد اعد قصائد في رثاء اشخاص كانوا ما يزالون على قيد الحياة ، فقيل له ويحك ؟ ما هذا ؟ فقال :

تحدث الحوادث فيطالبوننا بان نقول ، ويستعجلوننا ، ولا يجمل بنا ان نقول غير الجيد ، فنعد لهم هذا .. ولا يفوتنا ان نذكر ان صديقنا الدكتور طه الحاجري ، كان قد اهدانا سنة 1956 فصلة له نشرها بمجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، علق فيها على كتاب شرل بيلا ، في نصه الفرنسي ، فاخذ عليه ، بعض المآخذ القليلة ، اهمها انه ذكر تاريخ حفر القناة بسيحان سنة 180 نقلا عن الطبري ، مع ان هذا ذكر ان الرشيد مر بها في هذه السنة ، والذي حفرها انما هو يحيى بن خالد البرمكي ، وكان هذا قد تولى الوزارة للرشيد عقب خلافته ، اي منذ سنة 170 ، وبذلك يكون ما استنتجه المؤلف في صبى الجاحظ خطأ .

واخيرا ، يأتي الكتاب الثالث ، وهو « الجاحظ ومجتمع عصره » للدكتور جميل صبر ، والكتاب على قلة صفحاته التي هي دون المائة مركز حول ما يمثله الجاحظ في كتاباته لمجتمع عصره ، وقد اعتمد المؤلف على كتابه الحيوان أكثر مما اعتمد على غيره ، كالبخلاء او البيان والتبيين مثلا ، كما اعتمد على كتب اخرى المانية وانجليزية وفرنسية ، وان كان هذا الاعتماد الاخير لا يبدو جليا في كتابه والتعاليق حوله ، ولكن الكتاب له وزنه الخاص ، وهو مما اعتمد عليه شرل بيلا ، فاحال عليه في عدة مناسبات .

وقد جعل الكتاب كما يلي :

توطئة
الجاحظ في حياته وبيئته
آثار الجاحظ
اخلاق الجاحظ ونواياه
ما هو المجتمع الذي وصفه الجاحظ ؟
المجتمع العباسي كما رآه الجاحظ
الحقل الاخلاقي
الحقل الديني السياسي
الفرق الاسلامية
فئات المجتمع
بعض وجوه المجتمع
قيمة شهادة الجاحظ على مجتمع عصره
خاتمة

ومن هذا التصميم يبدو ان شرل بيلا قد اتبعه في بعضه ، وان كانت القضايا فيه ليست بذلك التمحيص الذي عند شرل بيلا مثلا ، ذكر جميل صبر ، ان الجاحظ ترك وطنه الى مصر ، ولعله اعتمد في هذا على ما ذكره السندوبي ولكن لا حجة لهما في ذلك ، والسندوبي نفسه شاك فيه ، حيث ان السيوطي في حسن المحاضرة لم يذكر شيئا عن الجاحظ او مذهبه في مصر .

وكذلك يقع له اضطراب في عرضه لآراء الجاحظ ، بعض الاحيان ، مثلا ، نجده في تكلمه على الترك ومقابلتهم بغيرهم يقول :

للخارجي عيب في مستدبر الحرب وللخراساني عيب في مستقبل الحرب ، فعيب الخراسانية ان لها جولة عند اول الالتقاء ثم تنهزم ، اما الخوارج فان ولوا فلا كر لهم بعد فر ، بينما التركي هو الراعي والسائس والرائض ..»

وظاهر الا علاقة في هذه المقارنة ، بل المقارنة كما هي عند الجاحظ ، حينما يقول : « والتركي ليست له جولة الخراساني واذا ادبر فهو السم الناقع والحتف القاضي ، لانه يصيب بسهمه وهو مدبر ، كما يصيب به وهو مقبل ، ولا يومن وهقه ، وله انتساف الفرس واختطاف الفارس بتلك الركضة »، وبعد كلام طويل يملأ ما يزيد على صفحتين يأتي قوله في مقارنة اخرى « والتركي هو الراعي وهو السائس وهو البيطار وهو الفارس .. » (مناقب الترك)

وفي الصفحة 75 يذكر ان الجاحظ لم يتعرض لبشار او ابان بمدح ، مع انه في البيان والتبيين يذكر ان بشارا من « المطبوعين على الشعر من المولدين، وان ابان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء ، وبشار أطبعهم كلهم » ويردد هذا في عدة مواضع من كتبه ، نكتفي بما ذكرناه عن البيان والتبيين .

وفي الصفحة 73 يذكر ان « العقيقة » هي دعوة على لحم الكبش ، مع انها الشاة التي تذبح عند حلق شعر المولود فيحتفل بذلك ويدعى الناس اليه ، وفيها يذكر ان الجاحظ عد من الممدوح في الدعاء الى الطعام الجفلي ومن المذموم النقرى .. مع ان هذا معروف في الجاهلية ، قبل الجاحظ بقرون ، ففي رائية طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الآداب فينا ينتقر

وفي الصفحة نجده يقول « لم يكن للحياة العائلية الا دور ثانوي » . وهذا صنيع المانى يبدو أن المؤلف كان متاثرا بنحو الالمان ...

تطوان ــ محمد بن تاويت

«الذخيرة السنية.. قسم مطول من روض القرطاس»

في العدد التاسع من مجلة « دعوة الحق » كنا قد نشرنا مقالا بعنوان : « الذخيرة السنية قسم مطول من روض القرطاس » وقد بعثه صاحبه منذ فاتح يناير 1971 ولم نستطع ادراجه في ابانه لان صاحبه لم يذيله باسمه وعنوانه الى ان دفعته أسرة التحرير الى المطبعة لاهميته وقيمته ، وما كاد العدد يصل الى ايدي القراء حتى كتب الينا صاحب المقال الاستاذ السيد محمد العلمي حمدان يقول .. « يأتي سهوت عند تذييل المقال باسم صاحبه .. فكان ان عوض الاسم بعبارة **صاحب الامضاء** ، وتلك لباقة من أسرة التحرير المحترمة ..

وبالمناسبة فاتنا نشير الى أن الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون كان قد نشر بحثا مهما في الموضوع بعنوان« مؤلف الذخيرة السنية هو مؤلف القرطاس » في مجلة تطوان العدد 11 عام 1957 .

وقد اتصلنا بالاستاذ سيدي عبد الله كنون ليبعث الينا بالمقال لادراجه في العدد القادم باذن الله حتى يستفيد القراء من هذا البحث الذي سيكون ذا فائدة تاريخية قيمة ..



ذكرني حديث الاستاذ الدكتور محمد زنيبر في العدد الاخير من «دعوة الحق» الزاهرة عن كتاب «الادب العربي» لاندري ميكيل الذى صدر، اخيرا، فى سلسلة Que sais-je ? بكتاب آخر فى نفس الموضوع كان مؤلفه صديقي الدكتور خوان قرنط قد تلطف، لشهور خلت، فأهداني نسخة منه. واذكر انني قرات كتاب د. قرنط يومذاك فى شيء غير قليل من الاعجاب والاشفاق، واذكر انني ترجمت منه فصلا فى مجلة «الامانة» التى لم تكد تشرع فى اداء اماناتها الدينية والعلمية والادبية حتى اجهزت عليها ظروف قاسية، قاتمة نعرفها، لسابق تجربة، ويعرفها اصحاب «الامانة»، واذكر الى ذلك كله انني كنت فى عدد سابق من «دعوة الحق» قد وعدت القراء بالحديث عن كتاب قرنط، غير ان شواغل اخرى اخذت بخناقي وصرفتني عن ذلك ان لم اقل انستني الوعد الذى اخذته على نفسي، وجاء، اخيرا، مقال الدكتور زنيبر عن كتاب أندري ميكيل ليذكرني ناسيا، فوجدتني اعود الى كتاب قرنط اقرا فيه صفحات واقلب فيه صفحات لاكتب بعد ذلك هذه «الهوامش» الموجزة.

— ❋ —

اريد اولا ان اترجم للقاريء هذه الكلمات التى قدم بها الناشر كتاب د. قرنط. يقول الناشر: (يقدم لنا خوان قرنط، استاذ العربية وآدابها بجامعة برشلونة، فى هذا الكتاب موضوعا اشتهر بتخصصه فيه، ومن ثم فلا شك ان صفحات هذا الكتاب ستظفر بعناية القراء بما فيهم اولئك الذين ليس لهم سابق عهد بالمادة التى يعالجها.

ان المؤلف، فى حيوية ملحوظة، يجمع فى ثنايا كتابه بين البحث التاريخي والدرس النقدي وبين تحليل وصفي يتناول به فى كثير من الدقة والضبط مسائل هذا الادب، يبث فى خلال ذلك هنا وهناك وعلى نحو معجب، باهر، قطعا شعرية، على الخصوص، يترجمها فى عناية قصوى الى الاسبانية.

لقد الف خوان قرنط بعمله هذا مدخلا لهذا الادب الاخاذ، الساحر الذى يثير اهتمامنا به من ناحيتين: اولاهما تتجلى فى اسهامه البارز فى تراث الآداب العالمية، وثانيتهما، وهي اشد مساسا بمشاعرنا، تتمثل فيما يجمع ذلك الادب من صلات قربى بأدبنا نحو الاسبان.)

هذه هي الكلمات التى قدم بها الناشر المؤلف ومؤلفه، وما نظن انها من قبيل تلك الكلمات التى يقدم بها الناشرون، عادة، ما تطبعه دورهم من كتب ومؤلفات ليلفتوا اليها النظر ويثيروا الانتباه، فان الانصاف يقتضينا ان نقول انها كلمات حق تكشف عن حق وتدل عليه، وآية ذلك ان الدكتور قرنط

يعتبر ، اليوم ، احد اعلام الاستشراق ليس فى اسبانيا فحسب ، بل فى المحافل الاستشراقية الدولية ، صحت نفسه على حب العربية وتراثها منذ فكرة مبكرة من حياته ، ولم يزل هذا الحب يلح عليه الحاحا ويدفعها دفعا ، فاذا به لا يدعها حتى يحقق لها ما صبت اليه وتطلعت ، وهكذا امضى الدكتور قرنط سنوات غير قليلة يستشرف آفاق ذلك التراث ، فكرا ولغة وأدبا ، دارسا له ، مدرسا اياه لطلبته فى كلية الفلسفة والآداب بجامعة برشلونة ، وكان من نتائج هذا الاحتكاك المستمر بالتراث العربي ، درسا وتدريسا ، هذا الكتاب الذى سأحدث القراء عنه وغير هذا الكتاب مما الف وحقق وترجم ، وفى طليعة كل ذلك الجهد المبذول تأتي ترجمته للقرآن مع الدراسة المفصلة او « المدخل الواسع » الذى قدم به بين يدي ترجمته ، تأتي شهادة على سعة اطلاع ، ودقة استنتاج وثقب نظر وسداد فهم وسلامة تذوق .

— * —

يقع كتاب « الادب العربي » لقرنط فى نحو مائتين واربع وستين صفحة من الحجم الوسط . اما بالنسبة للذين يجهلون ثراء هذا الادب وغناه فقد يستكثرون ذلك القدر من الصفحات ، فى حين انه قد يبدو فى نظر المختصين غير كاف لدراسة عصر من عصور هذا الادب ان لم نقل للبحث فى علم من اعلامه ، وهم كثير ، يخطئهم العد ، ومع ذلك فمن الحق ان نعترف بأن الطريقة التى عالج بها قرنط دراسة الادب العربي ، تاريخا واعلاما ونماذج ، طريقة ترضي اذواق « الجاهلين » والمختصين ، ففيها ايجاز ويسر فى العرض والتقديم لا يخلان ، وفيها بحث وكشف عن ظروف هذا الادب السياسية والاجتماعية والنفسية وما اليها ، وفيها ، الى ذلك، ما يقفك على الذات المتذوقة للمؤلف ، حين يقيم النصوص ويدلي بالراي فيها وفى اصحابها .

وقد انتهج المؤلف فى كتابه المنهج التقليدي فى تقسيم تاريخ الادب العربي، وهو منهج — كما نعرف — يتخذ من التقلبات السياسية مقاييسه فى تاطير العصور الادبية ، وهكذا يمكن ان نقرا فى كتاب الدكتور قرنط عن الادب الجاهلي وادب العصر الاموي والعصر العباسي الاول والعصر العباسي الثاني وعصر الانحطاط والادب الحديث انطلاقا من مطالع النهضة فى الشعوب العربية الى يوم الناس هذا ، واذن فلسنا نلقي فى تقسيم قرنط للأدب العربي ما نلقيه من جهة عن آندري ميكيل (حيث لم يعتبر فى تقسيمه تاريخ الادب العربي المراحل السياسية فى حياة العرب بقدر ما اعتبر التحولات التى طرات على جوهر الادب وعلى الدور الذى يلعبه فى حياة المجتمع وتاريخه) كما حدثنا د. ازنيبر فى تعليقه على الكتاب .

على ان كتاب د. قرنط يتميز بفصلين ، صدر المؤلف بأحدهما الكتاب وختم بثانيهما الكتاب . اما الاول فهو عبارة عن مدخل ، لا مندوحة منه للقاريء الغربي (الاسباني فى هذه الحالة) الذى الف الكتاب خصيصا له ، يشكل فى جملته وتفصيله دراسة عن طبيعة اللغة التى كتب بها الادب الذى يؤرخ له الكتاب ، وهي لغة شديدة الاختلاف ، كأية لغة سامية اخرى ، عن اللغات الهندو اوربية ومنها اللاتينية التى تعتبر الاسبانية فرعا من فروعها ، ثم تمضي هذه الدراسة فتتناول نشأة الشعر العربي ومميزاته وعروضه ، ثم تبحث فى القصيدة من حيث مبانيها ومضامينها او موضوعاتها ، فاذا فرغت من ذلك وقفت ، غير قليل ، عند ظاهرة التجديد العروضي التى طرات على تلك القصيدة ، متمثلة فى الموشحة والزجل والكان وكان والقوما ، وكنا نحب لو ان المؤلف اسهب قليلا ليلح بظاهرة التجديد العروضي فى الشعر العربي الحديث ، ولكنه لم يفعل ، ونرجو ان يتداركه فى طبعة الكتاب المقبلة .

اما الفصل الذى ختم به الكتاب فقد عنونه : « روابط الادب العربي بالآداب الاسبانية — الادب الخميادي » ، وهو يستهله بقوله : (لقد كان للادب العربي ، طيلة قرون ، تاثير شديد فى الشعوب التى اعتنقت الاسلام ، ومنها الفرس والترك بالدرجة الاولى . اما تلك الشعوب التى لم تنته الى اعتناق الاسلام فقد خضعت ، هي الاخرى ، لتاثير الثقافة الاسلامية . وفى الصفحات السابقة ذكرنا بعض الامثلة على ما نقول دون ان نركز ، بعناية خاصة ، حول ميدان لغوي معين ، على انه ، الآن ، ولكي نختم حديثنا عن هذا الادب ، يبدو انه قد حان الوقت للقيام بعملية جرد وجيزة لما تمخض عنه تعايش العرب المسلمين والاسبان المسيحيين فى حقل الادب .)

وبعد ان يشير المؤلف الى ظاهرتين هامتين فى موضوع التاثير المتبادل بين الادب العربي والآداب

الاسبانية ، تجل كل منهما نقطة الانطلاق فى شقها ، اما اولى الظاهرتين فتتراءى لنا فى شغف الاسبان وانشغالهم بتعلم العربية بعد الفتح العربي لاسبانيا ، وثانيتهما تطالعنا فى اقبال المدجنين والموريسكيين على تعلم الاسبانية بعد سقوط الحكم العربي فى الاندلس . نقول : بعد ان يشير المؤلف الى هاتين الظاهرتين يمضي ليحدد سمات هذا التأثير المتبادل فى مختلف المجالات الادبية من شعر وقصة وما اليهما، ونحن لا نكتشف جديدا فى هذا الفصل ، فمن المعروف ان هذا الموضوع قد شغل المستشرقين واصحاب الدراسات الرومانية والباحثين العرب حينا من الدهر، وبرزت فى ميدانه أسماء مثل خوليان ريبيرا واميليو كارسيا كومث وكوتثاليث بالينسيا ومننديث بيدال ومننديث بلايو ولطفي بن البديع واحمد هيكل وحسين مؤنس ، وانما الجديد فى هذا الفصل جمع ما تشتت من تلك الدراسات وضم ما تفرق منها فى اجمال جامع وايجاز مبين .

اما ما بين المدخل وهذا الفصل الاخير فهي فصول يرسم فيها المؤلف صورا للادب العربي ، منذ نشأته الى عصرنا ، من خلال النماذج الشعرية والنثرية لاعلام هذا الادب والتى يترجمها ـ كما قال الناشر بحق ـ فى عناية قصوى الى الاسبانية ، مما يدل على تمكنه من اللغة التى ينقل عنها وسبره اغوارها ، وهو فى ذلك كله لا يكتفي بالعرض والتقديم ـ كما سلفت الاشارة ـ او بالنقل من المصادر القديمة والحديثة ، بل نراه يتدخل من حين لآخر باحثا ، مناقشا ، مستنتجا ، مبديا الراي .

— * —

وبعد : فان كتاب «الادب العربي» لفرنط ، وكتاب «الادب العربي» لاندري ميكيل، وكتاب «مدخل الى الادب العربي» لغاستوفيات ـ وكلها صدرت فى المدة الاخيرة ـ ولو انها ليست من نوع تلك الكتب التى الفها مستشرقون آخرون فى نفس الموضوع والتى تتسم بالبحث والتدقيق والتفلية ككتاب بروكلمان وكتاب بلاشير ، الا انها ـ عنيت كتب فرنط وميكيل وغاستوفيات ـ تدلنا على ان آيات هذا الادب باقية ، لا تنقضي ، وان روائعه خالدة ، لا تنتهي ، وان الناس ما يزالون وسيظلون ـ الى ما شاء الله ـ يجدون فيه متاعا لا بعد له متاع ، وفائدة لا تعد لها فائدة ، يحملانهم على معاودة بحثه ودرسه والتاليف فيه .

تطوان ـ حسن الوراكلي

جاءوا اباهم عشاء يبكون ..!

قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امراة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكت فقلت : يا ابا امية ما أظنها الا مظلومة ، فقال : يا شعبي ، ان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون .



اذا أبحث لنفسي ، أو وجدتني مدفوعا الى تناول العالم الجليل ، الاستاذ : عبد الله كنون ، فى هذا الكتاب ، فما ذلك ، الا أنني قد كنت اسر على ما يقع تحت يدي من انتاجه ، مروري على اكثر الادباء ، معرفة الاسم ، والمؤلف ، الى أن كان لي من امر الحديث مع هذا الرجل ، فاضطررت الى البحث عنه عن طريق صديقه الباحث : الاستاذ أنور الجندي ، الذى اعارني : « العصف والريحان » وطالبني برد عاريته بعد قليل ...

وقد شاء حظي السعيد ، ان اراجع الاستاذ كنون فى بعض مؤلفاته ، وكثير من مباحثه ، وان كانت لي العتبى ، فى انني طالعته على عجل ، ولمسته لمسا خفيفا ، فى مكتبة تارة ، أو عن صديق تارة اخرى ...

لذلك ، اعترف بأن ما كتبته عن الرجل ، لا يمثل عندي الا جانبا ضئيلا من دراسة ، اريد ان استكملها فى قابل الايام ، عندما يتاح لي ، ان استقريء هذه البلاد ، او اضع دراسة مستوفاة عنها ، فهي اصل اجدادي ، كما قيل لي ، وموضع الاصلاء من بني : « زيان » ..!!

يضم « العصف والريحان » ، أثنين وعشرين بحثا ، هي ام هذا الكتاب ومحتواه ، وان كنت اجزم بأن هناك مباحث اخرى، تنتظر النور، كما رأى غيرها ضياء الحياة فى ظل : « التعاشيب » و « واحة الفكر » و « خل وبقل » و : « كان لها اثرها فى اثراء حياتنا الفكرية ، واخصاب انتاجنا الادبي »

ولا ريب ، فى ان هذه المجموعة الرابعة ، هي ما ارخت الا للادب المغربي ، وتناولت « البيت فى الشعر العربي » ، ونظرات فى الباحث الموسوعي : « أنور الجندي » ، و « بطاقة زيارة » و « المعجم العربي » و « المغرب فى مجمع اللغة العربية » وبحثت فى « علم الجنس » ، وتجلى تقديرها « لمالك بن انس » و « ابن ابي الخصال و « أبي البقاء الرندي » و « ابن الابار » و « ابن سناء الملك » و « ابن خلدون»، غير بقية الابحاث التى عرض لها الاستاذ كنون ، ووفاها حقها من الاستبطان والعرض والتحقيق والموازنة .

والاستاذ كنون فى مناقشته للاستاذ الصحراوي، الذى اخذ عليه كلمة « سوقة » فى الكتاب الذى حققه ، وهو : « ديوان ملك غرناطة » ، انما يتسم بالهدوء، ويستقريء الروايات، ويسوق الادلة شعراء، حتى يستقر فى الاذهان ، ماعنا . هذا الباحث من لفظ « سوقة »، الذى يقابل فى بحثه : « لفظ ملك »، ويأتي بشواهد العروضيين ، وما انشده الخليفة المعتصم عند احتضاره ، وابن بسام ، وحرقة بنت النعمان بن المنذر، بعد ان دل على ان «لبيد والنابغة»، وغير واحد من شعراء العربية الاقدمين ، قد استعملوا هذا اللفظ بمعنى « سوقة » فى اكثر من موضع من تواتر القصيد ...

ولا يالو هذا الباحث الكبير جهدا ، فى الاشادة بمجد بلاده ، فهو عندما يعرض لمساهمة المغرب فى تقدم الثقافة العربية ، يستعرض التاريخ ، ويقلب صفحاته صفحة صفحة ، فيذكر قصة « الصاحب » عندما سمع بكتاب « العقد الفريد » ويتحدث عن الاندلس ، ثم يؤرخ لمكانة المغرب فى الحياة الفكرية العربية ، ومدى اسهامه فى تقدم هذه الحياة ، وذلك حين توحد على يد امراء المسلمين من ملوك المرابطين ، وخلفاء الموحدين ، وسار فى طريقه الى اليوم .

ويذكر المؤلف ، بعض من نبغوا فى هذه البلاد، وكان لهم دور فى توجيه الثقافة العربية ، كالقاضي عياض ، وابن اجروم ، وابن الطيب الفاسي ، والشاعر : ابن حبوس الفاسي ، والجراوي ، ومالك ابن المرحل ، غير المراكشي ، وابن عذارى وابن ابي زرع، وابن القاضي ، والقشتالي ، والافراني ، والزياني ، والناصري ، وابن جعفر الكتاني ، وابن زيدون ، والشريف الادريسي ، صاحب الخريطة الدقيقة للعالم ، عدا العلوم الكونية التى ساهم فيها، والرياضية والطبية التى نبغ فيها كثير من علماء المغرب ، وكان لهم فيها فضل ومشاركة ...

وقد قلب الاستاذ كنون « السليقة عند العرب » واتى بمعانيها الكثار وما كان من المخالفة التى تعدى بها العرب القياس .

لكن الباحث الكبير، لم يهمل فى مساقه كلمات، عدها اصلا وواقعا فى معناها ومبناها ، وبين ان الكلمة التى من هذا القبيل ، يجب ان تاخذ طريقها الى المعجم العربي من غير ما توقف او تلكؤ ، وبخاصة « اذا كانت متوافرة القياس اللغوي ، وجرت على السنة العموم ، بحكم ان واضعها قدر الحاجة الماسة اليها ، فسد بها فراغا كان الجميع يشعر به »

ولا ادل على ما لهذا العالم من جلد وصبر ، حبه الذى لا يماري فيه احد ، البحث ايا كان نوعه، وايا كانت فائدته ...

فا « البنيس » الذى طار فرحا عندما وجد اشارة تدل على معناه فى قول الشيخ « المشرفي » :

وما البنيس الا دن خمر
وبالتحقيق قد وجب انكساره

قد بل ظماه ، وشفى غلته ، وامتع نفسه اللهفى وراء لفظ ، ما اظنه بشافع فى رد ما كان ، او بنافع فيما يكون ، الا انه البحث ، وراحة الضمير ، والشعور بالظفر ، وكذلك كان «الشرجب» بمعنى « النافذة » و « الزابج » بمعنى : «الفسيفساء» والقاشاني ، وغير هذا مما جاء تعقيبا له ، او توضيحا لما ورد على لسان بعض الباحثين فى مؤتمرات المجامع اللغوية ، او سواها من الجلسات والندوات ...

ويكبر الاستاذ كنون ، من شان الاستاذ عباس العقاد ، فى تقديمه كتاب : «التفكير فريضة اسلامية»، لاسيما اذا ظفر بالكتاب هدية من « رائد الفكر العربي الحديث » ، متناسيا انه صنو على طرف آخر من البحث والتحقيق ، لكن التواضع هو الذى ينطقه بان هذا الكتاب : « اتجاه فلسفي ، يحدد نظرة الاسلام الى الحياة والكون ، وما تشاجر حولهما من آراء ومذاهب ، منذ ان وجدت الفلسفة ، وحاول الانسان تفسير غوامض هذا الوجود ..»

ثم يسرد المؤلف ، قصة لقائه بالدكتورة : «بنت الشاطيء» ، وكيف استحيا ان يطلب توقيعها على كتابها : « قيم جديدة للادب العربي »، ثم ما كان من امر تعرفه بها ، واتصاله الذى ابى عليه ، الا ان يقول عن كتابها : « انه محاولة ناجحة لوضع قيم حقيقية للادب العربي » ، ثم ما كان من تمنيه على الدكتورة .. « ان تتوسع فى هذه الدراسة ، وتستمر فيها ، حتى تشمل العالم العربي بجناحيه ، وتصل الى ما بعد العصر العباسي ، من عصور حكم عليها ظلما : بالعقم والضحالة .. »

ولا اراني قمينا بمناقشة الآراء التى جاءت فى الفصول والمباحث التى ذكرتها باديء ذي بدء ، او غيرها من بقية هذه الافاضات ، فليس هذا العالم ، بحاجة الى اشارة مني ، او لفتة اضعه بها على صعيد الادب ، فالرجل ، قد قدم نفسه ، بما الف وبحث ، واخرج من كتب ، تشهد له ، يوم لا ينفع الا هي ، في التجلة والاكبار ...

القاهرة ـــ ابو طالب زيان



صدر عن المطبعة الملكية بالقصر الملكي العامر بالرباط كتاب جديد للاستاذ السيد أحمد مجيد بنجلون بعنوان « حقوق الدفاع » فى 244 صفحة من الحجم المتوسط، فى اخراج جميل ، وورق صقيل والذى شرفه جلالة الملك بمقابلة خاصة قدم له اثناءها نسخة من كتابه هذا .

والكتاب مصدر بتقديم واهداء لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله وتحدث فيه عن القالب القانوني الذى يحفظ كيان الدولة ، وحقوق الفرد ، ويسمح للمواطن المغربي بممارسة نشاطه فى اطار يصون العدالة، ويضرب على أيد كل من سولت له نفسه العبث بما خول الله لغيره من حقوق وما اسدل عليه من نعم .

وان نموذجية جهازنا القضائي تجد فيما سنه المشرع من قواعد متينة فى الجوهر ودقيقة فى الشكل ما يجعلها كفيلة بالجمع على الحق ، وليست الغاية ـ يقول المؤلف ـ من دراستنا ان نحيط بجميع ما حققه قضاؤنا فى ميدان الاجتهاد ، وانما نتمنى ان نستنتج اغلب القواعد التى سنها لحماية حقوق الدفاع لما فيها سواء بالنسبة للافراد أو بالنسبة للجماعات والادارات والمصالح العمومية .

والكتاب من حيث هو ينقسم الى خمسة فصول تسبقها فقرات من الخطاب المولوي فى افتتاح المجلس الاعلى للقضاء سنة 1964 ، والوصية الكبرى لجلالة السلطان الحسن الاول (سنة 1883) و « حديث قدسي » فى الموضوع مع مقدمة للكتاب .

وقد اوضح المؤلف فى مقدمة كتابه ان لفظة الدفاع من المفردات التى اكتسبت عبر التاريخ اهمية فائقة وحملتها الاجيال كل آمالها فى حياة حرة عادلة وكريمة وادارت عليها اغلب المناقشات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وخولها فقهاء القانون ورجال التشريع ميزتها الخاصة وفائدتها العظيمة .

وكلما استعملت تبادرت الى الذهن مباديء سامية وافكار نبيلة كانت النواة الاولى فى انشاء كل مجتمع وتنظيم القضاء ثم تطويره الى الغاية التى يتوخاها .

ولعل اهم تلك المباديء تتمثل فى تنسيق العلاقات بين الافراد وتنظيم اداة الحكم وتركز الامن والنظام، وكبح جماح شهوات الفرد والادارة واحداث

توازن بين حقوق الشخص وواجباته وانشاء عدالة حقـة .

فكلمة الدفاع اذن رمز لكل ما يقاوم به الباطل، وينتصر به الحق وتقام به الموازين واليها يرجع الفضل فى تنظيم المجتمعات على اسس راسخة ومعقولة .

الا اننا لا نريد ان نتكلم عن جميع القواعد التى سنها المشرع او فرضها اجتهاد المحاكم لكون ذلك يتعدى الحدود التى رسمناها لهدفنا ، وهو استنتاج القواعد الاساسية فى الموضوع حتى يتسنى الاطلاع على اتجاه تشريعنا وموقف محاكمنا من هذا الميدان.

دور المغـــرب

وقبل ان نتناول موضوع الكتاب بالعرض والتحليل فاننا نقف قليلا عند قاعدة حق الدفاع لنعرف ان هذه القاعدة ظلت محور نزاع دائم ، ومنار جدال انسان منذ العصور الاولى وهي الآن الهدف الاساسي لكل قانون دولي او محلي ، لانها قد صادفت فى طريقها اشواكا كثيرة وعقبات تردت فيها حتى تجلت منذ زمن قليل كمثال عالمي لحقوق الافراد .

وفى الحقيقة فان القاعدة فى حد ذاتها لم تكن موضوع نزاع واقعي بل كانت مسلمة مبدئيا من طرف جميع الدول وانما كان مدار النزاع حول طرق ووسائل تطبيقها .

وهذا ما تتناوله الفصول التالية التي وزعها المؤلف حسب الترتيب التالي :

الفصل الاول ويتناول نظرة خاطفة على المراحل التى مر بها الدفاع بأروبة ، ولم يقصد منه المؤلف حكاية ما كان عليه النظام القضائي ، وفكرة الحكم بين الناس فى أروبة وانما حدد كيف تطورت الاوضاع القضائية الى ان وصلت الى مرحلتها الحالية .

اما الفصل الثاني فتناول حقوق الدفاع وموقف الاسلام منها ، مرتكزا على القاعدة الكبرى وهي وجوب احترام الطبيعة واستعمال المنطق السليم للوصول الى الحلول المرضية حيث لا فائدة مطلقا فى استعمال القوة ، واليها لجأ الرسول صلى الله عليه وسلم عند منازعة كفار قريش له امتثالا لقوله تعالى: « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم، ونساءنا ونساءكم، وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

ويتناول الفصل الثالث فكرة حقوق الدفاع ووضعيتها فى المغرب الحديث فأوضح الاستاذ بنجلون ان الوسائل قد تطورت مع التقدم الفكري والحضاري ، وتنافس المفكرون فى العالم فى ابراز قواعد تؤدى الى احترام حقوق الدفاع بكيفية صريحة ومحددة لا يبقى معها مجال للحيف او الظلم .

وحاولت كل دولة اثبات قواعدها مرتكزة على طابعها الخاص وتقاليدها المتينة واعرافها الموروثة .

وساهم المغرب بدوره فى هذا المجهود .

ولذلك فلا غرابة اذا وجدنا ان ظهير 17 حجة 1380 (موافق 2 يونيه سنة 1961 المكون للقانون الاساسي للدولة المغربية ينص فى فصوله : 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10 على ان المغاربة متساوون ، لهم نفس الحقوق ، كما عليهم نفس الواجبات .

يجب على الدولة ان تصون كرامتهم وتصون حقهم فى ممارسة الحرية العامة والخاصة .

القضاء حق لكل مغربي .

فيجب على الدولة ان تحمي ممارسة هذا الحق بفصل السلط واستقلال القضاء ولجميع الضمانات الديمقراطية فلا جريمة ولا عقوبة بدون قانون سابق لارتكابها ، وكل العقوبات شخصية .

كذلك ينص الفصل الحادي عشر (11) على انه يجب على الدولة ان تحمي الفرد من الشطط فى استعمال السلطة ، واستغلال النفوذ ، وان تعاقب كل من حاول ان يعبث بالقواعد الاساسية للمملكة

اسس النظام الاجتماعي :

وجاء دستور سنة 1963 ثم دستور سنة 1970 ففرض نفس المقومات فى قالب لا يترك امكانية للتملص من تطبيق بنوده ، وجعل من القضاء سلطة حرة لا يمكن التدخل فى شؤونها لا للسلطة التشريعية، ولا للسلطة التنفيذية ، واصبح القاضي لا يخضع الا لضميره ولا يستند فى احكامه الا على نصوص قانونية ميزتها الاساسية التعميم ، وعدم الرجعية .

ان هذه المقومات اساسية ثابتة ، تؤكد كرامة الانسان ، وتكون اسس نظام اجتماعي مبني على احترام حقوق الفرد .

وهي ملخص عظيم وان كان وجيزا للوسائل المعترف بها للفرد المغربي قصد حمايته وبالمحافظة على حرياته ، تجاه نظام اداري ناقص في بعض الاحيان لتشعب اطاراته ، ومخيف دائما بسبب السلطة المطلقة التي يتميز بها .

والمغرب ككل امة اعتنقت الاسلام ، استفاد عبر التاريخ من اسسه المبنية على الاصل والمحافظة على حقوق المتداعين بصفة عامة وحقوق الدفاع بصفة خاصة ، وكل ما قام به من عمل هو انه اعتزم وجوده كملتقى لحضارات مختلفة ، ورابطة بين الشرق والغرب فاستند على الاسس الاسلامية ، واستنبط منها قواعد افرغها في قالب ملائم للعصر الحاضر ولمتطلباته من دقة في المسطرة ، وتحديد واقعي للكيفية التي يجب على الدفاع ان يمارس بها حقوقه، حتى يصبح في نفس الوقت حرا في تصرفاته مدافعا عن حقه بجميع الوسائل التي يحتاجها لاثبات حقوقه او براءته ، غير مقيد بنظام اداري اجباري ، ولا بشهوات مقصودة ، ولا بارادات ظالمة .

وتختلف القواعد التي سنها المشرع باختلاف المادة التي تهمها ، وسعيا وراء عرض واضح آثرنا ان نميز بين :

ـ القواعد المدنية .

ـ القواعد الادارية .

ـ القواعد الجنائية التي تحفظ حق الدفاع .

ثم يتناول المؤلف بعد ذلك بالدرس القواعد المدنية التي تحفظ حق الدفاع ، والقواعد الادارية ، وحقوق الدفاع تجاه الادارة ، وحقوق الدفاع ازاء المحاكم الادارية ، وفي فصل آخر يتناول القواعد الجنائية ثم هيئة الدفاع ، اما الفصل الذي يليه فيختص بالمواطن والصحافة وهذا الفصل يتناول بالدراسة حق الجواب والقذف ومعناه وشروطه ونتائجه ثم متابعة القذف من طرف الافراد ، وهنا يذكر المؤلف انه من المفيد ان نشير الى حقوق المواطنين تجاه سلطة ترعرعت مع القرن العشرين ، وبلغت من القوة في حياة الدول ما جعلها تعتبر سلطة رابعة ، ونعني بذلك الصحافة .

فليس من فائدة في ذكر الاسباب التي تعطي للصحافة اهميتها ، وتجعل من يهتمون بها ، ويمارسون النشاط بها يتمتعون بامكانيات لا حد لها ، وبوسائل تؤهلهم للتاثير على مجرى الحياة الاجتماعية بصفة تكاد تسمح بالقول بان الصحفي يؤثر مباشرة على الراي العام فيصبح بذلك استاذا يلقي المبادىء، او مغريا يضغط على معتقدات الافراد والجماعات . ومن هنا نجد ان الصحفي ولو كان نزيها يمكنه ان يذهب بمن يقراون مقالاته الى جميع الاتجاهات التي يريدها ، والتي يعتقدها صالحة .

فقيمة راي يتبعونه في نظرياته ، في قيمة رايه الشخصي ، ولذلك من الممكن ان ترتكب الجماعة غلطا فادحا ان هي اقتدت بما يوهمه اياها الصحفي الخاطىء ، كما انها تصيب الهدف ان هي جنحت الى راي الصحفي الصالح .

وتفاديا لكل الاغلاط التي يمكنها ان ترتكب ، ولكل النتائج الوخيمة للمحاولات الصحفية الموجهة فقد حدد المشرع نصوصا دقيقة وقواعد متينة افرغها في ظهير 15 نونبر 1958 المكون لقانون الصحافة .

وليس الغرض من تحليلنا هذا ان نتعرض لجميع فصول قانون الصحافة ، بل ان ما نرمي اليه هو تحديد القواعد التي يحتوي عليها ، والتي تشكل مقتضيات صريحة تسمح للفرد بالدفاع عن حقوقه تجاه كل مبالغة او تحريف ترتكبه الصحافة عن قصد او بدون نية . ولتوضيح ما قد يقع فيه الصحفي المشار اليه فاننا نستخلص من مقتضيات الفصل 73 من قانون الصحافة الذي يؤكد انه اذا اراد صحفي ان ياتي بحجة ما كتبه وجب عليه ان يخبر النيابة العامة بوسائل الاثبات التي يتوفر عليها داخل 48 ساعة من توصله بالاستدعاء .

فكون المشرع لم يخوله الا مدة وجيزة من الزمن لتقديم حججه يبرهن على ان القانون يلزمه بأن يكون متوفرا عليها مسبقا ، اذ لا يعقل أن يطالب شخص بتهييء حجج داخل اجل ضيق كهذا الاجل ، هذه بعض القواعد التي اثرنا عرضها للدلالة على اهتمام المشرع من جهة ، واجتهاد المحاكم من جهة اخرى بصيانة حقوق الافراد في ميدان مهم وخطير كميدان الصحافة .

ونذكر باننا لم ننشر الا لبعضها ، لان غايتنا ليست سر كل ما يهم قانون الصحافة، وانما اعطاء الدليل على المجهود الذي قام به الضمير المغربي في صيانة حرية الافراد . في حين نتوقف مع المؤلف

في فصله الاخير من الكتاب وهو المتعلق بالشطط في استعمال الحق موضحا بأن المشرع المغربي قد نسق قواعد تجعل من المتابعة مسطرة تمتاز بانسجامها وتحتفظ في كل مراحلها بحقوق الفرد التي ترتكز على المبدأ العام الذى يقول بان كل شخص بريء ما دام لم يثبت اتهامه ، فكل اجراء يجب ان يكون محترما لهذه القاعدة ، وكل وسيلة استند عليها القاضي في اجراءاته تكون عديمة الجدوى اذا لم تعتمد على هذا المبدأ .

وينهي الاستاذ بنجلون كتابه بقوله :

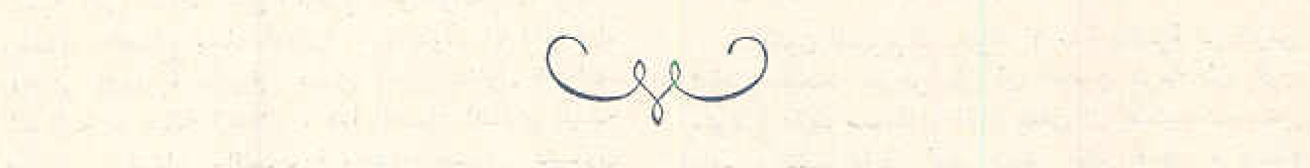
اذا كنا توصلنا بعرضنا هذا الى كشف القناع ولو عن بعض المشاكل الجزئية فاننا نعتبر اننا وصلنا الى غايتنا التي هي المساهمة ولو بقسط ضئيل في تعبئة الافكار حول موضوع بالغ الاهمية .

على اننا متيقنون ان المواطن المغربي يجب ان يكون مطمئنا على حريته معتزا بمحافظة المشرع على كرامته متيقنا من ان قوانيننا وان لم تستكمل بعد وجودها تعتبر مرآة للنزاهة ، وان قضاءنا وان كان ما يزال في بداية عهده يعد نموذجا للعدالة ولصيانة حقوق الناس .

وفي الحقيقة ـ يقول المؤلف ـ فان المهم هو **انه** اذا كان التشريع لحد الآن لا زال يظهر ببعض النقصان فان من بواعث ارادة المشرع من جهة ، واتجاه القضاء من جهة أخرى يعملان غاية مجهودهما للمحافظة بكيفية لا تقبل التهاون على حقوق الدفاع صيانة لحرية الفرد .

والحقيقة ان الكتاب قد نهج فيه مؤلفه الذى ابان عن تفكير فقهي منهجي جديد ودقيق انه قد عزز تحليله هذا بعدد من الاجتهادات القضائية التى برز بها قضاؤنا والتى جعلت اسلوب الكتاب اكثر وضوحا وتبسيطا مما يؤكد انه قد بذل في تهييء فصوله مجهودات يستحق عليها كل تنويه وتقدير خصوصا وان هذا المجهود يتمثل في الاسلوب الجديد والهام الذى يكون مادة الكتاب في مختلف فصوله باعتباره كتابا قانونيا فريدا حق لقضائنا ان يفتخر بـه .

الرباط ـ زين العابدين الكتاني





مختارات من أدب القصص التشويقي الأمريكي الحديث



فاتحة : ساهمت القارة الامريكية فى القصة والفن بعنصرين مهمين هما الجاز والقصة البوليسية .

ويعد الكاتب الامريكي « ادجار الن بو » Edgar Allan Poe اب القصة التشويقية الحديثة ، فقد دشن هذا الفن الجديد فى الادب الغربي بقصته الشهيرة « جرائم شارع مورج » .

وتعد سنة 1971 سنة مهمة فى تاريخ القصة البوليسية اذ مر على ميلادها 130 سنة .

ولن أتعرض هنا لمناقشة مسالة الاسبقية فى هذا اللون من القصص التشويقي ؛ اذ يمكن ان نجد فى الادب العربي والآداب الشرقية الاخرى ما يعادله .

وساكتفي هنا بترجمة نماذج من هذه القصص لقراء دعوة الحق الغراء املا ان افتح لهم بذلك نافذة على هذا اللون من الادب الذي أصبح له شبه احتكار على التلفزة الغربية حتى انه يقال انه أدب المستقبل .

المترجم

ظل «ويتشي» يلمع ظهر السيارة حتى بعد ان بدا الشمع يطلق صريرا خافتا تحت يديه القويتين..

ومر بخرقته على مؤخرة السيارة لآخر مرة وخطا الى الوراء يمسح العرق عن جبينه . ونظر الى نتيجة كدحه ذلك الصباح بعين ناقدة ثم حرك رأسه حركة رضى وارتياح .. كانت السيارة الضخمة تتالق كجوهرة كبيرة على ارضية المدخل . وللعثور على ذرة غبار فوقها لابد من منظار مكبر .

ووقف « ويتشي » يتمتع لحظة بنتيجة عمله ، فلاحظ انعكاس صورته على ظهر السيارة اللماع .

وتأمل صورته المموجة فى اطاره الخشن الغليظ العظام لابسا الصوف والقطن ، ووجهه المطبوع بتجارب أكبر من سنواته السبعة عشر ، وشعره الاشقر الداكن المشعث .. وتساءل فى نفسه : « هل انت احد تلك الارقام الغريبة يا رجل ؟ »

كان ذلك سؤالا صائبا .. لو ان احدا قال له منذ شهر فقط انه سيبحث عن عمل يعرق فيه لضحك فى وجهه ، منذ شهر كان يسرق اطباق عجلات هذه السيارة ليبيعها ويكسر زجاجتها الامامية للاستمتاع فقط للاستمتاع بتخريب هذا الرمز اللامع لنظام المجتمع القائم ..

وبدا له الشهر مدة طويلة ، ولكن الآن وقد انتهى ، كان صعبا عليه ان يصدق انه فعلا حدث .. وبدا له أنه منذ ساعات فقط حصل على نظرته الاولى الى البيت الارستوقراطي الكبير بسواريه البيضاء ، وسمع صوت « مسز دافيلد » الناعم .

وتثاقل خطوه وهو يمسح ببصره تلال ريف « نيوجرزي » الخضراء ، والسهول والزروب البيضاء على طول حدود الضيعة الشاسعة الاطراف .. والسماء كانت من الزرقة والصفاء بحيث بدت له غير حقيقية ، ولم يكن هو بمعتاد على طعم الهواء غير الملوث ..

بعد ساعات قلائل سيذهب هو وزملاؤه الثلاثة الآخرون من حيث اتوا ، وقريبا يصبح كل هذا مجرد ذكريات غامضة ..

كل هذا بدا حين نادى « جيم اتكنز » متطوع مؤسسة « فيتا » ، « ريتشي » و « ورمي » و « ضم » و « كولي » في مكتب شباب الحارة .. خارج المكتب كان غسق كثيف الابخرة يجثم على ضوضاء وعفونة حي « نيو ارك » الفقير ..

وبوجه اكثر جدية من المعتاد فحصهم « جيم »، كانوا مجموعة مهلهلة متعددة اللكنات .. « كولي » كان أسود عصابيا منحل المفاصل، و « ورمي » يمكن ان يعد أحد متسولي « برشلونة » النحاف ، و « ضام » كان كبرميل يعلوه راس صقلي عرقان .. اما « ريتشي » فكان يحمل سيمته الكشفية ببريق فكاهة شيطاني ويتحد في عينيه الزرقاوين ..

قال « جيم » : « انا اغامر باقتراحي هذا .. ما كنت لاحمل فارا قذرا مثلكم ولو لأقتله ! »

فاجاب « ورمي » : « يا رجل ، لم نضع حشرات في جواربك ، فما لك ؟ »

وارتخى وجه «جيم» في بسمة وهو يقول :

« ما رايكم في عطلة مجانية هناك بعيدا حيث تنبت الاشجار الحقيقية ؟ »

وبعيون متربصة انتظر الاربعة بحذر يطبع سكان المناطق الفقيرة أن يوضح لهم ، فقال : « الامر بسيط يا جماعة .. انتم تعرفون ان بعض النوادي الخاصة والافراد فتحوا لنا مسابحهم وبيوتهم هذا الصيف .. واحدى هؤلاء هي « مسز دافيلد » فهي تملك ضيعة كبيرة في الارياف . وبها خيل وساحة تينس ، ومسبح ، ومتنزهات وغدير لصيد الاسماك، وهي تود ان تنزلوا عليها ضيوفا .. »

وتبادل الاربعة رسائل صامتة بعيونهم . فادرك « اتكنز » الحديث الصامت وتدارك :

« ليست هناك حيل ولا مفاجآت داخل اكمامي يا قطط .. »

وضحك واضاف : « هي فقط سيدة متقدمة في السن تريد ان ترى بعض الخوض في المسبح وتسمع بعض الضوضا حول المكان .. »

فقال «كولي» وهو يهز اكتافه : « اذا كان سيسعدها ان تظن انها تصلح بعض المتشردين فلست احب ان احرم السيدات العجائز من ذلك الشعور . »

وحرك زملاؤه رؤوسهم موافقين .

فقال « جيم » : « اوكي .. اغسلوا قميصا اذن، وقابلوني هنا غدا صباحا . سآخذكم في سيارتي اذا استطعنا ان نبقيها مربوطة الاطراف . وسوف اقتطع لنفسي شطرا من الصفقة واقضي معكم يوما او اثنان كلما سنحت لي الفرصة .

كان اختيار « جيم » لهم موضع تفكه بينهم . فقد اجتمع الاربعة تلك الليلة وأداروا بينهم زجاجة نبيذ كان «ضم» اخذها من ابيه ..

قال « ورمي » : « المفروض اننا سنصبح مهتدين الى طريق الصلاح بعد هذه الرحلة ونساعد على تهدئة الاحوال بقية الصيف حين نعود . »

فرد « ضم » : « آه .. يعتقدون انهم في منتهى الشطارة .. انهم لا يخدعون احدا ! »

فقال «كولي» : « لا تضيع الفرصة .. وخذ درسا من عمي «هاوي» .. فهو يحصل على وجبة بالمجان مرتين او ثلاث في الشهر فقط بالذهاب الى « بقتة الراعي الصالح » وترتيل بعض الاناشيد .»

فلخص « ريتشي » الموضوع بقوله : « لقد حصلنا على تذكرة ! ذلك هو المهم .. ومن يرفض تذكرة ؟ »

كان « ريتشي » يتوقع ان تكون « مسز دافيلد » احدى اثنتين : سيدة — نوادي وعضوة — مجتمع بارزة تحاول ان تتظاهر الاحسان ، او دجاجة عجوزا معذبة الضمير تريد ان تخدع خالقها بعد حياة عامرة

بالجشع باظهار لعبة الحب الاخوي قبل ان ينطبق عليها غطاء الصندوق الكبير .

كلا الحكمين كان خاطئا .. لم يصدق على « مسز دافيلد » اي الوصفين .. فقد وجدها ، على العكس ، انسانة حقيقية .

كانت امرأة فى الاربعينيات رشيقة ممشوقة القوام نشيطة ، تجعدت جوانب عينيها على شكل رجل غراب ، ورش بعض الشيب شعرها البني بخيوط فضة .. وشعر « ريتشي » بمودتها الطبيعية فى الحال . كانت ، مثل ابتسامتها مخلصة وحقيقية .. وقد افترضت ان ضيوفها هم اربعة شبان عاديين مهذبين ، وانها ستتمتع بذلك الشهر كما سيتمتعون به او اكثر ، رغم استغرابهم لذلك .

كانت تعيش فى الضيعة مع خادمين ، أحدهما عجوز اشيب اسمه « تراكسلر » مهمته العناية بالارض والحيوان ، وخادمة عملاقة تسمى «هيلدا» قليلة الكلام ، ولكنها كانت تدير البيت الكبير وتملأ المائدة الهائلة طعاما ..

وبدت الضيعة والدار الواسعة والأسرة بازاراتها النظيفة غير حقيقية فى البداية .. ولكن الجدة والغرابة لم تلبث ان زالت بسرعة ..

ومرت الايام على عجل .. كان الجماعة يقضون النهار فى السباحة او الصيد او التمشي ، تعلموا كيف يبقون على ظهور الخيل .. وبالليل كانوا ياكلون الشواء فى الهواء الطلق او يذهبون للتجول فى المراكز التجارية بالضواحي ..

وادركوا فى الحال ان « مسز دافيلد » كانت امراة قديرة تستطيع الدفاع عن نفسها . فقد كانت تركب كأنها قطعة من الفرس .. ولم يكن يسبقها فى السباحة غير « ضم » وهو ضفدع بشري منذ اليوم الذى دفعه فيه اخوه من فوق رصيف الميناء فى سن الرابعة . وكانت تغلبهم جميعا فى التنس ، وتبزهم على طاولة « البليار » فى الليالي المطرة ..

وعلق « ورمي » باسف على هذا بقوله : « والمفروض ان نكون نحن الجوارح! »

ورد « كولي » : « ليس لاننا لا نعرف .. ولكن يا رجل لانها بارعة .. تستطيع ان تفعل اي شيء عقدت عزمها عليه ..

واحسن من كل شيء هو ان علاقتها بهم كانت واضحة .. اذا كان لها ما تقول قالته فى الوجه وفى الحال ، وتقفل الموضوع ..

ولا يبقى بعد ذلك لوك ولا تضجر .. وشعروا بالسعادة لمعرفتهم أن شخصا مثلها يهتم حقيقة اذا غفل احدهم او نسي ولو لدقيقة واحدة انه انسان يستحق الاحترام .

وعاملتهم بمساواة عند توزيع مصروف الجيب، وعند السؤال عن اقتراحاتهم حول الطعام ، ولكن « ريتشي » احس مبكرا انه المفضل .. فلسبب ما كانت بينها وبينه قرابة لم تكن لها بالآخرين . وكبر الشعور حتى تجاوز الاحترام أو المحبة المتبادلة، اذ كانت تبتسم له اولا ابتسامة ام حنون حينما تنضم اليهم لمشاركتهم فى اي عمل يعملون ، واذا احتاجت الى مساعدة ما فى الحديقة ما كانت لتنادي على « تراكسلر » بل تسأله : « ريتشي ، هل انت مشغول ؟ » فيقول هو : « لا يا سيدتي . »

فتقول : « هل تريد مساعدتي ؟ لن امسكك طويلا .. »

فيرد : « طبعا .. »

وفى بعض الاحيان ، وهو يشتغل بجانبها او هم حول المائدة ، كان يضبطها وهي تدرسه على غفلة منه . وكانت دائما تشيح عنه بوجهها ولكن بعد ان يكون قد لمح الظلال التى كمنت فى اعماق عينيها ولم يلاحظ الآخرون ذلك ، ولكنه فعل ، راى فيهما اطياف الالم والفقدان ..

وعرف من « تراكسلر » اثناء الحديث معه انها فقدت زوجها منذ عدة سنوات لموته بسكتة قلبية مفاجئة ، لم يتوقع موته احد فلم يكن يعاني من شيء فى صدره .

ولكن « تراكسلر » كان يطبق صامتا كالمحارة كلما ذكر له « ريتشي » « دافيلد » الثاني ، ولدها. وكل ما عرف هو انه اسمه « البرت جاكسون دافيلد الثاني » وانه فى نفس سن « ريتشي » وانه اختار قضاء الصيف بعيدا عن بيته . ذلك كلما استطاع ان يعرف رغم مداهنته « لهيلدا » .

وبدا « البرت جاكسون دافيلد الثاني » يشغل بال « ريتشي » ويحيره . اذا كان فى زيارة لبعض رفقائه او يقضي الصيف فى مخيم فلماذا كل هذا

الغمـوض ؟ ولمـاذا الحزن الصامـت فى عينـي « تراكـلر » و « هيلدا » ؟

ووصل «ريتشي» الى نتيجة باضافة الغموض الى الالم الكمين فى عيني « مسز دافيلد » . هل كانوا ــ وخصوصا « ريتشي » مجرد بديل لمقاطعة الصمت المخيم على البيت الكبير العامر بالذكريات ؟ وحينما كانت تتحـدث اليه حديث الامومـة وهما يعملان فى الحديقة او يتسللان لاكل وجبة خفيفة من الثلاجة ليلا ، هل كانت تتمنى لو كان ابنها نفسـه هناك ؟

منذ شهر كان يمكن ان يغلي غضبا ، ولكن ليس الآن . ومع نهاية الشهر كان يتمنى لو انه استطاع عمل شيء لمساعدتها .

واستفاق ذلك الصباح الاخير عارفا ان النهار سيكون ثقيلا .. وكره الساعات التى كان عليه ان يقضيها فى انتظار « جيم اتكنز » وقعقعة السيـارة التى ستأخذهم من حيث أتوا ، ولذلك قرر ان يغسل السيارة ويشمعها كما لم تغسل او تشمع من قبل ليقتل الوقت ، ويشغل يديه وباله ..

وانتهى من اللمسات الاخيـرة ووضـع عـدة التشميع فى المراب وخرج ليجد « مسز دافيلـد » واقفة تنظر الى السيارة . وحين سمعت وقع خطوه نظرت حياله . وعرف « ريتشي » انها فهمت معنى عملية التشميع ، كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التى يمكن ان يقول بها : « شكرا ! »

وبعد لحظة سألته : « عطشان ؟ »

فانفرجت شفتاه عن ابتسامة واجاب : « كما لو سأشرب غديرا الى ان انشفه ! »

فقالت : « لنرى اذن ما عندنا بالبيت » .

وتبعها نحو المطبخ الفسيح بزليجـه والـواح صلبه اللماع ، وعدة الطبخ النحاسيـة المعلقة التى كانت « هيلـدا » تلمعها لمعان الدنانير الجديدة .

وفتحت الثلاجة واخرجت دورقا من شراب الليمون ، وكاسين يغطيهما ضباب الصقيع . وتناول « ريتشي » الدورق والكاسين وذهب نحو المائدة ، حيث جلسا متقابلين ، وصبت مسز دافيد الليمون ، ولم ترشف من كاسها فى الحال ، بل جلست تراقب كل حركات « ريتشي »

وفى النهاية قالت : « سأشتاقك يا ريتشي »

فرد : « أعرف .. فانا على نفس السبيل .. »

ودرست وجهه لمحة لمحة : « انت اذكى واشد حساسية من الباقين .. فلا تترك احدا ولا شيئا يعكر صفاء دخيلتك يا « ريتشي .. »

وتورد وجهه : « سأحاول يا مسز دافيلد . »

فأضافت : « ولا تتوقف ابدا عن المحاولة .. كلنا لابد ان يحاول، يوما بعد يوم، مهما كانت الظروف والخلفيات » .

هل كانت تحاول ان تقول له شيئا ؟ هل كان ذلك الشيء يضايقها لدرجة انها تريد ان تخرجه ؟

ورفع عينيه على مهل وقال : « هل توقف هو عن المحاولة ــ ابنك ؟ »

واحس بضيق كأنها كانت تخترقه ببصرها ..

قالت : « ولدي يرغب فى الحياة فى جحر فار «بكرينيتش فيلاج» بنيويورك » .

وتدارك هو : « ارجوك يا مسز دافيلد .. انا آسف .. أشعر بالاثم للخوض فى هذا الموضوع ! »

واستمرت هي : « شعره طويل وقذر .. لا يستحم ابدا .. »

واشاح هو وجهه عنها . كانت تجاعيدها قـد زادت عمقا فرسمت على وجهها قناعا من الياس ..

واضافت : « كل ما يريده مني هو المال .. لم يعد يريد ان يراني او يتكلم معـي .. وحاولت كل شيء حتى انني قلت له انني سوف لن ادفع مصاريف مخدراته .. قال انه سيسرق ــ او يقتل نفسـه ، ودمه سيبقى على يدي .. وانه يكره كل ما انا ، وكل شيء امثله .. »

واحس « ريتشي » بحرارة مفاجئة فى المطبخ وكأنه مقفل .. فقال : « ارجوك .. لابد انك مخطئة .. يكرهك !؟ يكره كل هذا ؟! »

فقالت : « الاحتقار قد يكون كلمة انسب » .

واحتبس صوتها واختنق : « لا شيء يحظى بقبوله أو رضـاه .. فيهـرب من بغضـه للحيـاة بالمخدرات . »

ولم يبق « لريتشي » ما يقول .. كان وما يزال غير قادر على النظر اليها حين أحس بيدها الباردة تلمس ظهر يده وهي تقول :

« شكرا لك « يا ريتشي » .. أشعر بتحسن الآن وقد شاطرت أحدا شعوري اخيرا » .

وسحبت يدها . وسمعها تقوم وتخرج . وقعد يحملق في النافذة بوجه شارد ، وعينين يعكسان عزما متزايدا ..

وعادت مسز دافيلد الى حالتها الطبيعية حين حان وقت الوداع . ومشت معهم الى سيارة « جيم أتكنز » ، وصافحتهم واحدا واحدا متقبلة تشكراتهم بقولها ان وجودهم معها كان مسرة لا توصف .. وتركت وداع « ريتشي » للنهاية فأمسكت بيده وهي تدرس وجهه كأنما تريد ان تطبع صورته في ذاكرتها .

فقال هو : « قد تتحسن الاحوال » .

وأجابت بقولها : « وداعا يا ريتشي .. »

فرد هو : « الى اللقاء مسز دافيلد » .

ودخل السيارة التي اندفعت نحو طريقها ، وقاوم « ريتشي » الرغبة في النظر الى الوراء ..

— * —

وفي ذلك المساء حاول « ريتشي » اقناع زملائه الثلاث بالذهاب الى «كرينيتش» للبحث عن ابن « مسز دافيلد » فرفضوا .. بالنسبة اليهم ذلك الشهر الذي قضوه عندها كان مجرد حلم استيقظوا منه الآن الى واقعهم القاسي .

وودعهم هو ونزل نحو الطريق الكبرى المؤدية الى « مانهاتن » ، فاستركب شاحنة حملته حتى « كرينيتش » .

وبعد أسبوع من وصوله جزيرة « مانهاتن » كان ما يزال يستقصي مخابيء « الهيبيين » ويسأل نفس السؤال ، كان يعيش على ما اذخره من مصروف الجيب التي كانت « مسز دافيلد » توزعه بينهم بكرم . ولكن البحث طال والمذخر اشرف على النفاد . وبدأت الشكوك تخامره في نفس الليلة التي وضع فيها السؤال لاحدى الخادمات بمقهى صغير تعزف فيه فرقة رباعية موسيقى من النوع «السايكوديللي» .

قال : « هل تعرفين اخا باسم البرت دافيلد؟»

فردت : « طبعا ـ يأتي الى هنا ـ ذلك هو هناك .. »

وقام « ريتشي » وقلبه يدق نحو المائدة التي كان يقعد عليها « البرت الثاني » وحده مجتازا في طريقه اليه أكداس الراقصين .

ووقف « ريتشي » على رأسه ، فلم يكلف نفسه حتى عناء النظر الى فوقه .

ذكره الشبح القاعد امامه بشاب كان في يوم من الايام يطفح رجولة وحيوية . اما هذا فكان عبارة عن « خيال بحيرة » يلبس سراويل عفنة ، وقميصا مدلا مفتوحا حتى صرته . كانت سبحة طويلة تغطي صدره الناتيء ، أما ملامح وجهه الرقيقة فكانت غارقة في لحية قذرة وشعر ذاهب في كل اتجاه .

وهمدت الموسيقى فجلس « ريتشي » في الكرسي المقابل له . فنظر « البرت » اليه بعينين محتقنتين وسأل :

ـ هل اعرفك ؟

ـ لا ، ولكن امك تعرفني .

ـ انت است طرفا من المشهد .. ذب ..! تلاش ..

ـ لا تتعبني يا ولد .. كل ما اريده هو ان نتكلم قليلا ..

ـ صحيح ؟! بكم استأجرتك ؟ وما هي المهمة ؟ ان تصبح صديقي لتكون صلة وصل بيننا اذهب يا زاحف !

وشد « ريتشي » قبضة يده ليخفي حنقه وقال : « انت لا تعرف ما تفعله بها » .

ـ لا يهمني ذلك مثقال ذرة !

ـ ولا نفسك .. تعال يا ولد .. انا احاول ان اكون اخا روحيا .. الا يمكن ان نناقش الموضوع كرجال ..

ـ نناقش ماذا ؟ الفخ الذهبي ؟ اللعب البراقة البليدة ؟ العفونة التي هي وامثالها صنعت من كل شيء ؟

كان يتكلم من خلال اسنان صفراء وبقضبة متوحشة .. وقعد « ريتشي » يحملق فيه بشعور من لا يصدق ذلك المنظر ..

وقفز « البرت » الى قدميه وهو ما يزال يتكلم :

ـ جئت برسالة ؟ عندي اخرى كذلك : ارجع اليها وقل لها انها رمز كل شيء نتن !

وحاول « ريتشي » القيام وهو ينظر الى الولد هاربا ، ولكنه عاد يهوي بثقله على الكرسي .. وارتعدت فرائصه وهو يشعر انه عالم فى ضباب .. كل شيء كان يبدو له ممطوطا ومعوجا .. وحتى الهواء كان يعبق قذارة ..

وشعر بالبلادة والحذر .. كان قد طوى نفسه على شيء لم يعد من السهل عليه محوه من خياله .. وهو ان يجمع بين « البرت الثاني » وامه « مسز دافيلد ». فقد حلم طويلا بمنظر « البرت » عائدا الى امه ، وانطبعت في مخيلته انطباعا قويا صورته وهو يعدو نحوها وهي باسطة ذراعيها لاستقباله على ارضية البيت الكبير ذي السواري البيضاء ..

وطلب « ريتشي » قهوة مقطرة وقعد يحاول ان يفهم ما يدور حوله من مشاهد ، ولكنه عجز فى النهاية فنادى الخادمة : « نسيت ان اذكر شيئا « لالبرت » .. اتعرفين اين ينام ؟ »

ـ طبعا .. من السهل العثور عليه ..

ووصفت له الطريق ..

كان السلم الخشبي القديم مظلما متشققا بحيث كان على « ريتشي » أن يتحسس طريقه كأعمى .. وكان المر مضاء بمصباح لا يكاد يضيء نفسه .. اما الرائحة فكانت انتن من بيت « ريتشي » فى « نيو ارلنز » . وانقلبت معدته وهو يسير نحو باب انشق عنها طلاء قديم .

وطرق الباب . ولكن بعد ان مرت بضع دقائق بدون جواب طرق مرة أخرى طرقا اشد . ولما كان المزلاج مكسورا فقد فتحت طرقاته الباب قليلا ، فدفعه وادخل رأسه قائلا : « يا ولد ، هل انت هنا ؟ »

ولم يسمع جوابا ، ولكنه سمع او تخيل انه سمع تنفسا عميقا . وتحسس طريقه داخل الغرفة، وحين لم يعثر على مفتاح النور فتح الباب واشعل عود ثقاب . وفى ضوئها راى انطباعا لجسد «البرت» ملقى على فراش .

واقفل الباب وجذب خيطا اشعل مصباحا خافتا عاريا يتدلى من السقف المشقق ، ونظر حواليه فشعر رغم قسوة نشأته بالغثيان . ما كان حيوان ان يعيش بذلك المكان . الصراصير والحشرات متجمعة على مائدة تراكمت عليها اطباق قذرة وقطع طعام فاسد . والذباب والناموس الصغير متراكم على علب البيرة المفتوحة والملقاة على الارض والمائدة فى اهمال . وعيون فيران صغيرة تبرق من خلف علبة القمامة المتعفنة . جوارب وقمصان حال لونها من الوساخة تركت حيث خلعت ..

اما اللمسة الاخيرة فكانت جسد « البرت » معقوفا على الحشية المتهدلة . كان قد رفع قميصه عن ذراعه وطوق به رأسه ، وراح فى سبات مخدر عميق .

وتأمل الوجه الضائع، والفم المفتوح دون اراده، وحرك راسه فى اسى . كان يتصور « مسز دافيلد » تنظر الى « البرت » فى هذه الحالة ، لتمنت الموت !

وطالت نظرته الى آثار الحقن الكثيرة على ذراعه . ثم انتقلت الى الطاولة بجانب الفراش كانت فوقها الابرة والشمعة وملعقة الشاي حيث تركها « البرت » بعد غرزها فى عرقه الرئيسي .. ولعبت أصابع « ريتشي » بالأوراق المطوية فى شكل مربعات تحتوي على غبرة الهيروين مخلوطا بسكر الحليب ..

وتساءل « ريتشي » هل هذه هي الحياة ؟ هل هذا هو ابنها ؟ الوسخ الذى كنت اريد ارجاعه اليها ؟ »

وبلا مبالاة اشعل الشمعة ، وعبر الغرفة ليأتي بقليل من الماء من صنبور صديء ، وعاد الى السرير حيث فتح احد اللفائف افرغ محتواها فى الملعقة ومزجه بقليل من الماء .. وبهدوء رفع الابرة وملأها.

وقال : « وداعا يا وسخ ! »

وتناول ذراع « البرت » ووجه راس الابرة نحو عرقه .

— * —

وفى الظهر التالي قعد « ريتشـــي » على درج بيته يقرا القصة فى صفحة داخلية باحـدى جرائـد نيويورك .

ومر به « ورمي » سائلا : ماذا تقرا يا هـذا ؟ هل سيقتلون برنامج الفقر ؟ »

فرد « ريتشي » : « يقول هنا ان سليل عائلة كبيرة من « نيوجرزي » قتل نفسه خطا بحقنة مخدر اكبر مما يحتمل فى مدينة « الهيبيين » . وقد قام البوليس ببحث اعتيادي .. وانتهي الامر .. وقفلت المسالة نهائيا .. يحدث هذا كل يوم » ..

فقال « ورمي » : « ياه ؟ ما معنى (سليل» ؟ »

فرد ريتشي : « انه مثل .. يعني وارث » .

وقام « ريتشي » فرمى الجريـدة « لورمـي » قائلا :

« اقرا المضحكات .. »

وسال « ورمي » : « الى اين يا ريتشي ؟ »

فرد هذا : « لاركب الاوطوبيس » . ونظر الى « ورمي » نظرة طويلة وفى عينيه لمسة حنين ثم قال : « وداعا يا «ورمي» .. وداعا وحظا سعيدا » .

ومشى «ريتشي» على الطريق الخاصة الملتوية بعد أن اقفل الاطوبيس الضخـم بابـه بزفرة عاليـة وراءه وتدحرج فى طريقه ..

وفى دقائق دار حول صفوف الاشجار الباسقة فانفتح المنظر الرائع امامـه .. الـزروب الخشبيـة البيضاء ، والسهول المعشبة الخضراء تحت سمـاء صافية ، وكوخ الحارس ، وكراج السيارات الثلاث، والبيت الجميل ذي السواري البيضاء الذى يقف تاجا على راس اكمة خضراء .

وتحركت قدماه بسرعة .. ومسـح صـورة « البرت الثاني » من مخيلته تماما والى الابد بفكرة ختامية هي : « ان الشخص الذى يبصـق حلـواه يتركها لمن يلتقطها .. »

وفى تلك اللحظة راى « مسز دافيلد » تسير من الدار نحو الكراج مجللة بالسواد ، فصاح ولوح بيده ، فتوقفت هي وحملقت كانما لا تصدق عينيها .. وعندئذ سعت نحوه باسطة يديها ..

وفكر « ريتشي » وهو يندفع نحوها :

« ساكون الولد المثالي اللائـق باسم ومال آل « دافيلـد » منذ البداية ..

واقفل المسافة بينهما بسرعة ..

ترجمة : احمد عبد السلام البقالي



المغـــرب :

* دشن السيد احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية المسجد الجديد لجماعة سيدي عزوز بقبيلة السهول وذلك بحضور عامل الرباط وسلا ورجال السلطة المحلية وممثلي الهيئات المنتخبة وجمهور غفير من المواطنين الذين ادوا صلاة الجمعة بهذا المسجد .

وبهذه المناسبة رفعت أكف الضراعة بأحسن الدعوات لجلالة الملك وولي العهد وافراد الاسرة الملكية .

* كما دشن مسجد الامام مالك بطريق تابرت وحضر حفل التدشين رجال السلطة المحلية واعيان المدينة ، وبعد صلاة العصر رفع المصلون اكف الضراعة الى الله ان يحفظ حامي حمى الملة والدين جلالة الملك المعظم الحسن الثاني ، وان يحفظ ولي العهد سيدي محمد .

* استقبل وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بمقر الوزارة سفير الجمهورية التونسية السيد الطيب سليم الذى قام بزيارة ود ومجاملة للوزير .

ودار الحديث بينهما فى جو مفعم بالمودة والصداقة التى تجمع بين المغرب وتونس كما تناول الشؤون الاسلامية والثقافية بالبلدين الشقيقين .

* كما استقبل سيادته معالي وزير العدل بفولتا العليا السيد مالك زورومي يوم سادس نونبر 71 .

وقد دارت المذاكرة فيما يهم المسلمين بفولتا العليا فى جو مفعم بالصداقة التى تربط بين البلدين الافريقيين .

* فى اطار التعريف بالاقطار الاسلامية وبمناسبة شهر رمضان المعظم قامت وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والاصلي وتكوين الاطر بعرض شريطين احدهما عن المؤتمر الاسلامي بماليزيا والثاني عن نهضة الكويت ، وذلك بقاعة المحاضرات بمديرية الشؤون الثقافية ، شارع ميشو بيلير بالرباط يوم الجمعة 9 رمضان 1391

* اقيمت مساء الجمعة بساحة ابي بكر الصديق فى حي اكدال حفلة دينية كبرى بمناسبة وضع الحجر الاساسي لبناء مسجد بهذه الساحة ، وحضر الحفلة عامل الرباط وسلا السيد عبد السلام الوزاني وممثل الرباط بمجلس النواب السيد عبد الحكيم كديرة وأعضاء مكتب جمعية بناء المسجد وعدد من المؤمنين .

واشتمل الحفل الديني على اداء صلاة العشاء والتراويح ، تحت الخيام التى اقيمت بمكان المسجد وتلاوة للذكر الحكيم وامداح نبوية شارك فيها بعض أعضاء مكتب رابطة المجودين والفرقة المحمدية للامداح النبوية والقى السيد ناصر الكتاني كلمة اشار فيها الى اهمية هذا المسجد مشيدا بالمساعدات التى تلقتها الجمعية من المجلس البلدي لمدينة الرباط ومن عامل الاقليم ومن ممثل الحي فى مجلس النواب ، كما أعلن ان المسجد الذى اختيرت لاقامته قطعة أرض مساحتها ثلاثة آلاف متر مربع اسم مسجد بدر لاقتران يوم وضع حجره الاساسي بذكرى غزوة بدر .

* اقام الاستاذان السيد العربي الدغمي وعبد الرزاق حكم يوم الخميس 27 ذي القعدة الماضي حفل استقبال بمنزل السيد الحاج عبد الكريم بلماحي بمناسبة مغادرتهما المغرب الى الديار المقدسة لالتقاط المناظر الخاصة المتعلقة بمناسك الحج للشريط السينمائي الذي الفا قصته وحواره ويقومان فيه بدور البطولة ، وينتجه المركز السينمائي المغربي .

✻ صدر عن مطبعة الامنية بالرباط كتاب « اللسان المعرب عن تهافت الاجنبي حول المغرب » ، وهو من تاليف المؤرخ ابي عبد الله السليماني الذي عاصر الفترة الاولى لاحتلال المغرب. وكشف قبل ذلك عن خفاياها داعيا الى مقاومة الغزو الاجنبي . ويعتبر الكتاب تسجيلا دقيقا لفترات حاسمة من التاريخ المغربي .

✻ علمنا ان اسرة الامير شكيب ارسلان اهدت الخزانة الملكية العامرة بالرباط مراسلات المرحوم الامير شكيب خلال 40 سنة مع عظماء العالم الاسلامي وقادة الحركات التحريرية فى العالم اجمع .

وبامر من صاحب الجلالة قام السيد عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة باستلام هذه الذخيرة التى نقلها من بيروت السيد احمد بنسودة سفير المملكة المغربية سابقا فى لبنان وعضو مجلس النواب حاليا .

وسيجد الباحثون والعلماء فى هذه الوثائق الثمينة كنزا من المعلومات القيمة عن حركات التحرير فى العالم الاسلامي وعن آراء ومواقف المغفور له الامير شكيب والعظماء وقادة الفكر الاسلامي ممن تبادل معهم المراسلات .

✻ تطبيقا لمقتضيات المرسوم الملكي المتعلق بالقانون رقم 816 / 65 المؤرخ 28 رمضان 1388 الموافق لـ 19 دسمبر 1968 المنظم لهيئة المحامين وممارسة مهنة المحاماة ، انعقد بتطوان يوم 25 نوفمبر المؤتمر العاشر لهيئة المحامين بالمغرب برئاسة الاستاذ محمد المعطي بوعبيد رئيس نقابة المحامين بالمغرب .

وتجدر الاشارة بهذه المناسبة الى ان الاحصاءات التى نشرتها وزارة العدل تؤكد ان عدد المحامين المسجلين لدى محاكم الاستئناف بكل من الدار البيضاء وفاس ومراكش يبلغ 622 محاميا من بينهم 468 رسميا و 150 متدربا .

✻ قام مؤخرا بزيارة قصيرة للمغرب سيادة الدكتور الحبيب بن الخوجة عميد كلية الشريعة واصول الدين بالجامعة الزيتونية وهو الذى خلف استاذه الجليل مفخرة المغرب العربي سماحة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور فى عمادة نفس الكلية ورغما عن قصر مدة هذه الزيارة فقد اتصل بسيادته عدد كبير من رجال الفكر والعلم الذين هبوا لزيارته والاحتفاء بمقدمه ، والقى بدار الحديث الحسنية محاضرة نفيسة حلل فيها حالة المسلمين فى العهود المتأخرة ، وشرح الحركات الاسلامية التى ظهرت فى العالم الاسلامي لتلافي تلك الحالة ، وما واجهها من عقبات ومعوقات ، وبين طريق الخلاص للوصول الى نهضة اسلامية شاملة يثبت بها الاسلام وجوده وصموده امام جميع التحديات ، وقد حضر هذه المحاضرة القيمة جمهور غفير من العلماء والاساتذة والطلبة ، ونالت استحسان الجميع وكان من اهداف الزيارة التى قام بها للمغرب سيادة العميد التونسي الاتصال بالاوساط الرسمية ، للشروع فى تحقيق المشروع الثقافي الذى وعد جلالة الملك المفدى بانجازه فى تونس الشقيقة ، احياء لذكرى صديقه وصديق المغرب ، فقيد العلم والدين الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، وهو عبارة عن انشاء معهد اسلامي يحمل اسم « معهد الفاضل بن عاشور للدراسات الاسلامية » وهذا المشروع وافقت عليه الحكومة التونسية ، ولم يبق الا ان يخرج الى عالم الوجود ، بفضل الهبة الملكية التى تفضل بها جلالة الملك المفدى الحسن الثاني ، ابقاه الله ذخرا للعلم والدين .

✻ صدر مؤخرا تحقيق جديد لكتاب المقتبس من كتاب الانساب فى معرفة الاصحاب – وهو من تاليف السيد ابي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق احد تلاميذ المهدي بن تومرت واحد رفقاء الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي .

وهو اول كتاب تاريخي معروف قام بتحقيقه السيد عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة ومحافظ ضريح محمد الخامس واصدرته دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط .

✻ يشارك المغرب كما هو معلوم فى المهرجان الاسيوي الافريقي للفنون الشعبية الذى تنظمه اكاديمية بروكلين للموسيقى بمدينة نيويورك وتمثل المغرب فى هذا المهرجان مجموعة فولكلورية تتكون من 50 عضوا ينتمون الى فرق مختلفة وقد توصلت ادارة مسرح محمد الخامس ببرقية من لجنة المهرجان تفيد ان المجموعة المغربية قدمت حفلتها الاولى بنجاح منقطع النظير وأن المقاعد قد حجزت عن آخرها بالنسبة للخمس سهرات التى ستحييها الفرقة المغربية بمدينة نيويورك .

ومن المعلوم ان المجموعة المغربية للفلكلور ستزور اهم مدن الولايات المتحدة قبل ان تتوجه الى مونتريال فى كندا .

* 274 جمعية ثقافية فى المغرب تنطبـــــق قوانينها مع الاهداف التى حددت لها ، تستفيد من المساعـدات التى تمنحهـا ادارة الشؤون الثقافيـة وتواصل نشاطها باعانة من السلطات المختصة .

نشرت هذا الاحصاء ادارة الشؤون الثقافيـة التابعة لوزارة الثقافـة والتعليم العالـي والثانـوي والتقني وتكوين الاطارات بالمغرب .

* حصل الاستاذ الراجي التهامي الهاشمي من جامعة مدريد على دكتورة الدولة من قسـم اللغـات السامية .

والظريف فى الامر أن الاطروحة الصغرى التى قدمها الاستاذ للجامعة المذكورة كانت هي تلك الفكرة التى نشرتها له « دعوة الحق » تباعا تحت عنوان :

« ليـس القرآن بلغـة قريـش فحسب » حيث حورها الى مؤلف تحت عنوان :

« الالفاظ غير القرشية فى القرآن الكريم »
Los terminos no quraïsite en el Coran

وكان موضوع الاطروحـة الكبـرى القـراءات القرآنية وعنوانها بالضبط :

« خلافات القراءات القرآنيـة بالمغـرب والاندلـس »
Los Controversias de las lectures coranicas en Al-Andalus y Marruecos

وقد استعرض فيها كل الخلافات التى نشبت بين القراء بالمغرب والاندلس منذ دخول قراءة ورش الى المغرب والاندلس حتى عصرنا الحاضر .

واعطى فى الختام مثالا للخلافـات الاندلسيـة بتحقيق لكتابه عن امام ابي عمرو الداني المسمى بـ « رسالة التنبيه على الجهل والخطأ والتمويه » .

ومثالا آخر من المغرب بتحقيق جزيء لكتـاب الامام ابي زيد سيدي عبد الرحمن بن القاضي :

« بيان الخلاف والتشهير ، وما وقع فى الحرز من الزيادات على التيسير »

فكانت اول اطروحـة فى القـراءات القرآنيـة تناقش فى اسبانيا ولعلها تكـون اول اطروحـة فى القراءات يقدمها مغربي .

وفى آخر الدفاع الذى طال والذى حضره جل مستشرقي اسبانيا والدكاترة الشرقيون العاملـون بجامعة مدريد وبمدرسة اللغات الحية، احرز صديقنا الدكتور الراجي التهامي على دكتورة الدولة بميـزة مشرف جدا .

وقد اخبرنا الدكتور بأن « دعوة الحق » كانت من بين المراجع التى رجع اليها فى جل ابحاثه فنهنيء صديقنا الدكتور على احرازه وتفوقه فى دكتوراه وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا .

* مثل المغرب فى مؤتمر ادباء العرب بدمشق وفد عن أتحاد كتاب المغرب ضم الاستاذ عبد الكريم غلاب رئيس الاتحاد والدكتور عباس الجراري امين الاتحـاد .

* صدر فى الايام الاخيرة للاستاذ ابي بكر المريني ديوان شعـر بعنـوان (قالت لي الحرية) تضمـن جميع القصائد التى جادت بها قريحتـه بمناسبـات مختلفة ولاسيما قصائد الحماسة التى تهز المشاعـر وتثير الحماس فى الامواه ...

وقد صدر الاستاذ السيـد ابو بكـر المرينـي ديوانه بمقدمة لاهبة حماسية عن الحرية التى هي (رمز وقداسة) وبغيرها الحياة تعاسة ومن عجب ان دعاتهـا يضطهدون باسم السياسـة على يد كل غاصب ...

واننا لنثني على شجاعة الاستاذ الشاعر التى ابرزت هذا الديوان .

ونتمنى له كل توفيق ونجـاح وقبـول حتى يشفع ديوانه بنتـاج يثري مكتبتنا الوطنية .

الجـزائـــــر :

* تراس السيـد عبد الله فاضل وزير الشبيبة والرياضة الجزائري اول اجتماع للجنة التحضيريـة للمهرجان العربي الاول للشباب الـذى سينظـم فى الجزائر فى يوليو المقبل بمناسبة الذكرى العاشـرة لاستقلال الجزائر .

والقى الوزير الجزائري كلمة رحب فيها بالوفود، وابرز الهدف من المهرجان وهو تمتين أواصر الصداقة بين الشباب العربي .

وتحدث السيد توفيق وصفي باسم الجامعة العربية فشكر الجزائر على هذه المبادرة وقال ان هذا المهرجان سيكون فرصة لعقد المؤتمر الثاني لوزراء الشباب فى الدول العربية وقد تشكلت عدة لجان لوضع ترتيبات المهرجان .

* تراس سفيرا الجزائر ومصر فى اسبانيا وسلطات مدينة اشبيلية فى كلية الفلسفة والآداب بجامعة « هيسبا لنسى » حفل تدشين دار الثقافة العربية ـ الاسبانية باشبيلية .

وحضر حفل التدشين كذلك سفراء المغرب والاردن وليبيا وممثل لسفارة العراق وكذلك رئيس دار الثقافة العربية ـ الاسبانية فى مدريد .

وبهذه المناسبة قدمت محاضرتان احداهما قدمها استاذ اللغة العربية فى كلية الفلسفة والآداب باشبيلية الاستاذ جمال عبد الكريم حول « تطور ادب الرحلات عبر الاندلس والمشرق » والثانية قدمها الملحق الصحفي لسفارة مصر الاستاذ محمد كمال يوسف حول « الرجل الجديد لمصر »

تونــــس :

تلقى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رسالة رقيقة من فضيلة الاستاذ الكبير محمد الطاهر ابن عاشور ، مفتي الجمهورية التونسية وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، وجه فيها التحية الى المعهد على مبادرته الى اصدار نشرته .

وتعليقا على ما جاء فى العدد الثالث (3) من هذه النشرة من ان الدكتور مازن المبارك استاذ علوم العربية فى جامعة دمشق ، يعمل فى تحقيق كتاب « الجمل » للزجاجي اشار فضيلة مفتي تونس الى وجود نسخة عتيقة مخطوطة لهذا الكتاب محفوظة فى المكتبة الوطنية بتونس .

وابدى رغبته فى الحصول على نسخة من كتاب « الاجابة على ما استدركته عائشة على الصحابة » للامام الزركشي ، بعد ان قرأ فى النشرة نبأ تحقيقه ونشره من قبل الاستاذ سعيد الافغاني فى دمشق .

وتعقيبا على نبأ عزم الاستاذ عبد الهادي التازي، سفير المغرب فى بغداد الذى قراه فى النشرة ، قال فضيلته ، « وقد لفت نظري ما عنى به الدكتور عبد الهادي التازي سفير المملكة المغربية فى بغداد من اعداد نسخة صحيح البخاري التى هي بخط الحافظ الصدفي التى كنت حظيت بمطالعتها ، وارجو ان يكون طبعها بطريقة التصوير الفوتوغرافي وذلك ما كنت اتمناه » .

* اصدرت الجامعة التونسية فصلة حولية تضمنت فهرس المخطوطات التى تضمها المكتبة الخاصة للفقيد حسن حسني عبد الوهاب وقد بلغ مجموعها 951 مخطوطة فى مختلف الفنون وكان الفقيد قد اهداها الى دار الكتب الوطنية .

وقد كان الفقيد عضوا فى المجلس الاعلى لمعهد المخطوطات الذي اجتمع عام 1956 ووضع الخطط التى ما يزال هذا المعهد يسير على هديها حتى الآن كما لابد للمعهد ان يشيد بفضل الفقيد العظيم على التراث العربي والاسلامي وعلى الثقافة العربية .

ليبيـــــا :

* طرابلس ـ كلفت لجنة من فقهاء القانون وعلماء الشريعة الاسلامية فى ليبيا بوضع مشروع قانون جديد للاحوال الشخصية بما يتفق والمبادىء الاساسية للشريعة الاسلامية .

اعلنت ذلك مصادر وزارة العدل الليبية . وقالت هذه المصادر ان اللجنة بدات عملها بالفعل وستنتهي من مهمتها فى اقرب فرصة ممكنة .

* اعلن فى طرابلس الغرب ان تسعة عشر الف شخص فى ليبيا قد سجلوا أنفسهم لغاية الآن لاداء فريضة الحج هذا العام ، وهذا رقم قياسي حيث انه لم يسبق ان بلغ عدد الحجاج الليبيين هذا الرقم فى اي عام مضى .

مصــــــر :

* وافق الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشؤون الازهر على ايفاد بعثة دينية من رجال الوعظ والارشاد والامامة الى جمهورية السودان

للعمل هناك تلبية لطلب مصلحة الشؤون الدينية السودانية . ويرأس البعثة الشيخ ابراهيم الدسوقي وكيل عام الدعوة بالوزارة .

* اجرى الشيخ محمد خاطر مفتي جمهورية مصر العربية اتصالات بعدد من الدول العربية والاسلامية للاتفاق مع مفتيها على توحيد بدا صيام شهر رمضان لشعوبها طبقا لاحكام الشريعة الاسلامية .

* أعلن السيد ممدوح سالم وزير الداخلية المصري انه بناء على توجيهات الرئيس أنور السادات سوف يتم الافراج عن باقي المعتقلين السياسيين وعددهم 124 معتقلا قبل اول شهر رمضان الماضي .

وقال في تصريح نشر انه بالنسبة للمعتقلين الجنائيين فان هناك دراسات تجري الآن مع وزراء الشؤون الاجتماعية لحل مشكلتهم وفتح آفاق العمل امامهم .

* صدرت للكاتب العربي الكبير نجيب محفوظ مجموعة قصصية جديدة تحت عنوان حكاية بلا بداية ولا نهاية، تقع في 224 صفحة ، ومركبة من خمس قصص قصيرة .. يقول النقاد انها اقرب الى رواية السيرة منها الى الفن القصصي الذي اعتاده قراء العربية من نجيب محفوظ اما العنوان فهو اسم لاحدى القصص الخمسة ، وهي القصة الاولى في المجموعة .

* صدر عام 1969 كتاب « الشامل في اصول الدين » لامام الحرمين الجويني المتوفي عام 478 هـ وقام بتحقيقه الدكتور علي سامي النشار والاستاذة سهير محمد مختار والاستاذ فيصل بدير فرعون وجاء في 731 صفحة وهو يضم ثلاثة كتب هي : كتاب النظر وكتاب التوحيد وكتاب العلل ونشرته منشأة المعارف بالاسكندرية .

* أحيل الاديب القاص نجيب محفوظ على المعاش بعد ان قضى بالوظيفة 37 سنة عمل خلالها في وزارة الاوقاف ثم الجامعة المصرية وادى به المطاف اخيرا الى وزارة الارشاد التي اصبحت وزارة الثقافة .

صرح نجيب محفوظ للصحافة انه سعيد جدا بانتهائه من العمل الحكومي وسيتفرغ للنشاط الادبي وقال نجيب محفوظ انه كان ينتظر التقاعد منذ مدة لان العمل الرسمي لا يوافق مزاج الاديب والفنان .

* تقوم الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة باتمام ترجمة كتاب تاريخ الادب العربي للمستشرق بروكلمان بعناية الدكتور رمضان عبد التواب ، وسبق أن ترجم منه ثلاثة اجزاء ثم توقف لوفاة مترجمه الدكتور عبد الحليم النجار .

* صدر عن دار الحلبي بالقاهرة الجزء الرابع من كتاب المحكم لابن سيده بتحقيق الاستاذ عبد الستار فراج وكان معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية قد كلف عددا من افاضل المحققين لتحقيق اجزاء هذا الكتاب القيم .

وقد تعهدت الدار باصدار الجزء الخامس قبل نهاية هذا العام وباصدار جزئين منه كل عام حتى يتم نشره كاملا .

* باشرت مطبعة دار الكتب المصرية ـ قسم التراث ـ بطبع كتاب تاريخ الاسلام الكبير للامام المؤرخ احمد بن قايماز الذهبي بتحقيق الدكتور عبد الهادي شعيره ومن الجدير بالذكر ان هذا الكتاب كان قد باشر بطبعه منذ 25 سنة حسام الدين القدسي ونشر منه 6 مجلدات ولم يتمه ويقع الكتاب في حوالي 30 مجلدا علما بأن دار الكتب قد حصلت على نسخ متنوعة من بينها اجزاء بخط الحافظ الذهبي نفسه .

* زار معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية الاستاذ الدكتور محمد بديع شريف ، رئيس ديوان رئاسة الجمهورية السابق في العراق وحصل على صور مخطوطات نسخ ديوان ابن المعتز الموجودة بالمعهد وعلى صورة المجلد الرابع من كتاب السفينة لابن مبارك شاه الذي يحتوي على بعض قصائد ابن المعتز .

ويعمل الدكتور بديع في تحقيق ديوان ابن المعتز واعداد دراسة عن حياته وشعره

وقد بدا اهتمامه بابن المعتز عام 1937 يوم كان طالبا في جامعة بون بالمانيا واقترح عليه استاذه

البروفسور باول كال رئيس جمعية المستشرقين والاستاذ فى الجامعة ان يكون ابن المعتز موضوع رسالته للدكتوراه . وبعد أن انهى نقله وتحقيقه على عدة مخطوطات اضطر الى تغيير موضوع الرسالة بسبب ظروف الحرب وانتقاله الى جامعة بازل فى سويسرا وحالت مشاغله فى الوظائف عن اتمامه . وبعد ان ترك الخدمة مؤخرا ، اتصل بقسم الدراسات الشرقية فى جامعة لندن فيسرت له سبل البحث فى مكتباتها وراجع مكتبة المتحف البريطاني ثم جاء الى القاهرة حيث حصل على صور المخطوطات التى تخص ابن المعتز فى مكتبة المعهد .

* صدر كتاب مناقب الشافعي لابي بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ، المتوفى سنة 408 هـ فى جزئين ، بتحقيق الاستاذ السيد احمد صقر ، وقد نشرته دار التراث بالقاهرة .

* اوشك الاستاذ مصطفى حجازي مراقب المعجمات واحياء التراث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة على الانتهاء من تحقيق كتاب « ما تفرد به بعض ائمة اللغة » للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني المتوفى سنة 650 هـ ، ويتضمن أربعة أقسام ، الاول فى القراءات الشاذة معزوة الى أصحابها ، والثاني ما تفرد به يونس بن حبيب ، والثالث ما تفرد به ابو حاتم السجستاني ، والرابع ما تفرد به بعض الائمة ووجد فى شروحهم لدواوين بعض الشعراء .

* كتاب تاريخ التراث العربي الذي الفه بالالمانية العالم التركي الدكتور فؤاد سزكين وبذل فى تاليفه عشرين عاما متواصلة ، صدر بالقاهرة بعد ان ترجمه الى العربية الدكتور فهمي ابو الفضل استاذ بكلية الآداب بجامعة عين شمس .

* وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى خطته لتحقيق التراث اللغوي اخراج كتاب التكملة للحسن ابن محمد بن الحسن الصاغاني المتوفى سنة 650 هـ فى ستة اجزاء اصدر الجزء الاول منه سنة 1970 بتحقيق الاستاذ عبد العليم الطحاوي ، ومراجعة الاستاذ عبد الحميد حسن ، وسيصدر الجزء الثاني قريبا بتحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري ومراجعة الاستاذ محمد خلف الله احمد مدير معهد البحوث والدراسات العربية .

* اتم الاستاذ مصطفى حجازي مراقب المعجمات واحياء التراث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة تحقيق الجزء العاشر من كتاب المحكم لابن سيده، كما اتم الدكتور عبد العزيز برهام الاستاذ بكلية الآداب جمعة الاسكندرية تحقيق الجزء الحادي عشر من الكتاب وبذلك اكتمل تحقيق الكتاب الذى يقع فى اثني عشر جزءا ، اصدر المعهد بالتعاون مع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي الاجزاء الاربعة الاولى منه وسيصدر الجزء الخامس قريبا ، كما ستصدر دار الحلبي بقية اجزاء الكتاب تباعا

* اتم الدكتور محمد حسين الزبيدي الخبير بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية تحقيق كتاب المنتزع من كتاب التاجي فى اخبار الدولة الديلمية .

وكتاب التاجي لابي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي الحراني الكاتب المتوفى سنة 384 هـ الفه فى اخبار الدولة الديلمية وذكر فيه فضيلة أهل الديلم وحسن سيرتهم ودخولهم فى الاسلام طوعا والمنتزع من كتاب التاجي يتضمن اخبار اهل الجيل والديلم ومفاخرهم ، وزاد من انتزع هذا القسم من الكتاب بعض الاخبار عن الفترة التى تلت عصر ابي اسحاق الصابي ، كما ذكر بعض اخبار ائمة الزيدية فى طبرستان واليمن حتى القرن السادس تقريبا .

وقد حقق الدكتور الزبيدي هذا الكتاب عن مخطوط يمني كتب فى القرن الحادي عشر وجده فى ذيل نسخة من كتاب الجامع الكبير فى فقه الزيدية.

* صدر كتاب «سلوة الاحزان» لابي الفرج ابن الجوزي المتوفى عام 597 هـ وقامت بتحقيقه الاستاذة سهير محمد مختار والاستاذة آمنة محمد نصير وقام بمراجعته الدكتور علي سامي النشار وجاء فى 206 صفحات .

* يجري الآن طبع كتاب « نهاية العقول فى دراية الاصول » لفخر الدين الرازي المتوفى عام 606 هـ وقد قام بتحقيقه الدكتور علي سامي النشار الاستاذ

فى جامعة الاسكندرية والاستاذة سهير محمد مختار المعيدة بكلية البنات الاسلامية ، فى جامعة الازهر وسيصدر فى اربعة مجلدات كل مجلد فى حوالى 400 صفحة .

* انتهى عبد الحميد جودة السحار من طبع الجزء العشرين من اول موسوعة ادبية عن تاريخ البشرية من خلال السيرة النبوية .. استغرقت منه خمس سنوات . وبداها بقصة ابراهيم عليه السلام والسبب فى ذلك تلك الحفريات التى قام بها علماء الآثار والتى أثبتت أن هناك عدة ديانات .. الكوكب و « سين » الاله الذى تنسب اليه سيناء ، وكانت اكبر عبادة ايام ابراهيم عليه السلام ، ثم عبادة الشمس ، وبدا السحار الاجزاء التالية بهاجر المصرية ، ام العرب ثم بني اسماعيل . ودراسة بني اسماعيل تعتبر أول دراسة من نوعها لان بني اسماعيل كان لهم ملك اكبر من بني اسرائيل ، وكانت عاصمة ملكهم « بترا » أو البتراء تنافس روما ومنف ودمشق وبابل .

اما الجديد فى هذه الموسوعة فيقول السحار ، انني اخالف فى دراستي راي العلماء فى المقارنة بين الاديان . فهناك نظرية تقول ان الانسان ابتدا فى طفولته الدينية بالوثنيات ثم ارتقى فى الديانات الى ان عرف التوحيد .

وقلت ان هذه النظرية خاطئة لان آدم كان على علم وكان يعرف التوحيد ، وان الاله واحد ولكن كلما يطول بالناس الزمن تقسو قلوبهم ، ويتحول التوحيد الى اساطير ، وعندئذ يرسل الله لهم رسولا ، ليعيد البشرية مرة اخرى الى التوحيد . وتتكرر هذه القصة الى ان انزل الله القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وجاء القرآن « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » والقرآن .. هو الذى يحفظ البشرية من الارتداد الى مرحلة الاساطير . ويقول السحار .. اني لاحظت ان كل دين سماوي يسمى السلام اما الاديان الاخرى غير السماوية فيطلق عليها اسمها مثل البوذية ، وغيرها ...» لقد اصدر عبد الحميد جودة السحار ما يقرب من الستين كتابا فى الرواية والقصة القصيرة والشخصيات الاسلامية . ولكن هذا العمل الادبي الكبير الذى استغرق منه خمس سنوات ، وصدر فى عشرين جزءا يعتبر من المعالم الرئيسية فى الدراسات الادبية الاسلامية فى عصرنا الحديث .

* يصدر قريبا فى القاهرة كتاب « فهارس صبح الاعشى » للقلقشندي المتوفى عام 821 هـ .

ويتضمن هذا الكتاب المكاتبات الصادرة عن دواوين الانشاء (الوثائق) ــ الاعلام ــ الشعوب وامم والقبائل ــ الاماكن ــ المصطلحات ــ المسميات ــ الايات القرآنية ــ الاحاديث النبوية ــ الامثال ــ الشعر ويتضمن الابيات وانصاف الابيات ، الكتب الوارد ذكرها فى الكتاب » .

وقد قام بفهرسته وتصنيفه الاستاذ محمد قنديل البقلي واشرف عليه وقدم له الدكتور سعيد عاشور استاذ التاريخ الاسلامي فى كلية الآداب بجامعة القاهرة .

* اكد الازهر انه لا يوافق اطلاقا على تمثيل شخصية الحسين ولا اي شخصية من الشخصيات الاسلامية الكريمة من اهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فى المسرحيات أو فى الافلام .

وقد جاء ذلك فى تعليق لامام الازهر حول ما نشر اخيرا من ان شيخ الازهر سيناقش مسرحية « الانتقام » التى تتناول قصة الحسين ثائرا والحسن شهيدا مع ممثليها .

كما نفى الامام ما نشر انه سيقابل ممثلي المسرحية .

* صدرت طبعة جديدة لكتاب المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهاني وقد اشرف على طبعه وقدم له الدكتور محمد احمد خلف الله .

* صدر بالقاهرة أخيرا كتاب « الوفا باحوال المصطفى » لابن الجوزي ، فى جزئين وهو من تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد المدرس بالسعودية .

* استقبل معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية الاستاذ القاضي محمد الاكوع ، وزير العدل السابق فى الجمهورية العربية اليمنية ، وزوده المعهد بصورة مكبرة لكتاب « نشر المحاسن اليمانية فى خصائص اليمن ونسب القحطانية » لاحد افاضل اليمن .

والاستاذ الاكوع من اكثر المهتمين باحياء التراث العربي عن طريق جمعه وتحقيقه ونشره.

وكان الاستاذ الاكوع قد قام بتحقيق ونشر الجزئين الاول والثاني من كتاب « الاكليل » فى انساب حمير وايام ملوكها ، لابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني المتوفى سنة 334 هـ، وقد طبع الجزآن فى مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

واعلن الاستاذ الاكوع استعداده لتقديم اية معلومات يطلبها المعهد عن المخطوطات فى اليمن وتقديم التسهيلات لاية بعثة يوفدها المعهد لتصوير المخطوطات هناك .

* اعتمدت المنظمة الاوروبية لضبط الجودة اللغة العربية لاول مرة ضمن اللغات الحية التى تصدر بها المنظمة دليلها السنوي فى جميع انحاء العالم .

صرح بذلك الدكتور محمود سلامة الامين العام للمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس .. وقال ان هذه الخطوة جاءت نتيجة للتعاون المثمر الفعال بين المنظمتين .

وكان الدكتور سلامة قد طالب بذلك فى اجتماع المنظمة التنفيذي الذى عقد فى شهر اغسطس الماضي .

سوريا :

* يعمل الاستاذ محمد علي حمد الله مدرس النحو والنقد بدمشق الآن فى تحقيق ديوان الزمخشري ، كما انه احصى 102 من مخطوطات شروح المعلقات – عدا مخطوطات شرح ابن الانباري التى احصاها الاستاذ عبد السلام هارون ونسخ شرح التبريزي التى ذكرها الدكتور فخر الدين قباوة – ومن هذه النسخ : 26 للنحاس و 44 للزوزني و 32 لآخرين ومجهولين .

وهو يعنى الآن بشرح النحاس وشرح الزوزني قبل غيرهما .

ونشر له عام 1963 شرح المعلقات السبع للزوزني مع تحقيق فى قصة التعليق . كما نشر له عام 1964 تحقيق مغنى اللبيب لابن هشام فى جزئين بالاشتراك مع الدكتور مازن المبارك ومراجعة الاستاذ سعيد الافغاني وقد صدرت منه طبعة ثانية عام 1969 . كما نشر دراسات عن ابن زيدون ورسائله عام 1956 وعن كليلة ودمنة عام 1970 وعن النقد الادبي عام 1971 .

* يعد الاستاذ عبد الحميد حمود ، القائم بالاعمال بكلية الآداب بجامعة دمشق رسالة ماجستير فى تحقيق كتاب « الجيش العرمرم » لاكنسوس فى كلية الآداب جامعة دمشق تحت اشراف الدكتور محمد خير فارس ، وقد صور له المعهد المخطوطة المشار اليها .

* اتفقت سوريا والكويت على عقد مؤتمر لوزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية العرب لتعزيز التعاون بين وزارات الاوقاف العربية .

وقال الشيخ عبد الستار السيد وزير الاوقاف السوري اثر عودته من الكويت بعد زيارة استغرقت عدة ايام انه يحمل رسالة شفوية ودية من الشيخ صباح السالم امير دولة الكويت الى الرئيس السوري حافظ الاسد .

السعودية :

* وزعت الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي بلاغا للناس تستنكر فيه اخراج فيلم عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة وذلك تنفيذا لقرار المجلس التأسيسي فى دورته الثالثة عشرة المنعقد فى مكة المكرمة فى 1 – 17 شعبان 1391 وقد راينا نشر هذا البلاغ لما له من اهمية ومساس فى الوقت الحاضر بما يدور من اقدام بعض الشركات السينمائية فى العالم بعد افلاسها فى مختلف مجالات العمل السينمائي ان تتوجه لغزو العالم الاسلامي بهذه الصورة الخادعة .

* كان المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي قد قرر فى دورته الثانية عشرة تعيين الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي استاذ الشريعة وعلوم الدين بكلية الزيتونة عضوا فى المجلس عن تونس وقد اشترك فى جلسات الدورة الثالثة عشرة للمجلس التى تقرر فيها تعيين اعضاء المجلس عن المملكة واليمن :

1) الشيخ عبد الله بن حميد رئيس هيئة الاشراف الديني على المسجد الحرام

2) الشيخ محمد الامين الشنقيطي المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

3) القاضي حسين مرفق وزير العدل السابق بالجمهورية العربية اليمنية .

* المستدرك الثاني : كتاب جديد للاستاذ خير الدين الزركلي ، وفيه استدراكات على موسوعته الشهيرة « الاعلام » الذى ترجم فيه لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .

* فى حفل سمو الامير عبد الله الفيصل الذى اقامه تكريما للبطل المسلم محمد علي تقدم سعادة الاستاذ حسين سراج مدير عام الرابطة الاسلامية من البطل المسلم محمد علي وحياه بكلمة رائعة رحب فيها به فى الاراضي المقدسة باسم رابطة العالم الاسلامي وقال له انني احمل هدية من الرابطة ثم تقدم منه وفى يده كتاب الله (القرآن الكريم) ـ مصحف مكة ـ وتلقفه محمد علي بيده وراح يقبله .

وقدمت الرابطة ايضا ترجمة صحيح البخاري باللغة الانجليزية وبعض الكتب الدينية باللغة الانجليزية ايضا وقد ظهر التأثر واضحا على وجه محمد علي ، وهو يتقبل الهدايا الكريمة .

الاردن :

* تفيد الانباء الواردة من القدس ان اسرائيل تواصل حفرياتها فى الاماكن الدينية والاثرية فى مدينة القدس مخالفة بذلك جميع القرارات الدولية. وخاصة القرار الذى أصدرته منظمة اليونسكو فى اواخر الشهر الماضي وطالبت فيه اسرائيل بالتوقف عن هذه الحفريات والاعتداء على الاماكن الاثرية والدينية فى المدينة المقدسة .

وذكرت هذه الانباء ان السلطات الاسرائيلية تواصل مخططاتها للاستيلاء على الحرم الشريف وما يجاوره

وتعد هذه الاعمال من الاجراءات الاسرائيلية المتكررة لتغيير معالم القدس والمناطق العربية المحتلة .

* بحث الشيخ عز الدين الخطيب مدير الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف وشؤون المقدسات الاسلامية فى الاردن مع ائمة المساجد فى العاصمة الاجراءات والترتيبات التى اتخذتها الوزارة لتوحيد الاذان فى مساجد العاصمة اعتبارا من اول شهر رمضان الماضي .

وقد اكد الشيخ الخطيب ضرورة توحيد وقت الاذان والدقة فى رفعه فى الموعد المحدد .

* كشف السيد روحي الخطيب امين القدس النقاب عن جزء آخر من مخطط تهويد مدينة القدس والاستيلاء على الحرم الشريف وكذلك بالتخطيط لفتح الباب الذهبي وهو الواقع فى منتصف مقبرة باب الرحمة ويؤدي الى داخل الحرم الشريف من الجهة الشرقية وهو مغلق منذ مئات السنين ، وقد اورد السيد الخطيب ما نشرته جريدة معاريف الاسرائيلية حول هذا الموضوع من أن سلطات الاحتلال تنظر الآن فى موضوع فتح باب الرحمة وتهيئته للقادمين الى الحرم او جبل الهيكل كما تسميه الدعاية الصهيونية.

وذكر السيد الخطيب فى مذكرة اعدها اخيرا بأن سلطات العدو انتهازا لسياسة التوسع فى الاراضي العربية ستقيم اربع مستعمرات جديدة فى غور الاردن بالاضافة الى ثمان مستعمرات موجودة الآن فى نفس المنطقة ، هذا بالاضافة الى ثلاثين مستعمرة اخرى ينوي الاسرائيليون اقامتها فى منطقة الغور .

* قالت معاريف ـ 12 ـ 9 ـ 71 : ان لجنة امناء الاوقاف الاسلامية فى يافا ستبيع بلدية تل أبيب أراض تبلغ قيمتها اكثر من مليون ليرة ، وستبني مقابلها مساكن شعبية لابناء الطائفة .

واضافت معاريف : ان هذا اصبح ممكنا بعد ان ابطلت المحكمة المركزية فى تل ابيب امر المنع المؤقت ..وكان هذا الامر قد صدر بناء لطلب ممثلي الاقلية فى لجنة امناء الاوقاف الاسلامية فى يافا ..

وتقع الاراضي المعنية قرب الهيلتون وقرب حولون فى شارع ابن جيبرول ، وقرب السبع مطاحن على نهر اليركون وسيدفع الثمن نقدا، ويسلم مباشرة الى شركة « حلميش » التى ستبني المساكن بالاشتراك مع وزارة الاسكان ، وسيطلب الآن من

القيم على املاك الغائبين رفع الحظر عن الاراضي لاتمام الصفقة .

وتحدثت معاريف – 3 – 9 – 71 عن صفقة لبيع ارض مساحتها نحو 2 دونم وهي الارض المتبقية في مقبرة عبد النبي بعد بيع قسم منها لاقامة فندق هيلتون وكذلك لبيع ارض مساحتها 81 دونما قرب مقبرة ابو كبير الاسلامية ، ونسبت معاريف الى زهدي احمد سكس عضو لجنة الطائفة الاسلامية قوله : ان قضية بيع ارض المقبرة الاسلامية لهيلتون سنة 1962 تتكرر الآن ، لقد نصت الاتفاقية مع هيلتون يومذاك على اقامة ناد اسلامي في يافا ، مقابل البيع ، لم يقيموا النادي ، ووعدوا باقامة مأوى لليتامى وآخر للمسنين لقد طلبنا من نجمي جبيلي رئيس لجنة امناء الاوقاف ان يضغط لتنفيذ الاتفاقيات، ولكن عبثا .

ووصفت صحيفة الاتحاد – 7 – 9 – 71 اللجان التى تنشئها السلطات الاسرائيلية لتمثيل الطائفة الاسلامية بأنها من حملة المسدسات المستعدين للبصم على كل ما يطلب منهم وابناء الطائفة لا يعترفون بوجودها ولا بتمثيلها لهم .

* صدر في اسرائيل – بالعبرية – كتاب « نشوء الحركة القومية العربية الفلسطينية : 1918 – 1929 » تأليف الدكتور يهوشاع فورات ، الاستاذ في الجامعة العبرية في القدس .

وجاء في عرض للكتاب قدمه تسفي فولموط في هارتس (1 – 10 – 71) « ان المؤلف يعترف ب «الكيان الفلسطيني» لعرب فلسطين وبحقيقة وجود وعيهم القومي ... منذ استيطانهم في البلد فلسطين » .

لبنـــــان :

تقوم لجنة احياء التراث العربي في بيروت الآن بطبع كتاب « اعيان القرن الثالث عشر » للفقيد المرحوم الاستاذ خليل مردم بك ، شاعر الشام ورئيس المجمع العلمي العربي السابق في دمشق .

وقد قام نجله الاستاذ الشاعر عدنان مردم بك بشرح بعض الفاظه ووضع فهارسه .

ويعتبر هذا الكتاب من اهم كتب التراجم ، اتى على ترجمة طائفة من مشاهير العرب والاسلام ، اصحاب الكفاءة في العلم والادب والسياسة والادارة في البلاد العربية والاسلامية : مصر والعراق والشام ولبنان وتركيا وتونس ومراكش وافغانستان .

* اصدرت مجلة «البيدر» في بيروت لصاحبها ورئيس تحريرها وليم صعب عددا خاصا لمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الشيخ ناصف اليازجي (1800 – 1871) جاء حافلا بالدراسات والبحوث عن ادب وحياة اليازجي الكبير .

* «مع البخلاء . عرض دراسي لكتاب الجاحظ» كتاب جديد تاليف فاروق سعد صدر عن الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت في 96 صفحة حجم كبير .

* يعكف العلامة محمد جميل بيهم بقرنايل بلبنان على تصحيح كتابين له يعدهما للنشر . عنوان الاول « تاريخ الشرق العربي المعاصر من سنة 1952 الى 1971 » وعنوان الآخر « الوحدة العربية بين المد والجزر في التاريخ الحديث » .

* « دلزى » مجموعة شعرية جديدة لسعيد عقل تصدر في بيروت قريبا . آخر ما صدر للشاعر « اجراس الياسمين » .

* انتهت دار الفكر البيروتية من طبع كتاب حاضر العالم الاسلامي الذى عربه في اوائل الثلاثينات المؤرخ الكبير الاستاذ عجاج نويهض وعلق عليه أمير البيان الامير شكيب ارسلان .

وتمتاز الطبعة الثالثة هذه بالمقدمة الطويلة التى كتبها الاستاذ نويهض عن صديقه شكيب ارسلان ، والمعروف ان هذا الكتاب قد نفذ منذ عهد طويل .

* افتتح في بيروت يوم 9 نوفبر المعرض الاول للكتاب الاسلامي الذى شاركت فيه عدد من دور النشر العربية والاجنبية .

يضم المعرض الذى تنظمه دار الفتوة في لبنان حوالي اربعة آلاف كتاب في شتى نواحي الفكر الاسلامي باللغات العربية والاجنبية وهو الاول من نوعه في لبنان .

* تتدارس الهيئات السياسية في العالم الاسلامي هذه الايام مشكلة المسلمين في جنوب الفلبين الذين يتعرضون لحملة تصفية من قبل حكومة الفيلبين .

ويقوم وفد فلبيني مسلم بجهود في دوائر الامم المتحدة في محاولة لعرض قضية المسلمين الفلبينيين على المنظمة الدولية .

* صدرت في مطبوعات جامعة بيروت العربية الكتب التالية : من الوجهة الجغرافية دراسة في التراث العربي « الدكتور محمد محمود الصياد رئيس قسم الجغرافية بجامعتي عين شمس وبيروت العربية في 140 صفحة حجم كبير . « التهاون الاقتصادي العربي في المجال البترولي » للدكتور محمد عبد العزيز عجمية رئيس قسم الاقتصاد وعميد كلية التجارة بجامعة الاسكندرية في 32 صفحة حجم كبير « العمارة العربية الحضرية بالشرق الاوسط » للمهندس حسن فتحي 44 صفحة حجم كبير « مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم » المعروف بالثلاثين مسالة لاحمد بن الحسن الرصاص اعده للطبع وقدم له الدكتور محمد عبد السلام بجامعتي القاهرة وبيروت العربية 40 صفحة حجم كبير « دور الجامعات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية » للدكتور محمد زكي شافعي استاذ الاقتصاد جامعتي القاهرة وبيروت العربية 32 صفحة « دراسات في الدراما الحديثة » الجزء الاول باللغة الانجليزية لعبد الله متولي استاذ مساعد اللغة الانجليزية وآدابها في جامعتي عين شمس وبيروت

العـــــراق :

* عثر مؤخرا على مخطوطة قديمة لديوان الشاعر صفي الدين الحلي الذى عاش في القرن الثامن الهجري وتحتوي المخطوطة زهاء الالف بيت لم تطبع في الطبعات الاربع للديوان ، كما تحتوي على مجموعات ابيات موال وابو ذية وزجل ورسائل شعبية ، وهذا يعني ان عمر الابوذية اصبح يمتد الى اكثر من خمسمائة سنة . ومن المؤمل ان يقوم احد المعنيين بالفلكلور والادب الشعبي بطبع هذه الابيات مشفوعة ببحث تاريخي عن هذا النوع من الادب والفن العراقي القديم .

* «الصحافة الاسرائيلية» كتاب جديد اصدرته وزارة الاعلام العراقية ويضم دراسة نوعية عن صحف العدو ومستواها معززة بالارقام والمصادر ، كما يتضمن فصلا عن الصحف العربية التى تصدر في الارض المحتلة .

* اتم الدكتور صفاء خلوصي ، الاستاذ في كلية الاداب بجامعة بغداد تحقيق كتاب « الفسر ، شرح ابن جني لديوان المتنبي »

وقد اصدر الجزء الاول من هذا الكتاب القيم مؤخرا وهو في سبيل اصدار الجزء الثاني منه قريبا.

ويقوم الدكتور صفاء خلوصي الآن بالقاء محاضرات في الادب العربي بجامعة ليدز في بريطانيا .

* تقوم مكتبة المثنى ببغداد باعادة نشر كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها) من تاليف ابن حبيب البغدادي ، ابو جعفر محمد الوفي سنة 245 هـ . وهو كتاب في ضبط اسماء القبائل ، وقد نشره المستشرق الالماني فرديناند وستنفلد في ليبسك سنة 1856 م . وضمنه مقدمة باللغة الالمانية .

* صدر في بغداد الجزء الاول من كتاب « جمهرة الامثال البغدادية » للمحقق العراقي العميد الاستاذ عبد الرحمن التكريتي وقد تضمن الامثال البغدادية مع القصص المتعلقة بها . وكان المؤلف الفاضل قد اصدر من قبل الامثال البغدادية المقارنة في اربعة اجزاء درس فيها الامثال الشعبية مع الامثال التى تماثلها لفظا او معنى في احد عشر قطرا عربيا .

* اقيم مهرجان تكريمي للشاعر العربي أبو تمام في اواخر اكتوبر باشراف وزارة الاعلام في مدينة الموصول وحضر فيه عدد من المستشرقين والادباء العرب الكبار اضافة الى نخبة من ادباء العراق . وتعد الوزارة منهاجا بهذه المناسبة ليكون المهرجان تظاهرة ثقافية كبرى .

* يجري العمل الآن في اعداد فهرس للمخطوطات التى تضمها المكتبة القادرية في الحضرة الكيلانية ببغداد ، وسيجري طبعه ونشره بمجرد الانتهاء منه .

وكان للاستاذ يوسف الكيلاني ، متولي الاوقاف القادرية فضل انشاء هذه المكتبة والعناية بالمخطوطات التى تملكها الاوقاف القادرية ووضعها فى المكتبة تحت يد الباحثين والعلماء . وها هو يسعى لنشر فهارسها حتى تعم الفائدة منها على اوسع نطاق .

✻ ضمت مكتبة المجمع العلمي العراقي مؤخرا مجموعات جديدة من الصحف المحلية القديمة ذات الآثار الادبية والفكرية . كما ضمت مجموعات اخرى من الرسائل ذات القيمة الادبية النادرة بينها عدد خاص كانت قد اصدرته جريدة « الانباء » التى كان يصدرها المرحوم عبد الرزاق الناصري فى اواخر سنة 1936 عن الشاعر المرحوم جميل صدقي الزهاوي ... وكذلك العدد الخاص الذى اصدرته جريدة « الهدف » العراقية عن المرحوم جورجي زيدان صاحب مجلة الهلال المصرية .

وضمت مكتبة المجمع العلمي العراقي كذلك مجموعات اخرى من رسائل خاصة لم تنشر للشاعر المرحوم معروف الرصافي والكاتب المرحوم ابراهيم صالح شكر والدكتور عبد الوهاب عزام وغيرهم .

✻ يقوم الاستاذ عباس مصطفى الصالحي المدرس فى ثانوية بعقوبة للبنين فى العراق بدراسة وتحقيق كتاب « المقامات الزينية » لابن الصقيل الجزري ليقدمه كرسالة لنيل الدكتوراه فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وقد زوده المعهد بصورة لمخطوطة هذا الكتاب كما ارشده الى وجود نسخ مخطوطة اخرى له فى المعهد وفى اماكن اخرى . وسيعمل المعهد على تزويده بصور ما يطلبه من المخطوطات فى المكتبات الخارجية الاخرى .

✻ يعمل الاستاذ الشيخ جلال الحنفي امام وخطيب جامع الخلفاء ببغداد ، والكاتب الاديب المعروف ، على انشاء مكتبة عامة فى جامع الخلفاء ، وهو اقدم جامع اسس بنيانه فى بغداد ، تفتح ابوابها لطلاب العلم والمعرفة .

✻ وافقت دوائر الاوقاف المختصة على انشاء اول معهد لتدريس الفتيات اصول التجويد فى العراق وفق احدث اسس العلمية .

ومن ناحية اخرى فان لفيفا من الاخصائيين بعلم التجويد بدأوا بوضع مسودات مناقشة لكتاب التجويد الذى يدرس الآن فى بعض الكليات والمعاهد ذات الصلة . وان المناقشات ستأتي بآراء جديدة تخالف ما هو موجود فى هذا الكتاب باعتبار ان علم الاصوات قد تقدم . وان القواعد المألوفة والمتبعة حاليا بحاجة الى تبويب .

هذا ومن المؤمل ان تصدر هذه الآراء بشكل كتب وكراريس . كما ان الشيخ جلال الحنفي هو اول من سيناقش كتاب « علم التجويد » الموضوع والمطبوع فى القاهرة .

✻ اعلن فى بغداد ان المجلس الاعلى العراقي للتعليم قد اتخذ قرارا بتعريب التعليم العلمي العالي فى العراق وكان هذا التعليم يتابع حتى الآن باللغة الانجليزية .

وقدطلب الكاتب العام للمجلس الاعلى العراقي للتعليم من جميع الجامعات العراقية ومراكز الابحاث العلمية فى لجنة الطاقة الذرية تعريب التعليم وترجمة البرامج على انه اوضح ان التعريب لا ينبغي ان يمنع الطلبة من الاستفادة من الوثائق والابحاث المحررة باللغات الاجنبية .

✻ « مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية » كتاب جديد للاستاذ وحيد بهاء الدين سيصدر قريبا، وكان الاستاذ وحيد بهاء الدين قد اصدر من قبل كتابين بعنوان « شخصيات من الادب المعاصر » .

✻ سيصدر الجزء الثالث من كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور نوري القيسي .

✻ انتهى المؤرخ السيد عبد الكريم العزاوي من وضع اللمسات الاخيرة لكتابه الجديد « آداب الموائد فى ليالي رمضان العباسية » ويصف المؤرخ العزاوي الملابس والاواني وطريقة السلوك ونوع القناديل التى كان البغداديون يستعملونها ومآدب الافطار والاسمار خلال العهد العباسي وانواع المأكولات الخاصة بهذه المآدب .

✻ انتهى الدكتور ابراهيم شوكت الاستاذ فى جامعة بغداد وعضو المجمع العلمي ، من تحقيق القسم الذى يختص بجزيرة العرب – ديار العرب – من

كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، مع خمس خرائط من خمس مخطوطات محفوظة في مختلف انحاء العالم .

* كما انتهى ايضا من تحقيق الجزء الذى يبحث فى جزيرة العرب من كتاب « روض الفرج وانس المهج » للشريف الادريسي ايضا وذلك عن نسختين من مخطوط مع خريطتين من هذين المصدرين .

* تمت الموافقة على مشاركة الجمهورية العراقية فى اعتبار سنة 1972 العام الدولي للكتاب الذى اقرته دوائر الامم المختصة ، والاحتفال بذلك بصورة واسعة .

وان لجنة تألفت فى وزارة الاعلام برئاسة السيد حميد سعيد مدير التاليف فى الوزارة وعضوية لفيف من ذو يالاختصاص تدارست الموضوع وبعثت بمقترحاتها وتوصياتها الى مديرية الثقافة العامة فى الوزارة بهذا الصدد .

وتقرر دعوة ممثلين عن وزارات التربية والتعليم العالي والداخلية . اضافة الى الاعلام لهذا الغرض . كما تقرر ابلاغ المؤسسات الاعلامية ذات الاختصاص الاهتمام بابراز اهمية العام الدولي للكتاب . وعقد الندوات واستضافة المؤلفين والناشرين . وتهيئة القاعات التى تملكها الوزارة ومؤسساتها لاستخدامها كمعارض للكتب واقامة الندوات والمحاضرات .

وتقرر كذلك تشكيل لجنة تشرف على منح الجوائز للمؤلفين والكتاب والمترجمين والطباعين والمصممين والناشرين والعاملين فى حقول الكتب على ان يكون هؤلاء ممن خدموا الثقافة والفكر وكان لجهودهم اثر طيب فى خدمة الكتاب العراقي .

كما تقرر وضع تصميم للطابع التذكاري وتصميم « بوستر » للعام الدولي للكتاب وبقية النشرات والرسوم التى تتطلبها المناسبة ومفاتحة مصلحة البريد والبرق والهاتف بعد وضع تصميم من قبل دوائر وزارة الاعلام المختصة .

كما تقرر الطلب الى الاشخاص ممن تتوفر لديهم كتب قديمة غير مألوفة بالنسبة لنوع طباعتها وتغليفها وتجليدها وشكل الورق المطبوعة عليه لعرضها فى معارض العام الدولي للكتاب .

وقررت اللجنة فى توصياتها كذلك وضع نصب تذكاري يمثل الكتاب فى احدى ساحات بغداد وتحته الاشارة الى احتفال العراق بالعام الدولي للكتاب . وكذلك دراسة امكانية التعاون مع الهيئات والجهات الادبية والفكرية كاتحاد الادباء العراقيين . واتحاد الادباء الاكراد . واتحاد الادباء التركمان . وجمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين . والرابطة الادبية فى النجف الاشرف . وجمعيتي المكتبيين والمترجمين .

هذا وكان المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو الدولية الذى شاركت فيه الممثلية للجمهورية العراقية والذى عقد قبل فترة فى باريس قد قرر اعتبار سنة 1972 العام الدولي للكتاب . والغرض من ذلك تسليط الاضواء على دور الكتاب فى المجتمع باعتباره من الوسائل الكبيرة في تثقيف الجماهير . وقد حقق تقدما فى مجال الانتاج والتوسع واصبح من الممكن تخفيض تكاليفه وتحسين نوعيته ليكون فى ميسور الناس اقتناؤه .

الكويت :

* ذكرت مجلة « الاذاعة والتلفزيون » المصرية الاسبوعية ان الكويت شرعت فى انتاج فيلم عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

وتضيف المجلة ان تكاليف الفيلم بلغت 12 مليون جنيه .

* الكويت — قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاجتماعية بالكويت فى المدة الاخيرة ببناء 199 مسجدا جديدا 68 منها بالمدن و 81 مسجدا بالقرى وفى نفس المدة قامت الوزارة باعادة بناء 47 مسجدا، وترميم 926 واصلاح 7000 من المساجد الترابية الموجودة بالبوادي .

ويؤخذ من احصائية اعدتها الوزارة المذكورة ان وزارة الاوقاف قامت باصلاح 453 مؤسسة كالمدارس الدينية والكتاتيب القرآنية .

افريقيا :

* واصلت اللجنة الدولية لتدوين تاريخ افريقيا اجتماعاتها يوم 25 نوفمبر 1971 بالقاهرة

وناقشت اللجنة بعض النواحي الادارية المتعلقة باصدار موسوعة عن تاريخ افريقيا العام تمم ثمانية مجلدات ، وقد تقرر ان يشرف الدكتور جمال مختار وكيل وزارة الثقافة والاعلام على المجلد الثاني الذى يعالج الفترة التي بدات من نهاية عمر ما قبل التاريخ فى افريقية حتى الفتح العربي فى القرن السابع الميلادي .

ويشمل هذا المجلد خمسة اجزاء رئيسية تضم 30 فصلا يشترك فى كتابتها 30 مؤلفا

وسيوضح هذا الجزء تأثير مصر وتاثرها ببقية اجزاء افريقيا ، وتاثيرها فى الحضارة العالمية باعتبارها جزءا من القارة الافريقية .

وكانت اللجنة الدولية قد بدات اجتماعاتها مساء 24 نوفمبر واشترك فيها ممثلون عن كل من كينيا ونجيريا ، والسينغال ، وغانا ، وفولتا العليا ، وفرنسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، واثيوبيا ، ومصر ، وهيئة اليونسكو . وتستمر اجتماعاتها الى غاية يوم السبت القادم .

❋ مع مطلع شهر يناير القادم سيبدأ العمل فى تنفيذ مشروع اقامة اكبر مسجد فى جنوب افريقيا وذلك فى ضاحية (ليناسيا) التى يقطنها المسلمون فى (جوهانسبورغ) .. وقد قدرت نفقات المشروع بأكثر من ربع مليون جنيه استرليني .

❋ وصل الى كينيا القراء المصريون الذين تبعثهم وزارة الاوقاف المصرية الى كينيا ليقرأوا القرآن الكريم فى مساجد كينيا . والواقع ان المسلمين فى كينيا يحبذون وصول الوعاظ والمرشدين بجانب هؤلاء القراء .

والمسلمون فى كينيا يرجون ان تقوم الرابطة لابتعاث الوعاظ والدعاة ياتون لارشاد الناس .

❋ يتدرب ما لا يقل عن 30 مدرسا دينيا على استعمال المنهج الجديد الذى اعدته نخبة من طلبة الجامعات والكليات الكينية من ابناء المسلمين .

وقد زرت المدرسة الابتدائية الاسلامية التى تشرف عليها بلدية نيروبي وزرت هؤلاء المعلمين ووجدت معظمهم يشكون من ان المناهج كتبت باللغة الانجليزية الا انهم يواصلون التدريب لكي يحصلوا على الشهادة التى قد تمكنهم بالالتحاق بالمدارس الحكومية ليعلموا الدروس الدينية .

❋ اصبحت من عادة معظم المدارس الاسلامية بكينيا ان تغلق بحلول شهر الصيام وقبل ان تغلق المدارس ابوابها تقام هناك حفلات واجتماعات كبيرة يحضرها العلماء وطلبة العلم ويأتي اليها الاهالي وآباء الطلبة ويلقي الاساتذة ومديرو المدارس كلمات مناسبة ، ويستعرض الطلاب دروسهم ونشاطهم امام الجموع المحتشدة . واخيرا توزع الهدايا القيمة للمتفوقين فى تعليمهم واخلاقهم .

ومن بين المدارس التى احتفلت هذه السنة مدرسة النور الاسلامية فى لمبروس التى نجحت نجاحا كبيرا فى اظهار الطلبة نشاطهم المدرسي ومدرسة الفتوح التى تقع فى تكاتنقو ومدرسة الصالحين فى كساوتي وغيرها من المدارس الاسلامية الاهلية الموجودة داخل مدينة ممباسا وخارجها . ولا يزال النشاط التعليمي الاسلامي مستمر بكينيا .

آسيا :

❋ مانيلا وال — اعلن رسميا فى مقر البوشيسي ان 17 جنديا حكوميا قتلوا فى الفلبين عند محاولتهم الاعتداء على المسلمين فى جنوب البلاد وتعد هذه الخسارة اكبر ما مني به جيش الفلبين منذ بدات القوات الحكومية حملاتها المنظمة ضد المسلمين منذ 18 شهرا فى جزيرة مينرانا .

ولم ينجم عن هذا الحادث اية اصابات بين المجموعة المسلمة وعددها 70 رجلا ولم يدل الشرطة باية تفصيلات اخرى فى هذا الصدد الا ان صحف مانيلا اشارت الى مقتل جنديين آخرين .

والجدير بالذكر ان التوتر فى المنطقة حيث يتعرض المسلمون الى اضطهاد القوات النظامية قد ازداد اخيرا مع قرب اجراء انتخابات مجلس الشيوخ والانتخابات الاقليمية فى 8 نوفمبر وقد تم ارسال سريتين من الجيش الى هذه المنطقة فى محاولة للبحث عن الرجال السبعين .

ويلاحظ ان المسلمين فى جنوب الفلبين يعانون الاضطهاد ويتعرضون منذ اكثر من عام مضى الى حملات التصفية والابادة .

❊ كاتمندو — ذكرت وكالة الانباء الوطنية فى نيبال ان سبعة اشخاص على الاقل توفوا فى اضطرابات طائفية لا مثيل لها فى البلاد بعد ان ثارت ثائرة الهندوس لانباء ذكرت ان المسلمين ذبحوا بقرة .

فقد هاجم الهندوس سبع قرى يقطنها مسلمون فى مقاطعة رويث وبرسا فى جنوب وسط نيبال .

ونيبال مملكة هندوسية من ناحية رسمية الا انه توجد فيها جاليات اسلامية وبوذية كبيرة . وكانت نيبال تعتز بانها لم تعرف الاضطرابات الطائفية .

❊ مانيلا — قتل ما لا يقل عن 38 شخصا واصيب عدد آخر بجراح عندما تجددت المصادمات الطائفية فى انحاء مختلفة من جزيرة « منداناو » بجنوب الفلبين . وكانت هذه المنطقة قد شهدت فى الاشهر الاخيرة سلسلة من الهجمات الوحشية استهدفت قرى المسلمين وبلغت ذروتها فى هجوم مسلح قامت به عناصر ارهابية على احد المساجد فى اقليم كوتاباتو مما ادى الى مقتل 60 شخصا .

وتقول رويتر ان معظم القتلى فى الموجة الاخيرة من اضطرابات كانوا من المسلمين الذين اشتبكوا مع قوات الجيش والامن الفلبيني المتعاون مع العصابات.

❊ ايران — دعى شاه ايران زعماء العالم الى توحيد جهودهم لكفالة الرخاء والسلام للبشرية باسرها .

وقال الشاه ان الانسانية جمعاء من خلال كل جهودها وكل تجاربها وعلى طول الطريق الذى قطعته والذي امتلأ بالدم والدموع لم تنس على الاطلاق واجبها الاساسي وهو التقدم باستمرار نحو الافضل بفضل تلك الانسانية الخلاقة التى عمرت دائما قلب الانسان .

❊ صرح اعضاء وفد جالية المسلمين السوفيات الذين انهوا زيارتهم اول امس للفيليبين خلال تصريح لهم فى مانيلا : بانهم صدموا عندما علموا بمقتل 32 مسلما — لانواديلموروتي — جنوب الفيليبين .

وقال رئيس الوفد انهم شاهدوا جثثا لضحايا الابرياء بالقرب من مدينة ماراوي .

ورفض الناطق أن يدلي باي اقتراحات تتعلق بحل مشكل الاضطرابات التى يشهدها الاقليم مشيرا الى ان الامر يختص بالشؤون الداخلية للفيليبين .

ويقوم الحاج عمر علي بجولة لجمع التبرعات من سنغافورة وماليزيا وتايلاند لبناء المسجد .. كما سيزور ايضا كلا من الكويت والمملكة العربية السعودية .

اندونيسيا :

❊ اعلن فى جاكرتا ان حزب نهضة العلماء وهو اكبر حزب اسلامي فى اندونيسيا قد اعاد انتخاب السيد عظم شاي رئيسا عاما للحزب .

واعاد الحزب كذلك فى مؤتمره الخامس والعشرين الذى عقده فى سورابايا فى جاوه الشرقية فى الاسبوع الماضي انتخاب ثمانية رؤساء مساعدين للرئيس العام للحزب .

ومما يذكر ان السيد عظم شاي كان رئيسا لحزب نهضة العلماء خلال السنوات الـ 15 الماضية وهو ينال تأييد الحكومة الضمني لانه يعتبر متعاونا معها .

❊ « كفاح تركستان ضد الاستعمار الروسي » ذلك هو الكتاب الذى الفه وقدمه لقراء العربية الاستاذ محمد اسد شهاب الكاتب الاندونيسي المعروف بنشاطه الصحفي والادبي على نطاق واسع ومن اسرة امتازت فى اندونيسيا بالعلم والفكر والقلم ، وقد عاصر احداث هذا البلد المسلم الكبير فى أهم وقائع تاريخه المعاصر بعد الحرب العالمية الاولى وحتى اليوم ، كما استفاد من جولاته المتعددة والمتكررة فى الدول الاسلامية والعربية ، وهو صاحب مجلة « بوميبتا » اكبر مجلة اسبوعية فى اندونيسيا، وصاحب المؤلفات الكثيرة فى مختلف الشؤون

وقد اهدى كتابه بالكلمة التالية :

هذه شعوب اسلامية تستعبدها وتستعمرها روسيا والصين الشعبية ..

فما بال المسلمين لاهين لا يذكرون اخوانهم فى تلك الديار ، كما يذكرون الكونغو وانغولا وجنوب افريقيا وغيرها !.. ويدافعون عنها ..

والكتاب يقدمه الزعيم المجاهد سعيد شامل القوقازي ، وهو عرض صادق وشامل لحالة المسلمين فى تركستان الواقعة تحت الحكم الشيوعي الروسي والصيني ، كما هو كتاب يستحق القراءة للتعرف على حالة المسلمين المضطهدين الذين يواجهون كل انواع الكبت والتنكيل الشيوعي كما هو فى الاخير صوت مخلص يطالب النجدة لتلك الملايين المعذبة من مسلمي تركستان الجريحة ..

* انعقد مؤتمر حزب نهضة العلماء باندونيسيا فى نهاية شهر ديسمبر ابتداء من الرابع والعشرين منه .. ويعتبر حزب نهضة العلماء فى مقدمة الاحزاب الاسلامية فى اندونيسيا ، وثاني الاحزاب فى البرلمان بعد منظمة ارباب المهن والحرف .. فقد حصل حزب نهضة العلماء على 58 مقعدا فى البرلمان الاندونيسي الجديد الذى جرى انتخابه اخيرا من قبل الشعب الاندونيسي .

* اكد السيد هارون لقمان النائب المسلم فى البرلمان الاندونيسي ان اسرائيل تقف وراء المجازر التى يتعرض لها المسلمون فى الفلبين . وقال ان دولا عربية وعدت بتقديم كل مساعدة للمسلمين الفلبينيين .

وقال السيد لقمان ان اسرائيل تزود حكومة الفلبين بالمساعدات كما ارسلت اليها خبراء عسكريين لتدريب القوات الفلبينية على حرب العصابات .

واضاف ان المجازر ضد المسلمين فى الفلبين لم تتوقف قط وهي لا تزال مستمرة بالرغم من جميع مزاعم الحكومة الفلبينية . وقال ان قوات جيش الشعب حررت ثلاث مناطق منذ ثلاثة اسابيع فى المقاطعة الجنوبية من البلاد واسقطت طائرتي هيلكوبتر .

واضاف لقمان انه بالرغم من ان عدد اليهود فى الفلبين لا يزيد عن عدة آلاف والمسلمين اكثر من اربعة ملايين الا ان الرئيس الفلبيني ماركوس اختار وزيرا يهوديا فى حكومته بينما لا يمثل المسلمين اي وزير .

* اعلن سكرتير عام حركة ساراواك للشبيبة اسلامية الاستاذ أنيس بن وت ان الحركة طلبت من الامين العام للامانة الاسلامية تنكو عبد الرحمن ان يدعو المسلمين فى جميع انحاء العالم الى التنديد بالمجازر القائمة حاليا فى الفلبين ضد المسلمين فى جميع انحاء العالم . وقال ان حركته صعقت للاعمال التى يقوم بها اعداء الاسلام هناك . هذا وقد وجهت حركة ساراوك رسالتين الى الامين العام للامم المتحدة والرئيس الفلبيني فردينا ماركوس احتجت فيها على اضطهاد المسلمين وحملات القتل الجماعي الموجهة ضدهم هناك .

هذا وذكرت الانباء ان الهيئات السياسية فى العالم الاسلامي تتدارس حملة الابادة التى يتعرض لها مسلمو الفلبين ، وتقول هذه الانباء ان وفدا من مسلمي الفلبين يقوم الآن بنشاط واسع فى دوائر الامم المتحدة ليعرض قضية المسلمين فى الفلبين على المنظمة الدولية ، والجدير بالذكر ان المسلمين فى جنوب الفلبين يتعرضون لحملة ابادة منذ اكثر من عام من قبل عناصر مناوئة .

وذكرت وكالة الاسوشيتد بريس فى نبا لها من مانيلا أن خمسة آخرين من المزارعين المسلمين قد قتلوا فى قرية باقليم كوتاباتو فى الجنوب من الفلبين وقالت الانباء ان هؤلاء المزارعين كانوا عائدين من حقولهم الى منازلهم عندما اطلق عليهم المسلحون النار من مخابيء وراء الاعشاب .

* انتهت المناسبة السنوية 22 لتلاوة القرآن الكريم التى تنظمها القوات الماليزية المسلحة والتى بدات يوم الخميس الماضي واستمرت ثلاث ليال فى ملعب القوات المسلحة بكوالا لمبور .

واشترك فى هذه المسابقة 44 شخصا يمثلون البحرية الملكية الماليزية وسلاح الطيران الماليزي وتهدف هذه المسابقة الى تعميق مبادىء الاسلام فى نفوس افراد القوات المسلحة ونشره بينهم .

* قام ملك ماليزيا بافتتاح المسابقة العالمية الثانية عشرة فى تجويد القرآن الكريم وذلك فى احتفال اقيم فى ستاد مرديكا . وقد حضر الاحتفال اكثر من عشرة آلاف شخص من بينهم عدد من الوزراء فى الحكومة الماليزية ورجال السلك الدبلوماسي

والشخصيات الدينية وقد اشترك فى المسابقة مقرئون من اربع عشرة دولة هي اندونيسيا والباكستان والهند والفلبين وتايلند وايران وفيتنام الجنوبية وسيلان وبروناي وسنغافورة وافغانستان وماليزيا وكمبوديا ومن بين الحكام الذين اشتركوا فى المباراة علماء من المملكة العربية السعودية ومصر والمغرب والكويت .

※ تم انشاء معهد للفقه الاسلامي فى جاكرتا وذلك لمتابعة الدراسات الاسلامية ، وسيتولى هذا المعهد كذلك ترجمة الفقه الاسلامي للمساعدة فى اكمال القوانين الشرعية للطوائف الاندونيسية واصدار مجلة دائرة معارف اسلامية .

※ كوتشنغ ـ ماليزيا ـ ناشد مفتي فيتنام الجنوبية الحاج عمر علي مولى المسلمين فى ساراواك مساعدة المسلمين فى فيتنام فى بناء مسجد لهم بالعاصمة الفيتنامية سايجون .

ويقوم الحاج علي الذى وصل الى ساراواك بجولة لجمع التبرعات من سنغافورة وماليزيا وتايلند لبناء المسجد . . وسيزور ايضا كلا من المملكة العربية السعودية والكويت .

اوروبا :

باريس :

※ انعقد فى باريس « تحت اشراف منظمة اليونسكو » مؤتمر على مستوى الحكومات لاقرار نظام خاص برواج الاخبار ذات الصبغة العلمية .

واتفق المؤتمرون الذين يمثلون 24 دولة بعد دراسة وافية للموضوع على وجوب انشاء جهاز خاص يتعاون تلقائيا مع كل بلدان العالم فى نشر المعلومات العلمية .

ويستفاد من التقارير الصادرة عن المؤتمر ان الانباء العلمية لا تروج على الوجه المطلوب بين جميع الدول . واقر التقرير حق الدول النامية فى تداول هذه الاخبار على اساس ان العلم فى حد ذاته له جذور فى كل انحاء العالم ومن حق الجميع الاستفادة من الاخبار العلمية والتقنية التى تنشر فى العالم بمعدل مليوني مقال كل عام .

وبعبارة اخرى لا يمكن للعلم ان يتقدم على الوجه الاكمل الا اذا كان ذلك عن طريق تبادل المعلومات العلمية التى تخرج بها مختلف المناظرات والمحاضرات والايام الدراسية .

واذا كان هناك مركز لجمع المعلومات العلمية فانه لحد الآن يقتصر على الدول المتقدمة وبفتحة فى وجه الدول النامية ستستفيد هذه الاخيرة من كل الاخبار التى قد تهمها فى الميدان .

※ احتفل عالم الفنون التشكيلية ، بمرور تسعين عاما على ميلاد بيكاسو . وقد جرى بهذه المناسبة احتفال كبير فى باريس وآخر فى برشلونة حيث يوجد متحف بيكاسو العظيم ، وهو المتحف الذي يضم معظم اعماله منذ بدايته ، وكان قد اهداها للمتحف . وترجع كل هذه الاعمال الفنية التى يضمها المتحف الى سنة 1900 ، ففي هذه السنة غادر بيكاسو اسبانيا .

وقد صدرت معظم المجلات والصحف العالمية تحمل صورا كبيرة لبيكاسو ، وتفاصيل طفولته وحياته الفنية . بيكاسو الآن فى حالة اعتزال كاملة ، ولذلك فانه لم يحضر الحفل الذى دشن خلاله الرئيس الفرنسي بومبيدو معرض التكريم الخاص ببيكاسو .

※ انعقد مؤخرا فى مدينة اكس انديروفانس المؤتمر العشرون لادب المقارن وقد تراس المؤتمر الكاتب الفرنسي رينيه ايكامل وكان موضوع المؤتمر: « اثر الشرق والغرب فى الشعر الحديث » .

اكد المؤتمر على ان اشكال الشعر جاءت من الشرق والشرق وحده صاحب الفضل الاول فى هذا الشأن ، تضمن المؤتمر ثمانين بحثا سيضمها كتاب ضخم سيصدر فى نهاية هذا العام .

انجلترا :

※ سوف تخرج دار النشر البريطانية «كونتون بريس» فى الربيع المقبل ترجمة كاملة لتآليف نابليون الرومانسية . وقد كتبت صحيفة التايمز البريطانية حول هذا الموضوع تقول :

« لقد استطاع كريستوفر فرايلنغ استاذ التاريخ فى جامعة اكستر فك رموز خط نابليون غير المقروء ولغته الفرنسية الرديئة » .

ويرجع هذا المؤلف لنابليون فى الفترة الواقعة بين 1785 و 1795 عندما كان نابليون يكتب من اجل تحسين لغته على سبيل التدريب ومن اجل التعبير عن حنينه لكورسيكا مسقط راسه . ويقول فرايلنغ ان اسلوب نابليون هو اسلوب الاجانب الذين يكتبون بالفرنسية ولا يحسنونها « اسلوب صغار الزنج » او هو من نوع الفرنسية العادية حسب نقله عن الكتاب الآخرين او عدم ذلك » . وقد كان نابليون كثير الفخر بمعرفته بكتابات جان جاك روسو ، الذى كانت لافكاره تأثيرات هامة على نابليون فى شبابه . بل ان فرايلنغ نفسه قد استفاد كثيرا من تحليل مؤلف نابليون هذا من خلال روسو . ذلك أنه اكتشف هذه القصص لنابليون خلال بحثه فى باريس حول اطروحة عن روسو .

* تشكل فى بريطانيا وايرلندا مؤخرا اتحاد يضم كافة الجمعيات الاسلامية هناك وقد بلغ عدد تلك الجمعيات الاعضاء فى الاتحاد 59 جمعية اسلامية، وهي تعمل فى دائرة التعاون الجماعي بين افراد مسلمين جمعتهم ظروف الغربة والاخوة فى الله وتحذوهم الرغبة للعمل على الحفاظ على الشخصية الاسلامية للمجتمع المسلم فى بريطانيا والحيلولة دون ذوبان المسلمين فى المجتمع الغربي كما حدث فعلا فى كثير من الاقطار .

والجدير بالذكر ان عدد المسلمين فى بريطانيا وايرلندة يبلغ مجموعه نصف مليون نسمة يعيشون وسط 60 مليون نسمة .

وقد يتبادر الى الذهن بعد قراءة الخبر : لماذا 59 جمعية اسلامية لنصف مليون مسلم ؟.. وجوابا على ذلك نؤكد ان طبيعة وجود الجاليات الاسلامية فى وجود الجاليات الاسلامية فى تلك البلاد اقتضت هذا التنوع الذى يعد بدوره عاملا للمنافسة فى العمل للاسلام ونشر فضائله وخدمة ابناء المسلمين بأساليب مختلفة وفى ظروف متباينة ولكن الغاية واحدة خالصة لوجه الله .

* انعقد فى لندن مهرجان اسلامي كبير فريد من نوعه فى العالم الغربي تحت شعار ـ العالم الاسلامي ـ او ـ عالم الاسلام ـ يبرز مظاهر الحياة والثقافة الاسلامية ، روحيات وادبيات ، فقها وأدبا ، نثرا وشعرا . ويستغرق المهرجان شهرا كاملا . قام بتنظيمه المعهد الشرقي للفنون الحديثة . وسيتضمن معارض للرسوم وحفلات موسيقية وندوات أدبية وجلسات شعرية ومحاضرات ثقافية، وبهذه المناسبة وفد على لندن كثير من الشخصيات المهتمة بالشؤون الاسلامية ومستشرقين وأساتذة .

ويقول المهتمون ان الغرض من هذا المهرجان هو ابراز جهود بريطانيا فى ميدان الثقافة الاسلامية .. ويشترك فى هذا المهرجان الكبير عدد من الكتاب والفنانين المسلمين والعرب من مختلف الدول الاسلامية والعربية ، من بينها لبنان وسوريا ، وفلسطين ، والسودان ، والعراق ، ومن بين المواضيع التى ستناقش موضوع **فن الرسم العربي ، والعرب والحضارة الاسلامية ، والشعر العربي الحديث ،** وسيتضمن المهرجان ايضا مواضيع دراسية اخرى تتناول بحث الاسلام على ضوء السيرة المحمدية .

ايطاليا :

ظهر فى ايطاليا فى اوائل هذا العام جزء من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للادريسي الذى يعنى بنشره المعهد الايطالي لتاريخ الآداب الشرقية الادنى والاقصى .

* جرى بمدينة جينوبا الايطالية مهرجان كبير فى الملاكمة (الوزن الخفيف) بين الملاكم الايطالي اراكاري والاسباني باربرا كورباس ، وذلك من اجل الحصول على اللقب العالمي فى هذا النوع ، والذي كان من نصيب الايطالي اراكاري .

وقد شرف هذه المقابلة بحضوره بطل العالم سابقا فى الوزن الثقيل محمد علي كلاي ، الذى اغتنم فرصة وجوده بايطاليا ثلة من الصحفيين ومن بينهم مندوب جريدة « الاس » الرياضية الذى اجرى معه الاستجواب التالي :

س : ما هو اهم خطا اثر على حياتك ..؟

ج : زواجي الاول ، فقد سيطر الغرور على عقلية زوجتي الاولى التى كانت تميل لاشياء تتنافى ومبادىء الدين الاسلامي .. وعلى العكس من ذلك اراني سعيدا مع زوجتي الحالية (بلينندة بويد) التى اعتنقت الاسلام بصدق وبايمان .

المانيا :

للمرة السادسة على التوالي تشترك الدول العربية فى معرض الكتاب الدولي الذى سيقام فى

مدينة فرانكفورت بالمانيا الاتحادية فى بداية شهر اكتوبر 1971 .

ويعد هذا المعرض التى يقام فى المدينة التى ولد فيها عميد الادب الالماني فولفجانج فون جوته من اكبر المعارض الثقافية فى العالم سواء من حيث عدد دور النشر او من حيث عد الدول الاجنبية التى تشترك فيه . وتمثل اشتراك الدول العربية فى هذا المعرض المهم باشتراك مكتب جامعة الدول العربية فى بون سنويا تحت عنوان « كتب من العالم العربي » واهل السبب الرئيسي الذى شجع مكتب الجامعة العربية فى بون على الاشتراك فى كافة دورات هذا المعرض الماضية هو النجاح الكبير الذى حققه فى دورات السنوات الماضية وازدياد رغبة المشاهدين الالمان للاطلاع على الكتب العربية التى سبق ان لعبت دورا حاسما فى نقل الحضارة العربية والاسلامية الى اوربا قبل مئات السنين . والمعلوم بهذه المناسبة ان معروضات الجناح العربي كثيرا ما تشمل معظم المجالات العلمية والفنية والادبية والاقتصادية والمخطوطات وغيرها .

※ اعيد طبع كتاب الكامل للمبرد عن النسخة التى حققها العلامة المستشرق وليم رايت فى ليبسك والمطبوعة سنة 1623 م فى مجلدين مع الفهارس وهي الطبعة الوحيدة التى حققت تحقيقا علميا اذ ان المحقق قد قضى فى علمة هذا ثلاثين سنة حتى اتمه وستباع النسخة بـ 45 باون استرليني .

الاتحاد السوفياتي :

عثر عالم فقه اللغة العربية قاسم جانوف من جمهورية كازاخستان السوفياتية على مخطوط للفيلسوف العربي ابو نصر الفارابي يرجع تاريخه الى الف عام .

ويتضمن المخطوط 12 رسالة منطقية كما يتناول بالتعليق كتاب (الادرجاتون) للفيلسوف اليوناني ارسطو .. ويتناول المخطوط بالاضافة الى القضايا المنطقية طبيعة المعرفة الانسانية والخصائص المميزة للجنس البشري .

وذكرت وكالة طاس انه عثر على هذا المخطوط ضمن سلسلة الابحاث الواسعة التى تقوم بها حاليا مجموعة من علماء وطلاب جمهورية كازاخستان السوفياتية من تراث الفيلسوف العربي الفارابي الذي ولد منذ الف ومائة عام فى مدينة اوترا التى سميت بمدينة فارابي فى اراضي كازاخستان .

※ انجز العلماء الداغستانيون فهرسا للمخطوطات الشرقية وداغستان جمهورية ذات استقلال ذاتي تقع فى القوقاز . ويضم الفهرس وصفا للمخطوطات القديمة التى يرجع عهدها الى القرون الوسطى المحفوظة فى معهد التاريخ واللغة والآداب الداغستانية .

وهناك حوالي 4000 (اربعة آلاف) مخطوط كتبت اساسا بالعربية ومنها ايضا ما هو مكتوب بالتركية والفارسية . ومن بين هذه المخطوطات ما هو نادر جدا . ومنها قاموس عربي يرجع تاريخه الى سنة 1113 وهو يقع فى 4 مجلدات . وكتب لابن سينا ، وعلماء عرب معروفون مثل الغزالي والقزويني .

وكان بعض هذه الكتب قد اعيد نسخه فى القرنين 15 و 17 على يد الداغستانيين وكانت متداولة فى القوقاز .

ويتضمن الفهرس اصول عدد من مؤلفات العلماء الداغستانيين فى الفلسفة والرياضيات والتنجيم واللغة .

وقد انجز فهرس المخطوطات بعد عمل دائب وطويل . وستظهر الطبعة الاولى فى دار نشر الاداب الشرقية بموسكو .

امريكا :

اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا بالاجماع يقضي بان تقوم جميع الدول اعضاء الامم المتحدة بتقديم المساعدات لافغانستان نظرا للقحط الذى تعرضت له خلال العامين الماضيين .

وطالب القرار اوثانت السكرتير العام للامم المتحدة بدراسة امكانيات المساعدات العاجلة التى يمكن للامم المتحدة أن تقدمها لافغانستان .

※ قام الدكتور حسن امين استاذ الحضارة الاسلامية فى معهد الاستشراق بجامعة مارتن لوثر فى مدينة هالة بفحص وفهرسة المخطوطات العربية الموجودة فى الجامعة وقد صور مخطوطة نادرة عنوانها (شرح ملحة الاعراب) لاحمد بن الحسين الرملي المعروف بابن رسلان والمتوفى 844 هـ .

* عقد المؤتمر السنوي التاسع لاتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا فى «كركرين ليك» بولاية «ويسكنسن» ، خلال الفترة 12 – 15 رجب 1391 هـ ، الموافق 3 – 6 ايلول (سبتمبر 1971 م)

حضر المؤتمر (752) مسلم ، رجل وامرأة وطفل ، قدموا من مختلف ارجاء الولايات المتحدة وكندا وعدد من الدول الاسلامية .

وكان شعار المؤتمر «الدعوة والداعية» ، وقد شمل البرنامج عدة محاضرات وندوات ركزت على اهمية الاسلام كاسلوب كامل لحياة الانسان بما فيها من اجتماع وسياسة واقتصاد . وقد تناولت جلسات المؤتمر الاولى توضيح اهداف الاتحاد ومنجزاته على انها الاستمرار فى احياء الضمير الاسلامي لدى الطلبة والخريجين والعائلات المسلمة المهاجرة الى امريكا ، بالاضافة الى الاستجابة لاحتياجات ومتطلبات الجماعات المسلمة – الآفرو – امريكية .

كذلك عقدت عدة حلقات مختصة باتحاد العلماء والمهندسين المسلمين ، واتحاد الاطباء المسلمين ولجنة شؤون النساء ، لمعالجة المشاكل المحلية والعنصرية التى تتناولها هذه المنظمات ، كما شمل البرنامج مناهج كاملة للاطفال والشباب من كافة الاعمار

وكان من بين الكلمات المؤثرة احاديث الفجر والعصر ، وكان اكثر المواقف هزا «لأحاسيس الايمان مشهد صفوف المؤتمرين الطويلة متجهة نحو قاعة الصلاة مالئة» ارجاءها ، استجابة لنداء (حي على الصلاة حي على الفلاح)

لقد كان المؤتمر مثالا «حيا» لاخوة الاسلام ورابطة الايمان التي يمكن تحقيقها فى المجتمع الاسلامي بل كانت الايام الاربعة دورة تربوية تدرب فيها المؤتمرون على التعاون والاحترام وتذوقوا المحبة فى الله وافادوا من جو المؤتمر لحل مشاكلهم وتفهم الاختلاف فى وجهات النظر ، بالاضافة الى التدرب على اولى اسلوب لنشر الاسلام والدعوة اليه عن طريق ابراز المثل الحي لشخصية المسلم ، مستوحاة من قيم القرآن وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم .

